٩٩

إشارات العارفين

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة



الكتاب	إشارات العارفين
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	غرة ربيع الأول ١٤٣٨ هـ، ١ ديسمبر ٢٠١٦
كتاب رقم	الكتاب: التاسع والتسعون من المطبوع
سلسلة	أسئلة صوفية، الكتاب الثالث
الداخلى	٢٥٦ ص*٨٠جم /١٧*٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه لامع*٣٠٠ جم*٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ ، المعادى، -
إيداع	٢٠١٦/٢٥٢٧٤
ترقيم	978-977-90-4469-9
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ...

علم القرآن وأفاض روح البيان، على قلوب أهل العرفان والإيقان، وجعلهم يترجمون عن مراد الرحمن وهدي النبي العدنان في نصائحهم ووعظهم وإرشادهم وتوجيههم لأهل الإسلام والإيمان....

والصلاة والسلام على كنز كنوز الهدى وسر مشاهد العيان ومرِبِّي الورثة الأفراد والأعيان في كل زمان ومكان سيدنا محمد، وآله أهل الإيقان وصحابته أهل الصدق والإحسان ... وكل من تبعهم على هذا الهدى والنهج المصان إلى يوم الجمع على حضرة الرحمن .... آمين يا رب العالمين .....

وبعد ...

إن العارفين الصادقين الذين سلكوا مقام التحقيق بعد أن تأهلوا بالشرع الدقيق وعملوا به حتى ظهرت لهم لوامع أنوار التحقيق واجتباهم الله ﷻ بعد أن هداهم به إليه، جعل لهم الله قدم صدق عنده سبحانه ليقوموا باصطحاب إخوانهم ودلالة أحبابهم على الطريق السوي الموصل إلى رضوان ربهم ﷻ.

والعارفون الصادقون في هذا الميدان يسيرون إلى حال: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) فلا يكون لهم حال إلا ما يمدهم به الله ﷻ، ولا علم إلا ما يتنزل على قلوبهم من ربهم في مواجهة أحبابهم ، وهو الرزق الذي يسوقوه الله ﷻ إلى الأحباب من العلوم الوهبية على لسان الأولياء والصالحين والأنجاب والأقطاب.

وفي هذه العلوم التى تتنزل من باب ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة)..

أو من خزانة فضل جود الله سبحانه وتعالى بسرِّ قوله تعالى :

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف)

إذا لم يكن للحاضر قلب صاف صادق مؤهل للتلقي عن حضرة الله !... فقد تضل الفهوم، لأنه يسمع بعقله وفكره .. وهذه العلوم التى هي تنزلات من حضرة الحي القيوم! يشربها المريد بذوقه! ويفقهها بقلبه .. ولذا تسمى علوم الأذواق، أو علوم القلوب، أو العلوم الوهبية ، أو العلوم اللدنية، أو العلوم الفيضية، أو علوم الإشارات ... وكلها ذوق في أسرار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ...

وقد يكون القائل لهذه العلوم يرمز لها بإشارات في عبارات مقتضبة حتى لا تفك معانيها إلا لأهلها عملاً بقوله ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِهَ لَكُمُ الْبَيَانَ ، كُلَّ الْبَيَانِ }[١]

فمن لم يكن من أهلها وقف عندها بل ربما اعترض عليها وأولها بفكره وعقله بما لا يناسب ما يريده قائلها ، ربما يرجع لهذا السبب سر اعتراض عدد كبير من الفلاسفة والمتعالمين على عبارات وإشارات الصالحين.

وقد جمع الأحباب كثيراً من هذه العبارات وعرضوها علينا لإظهار الوجه الصحيح لها وتبرئة قائليها مما نسبه إليهم الجهال والمدعين ....

وقد تمكنا بفضل الله ﷻ وإمداداته وإلهامته العالية واشرقاته من بيان معانيها وتبيان الفحوى التى يريد أن يوصلها إلينا قائلوها وسميناه **"إشارات العارفين"** لعلنا بذلك قد أزلنا اللبس والغموض بهذه العبارات وفككنا المضمون الصحيح الذي تحتوى عليه هذه الإشارات، ولله ﷻ الفضل والمنة في كل حال.

فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا أذواقا إلهية قلبية وفهماً عاليا زاكيا في الإشارات القرآنية والأحاديث النبوية وأن يرزقنا التسليم للعارفين السابقين ويمنحنا الفهم السديد لقولهم الرشيد في كل وقت وحين.

---

١ المعجم الكبير للطبراني عن أبي إمامة ﷺ.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ (٨آل عمران)

وصلى الله وسلم وبارك على إمام الأتقياء وملهم السعداء .....

سيدنا محمد وآله الأصفياء ... وأصحابه النجباء .... وكل من تبعه على هذا الهدي الحكيم إلى يوم العرض والجزاء.

الجميزة – غربية ... مساء ثالث أيام عيد الأضحى المبارك

الأربعاء ١٢ من ذو الحجة ١٤٣٧هـ

الموافق ١٤ من سبتمبر ٢٠١٦م



البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإليكترونى: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

تمهيد

قبل أن نجيب على الأسئلة أود أن أوضح منهجنا في الآتي:

نحن ملتزمون بمنهج الصوفية المعتدلين والمحافظين على الشريعة الإلهية وعلى السنة المحمدية، ويعتمدون في أقوالهم وكتاباتهم على الفتوحات الربانية، والفتوحات الربانية لأهل الإستقامة – وإن علت في العبارة ورقت في الإشارة – تكون مفهومة واضحة لكل أهل الإستنارة.

لكن هناك بعض الصوفية خلطوا علوم الصوفية بالفلسفة لماذا؟ .... بحجة ترميز هذه العلوم حتى لا يتحملها إلا من وصل إلى مقامٍ كريمٍ في الصفاء والنقاء، وكانت هذه هي حجَّتهم، فألغزوها، أي أن الفلسفة جعلتها كألغاز، وهؤلاء القوم لا يصلح للمبتدئين مطالعة كتبهم.

ولذلك نحن منهجنا لا نُحبِّذ لأحبابنا قراءة كتب الشيخ ابن العربي مع أنه من أكابر الصالحين، ولا السهروردي المقتول – لكن عمر السهروردي صاحب (عوارف المعارف) فهذا رجلٌ من أهل الوسطية فمن يقرأ كتابه (عوارف المعارف) فهو من الكتب العظيمة – ولا الشيخ عبد الكريم الجيلي، وهو غير الشيخ عبد القادر الجيلاني، فالجيلي رجلٌ يمني، والجيلاني رجل آخر، فنقرأ كتب الجيلاني كـ (الغُنية في طريق الله) و (فتوح الغيب) لكن الجيلي له كتاب (الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر) وغيره أدخلها في الإطار الفلسفي، ومثلهم أيضاً رجلٌ فيلسوف في المغرب إسمه عبد الحق بن سبعين، وهذا من الناس الذين توغلوا في النواحي الفلسفية، ومثله أيضاً صاحب كتاب (المواقف) وهو الشيخ النفري رحمة الله عليه.

هذه الكتب وأشباهها وأمثالها خلطت التصوف بالفلسفة، فلا يُستحب قراءتها لأنها ستُشتِّت ذهن المريد، لكن نقرأ كتب الصوفية أهل الفتوحات الوهبية، لأن قراءتها تجعل الإنسان يستغرق فيها، وتجمع الهَمّ والقلب على الله.

أما الكتب الداخل فيها المسائل الفلسفية لا بد أن يتدخل فيها الفكر فيتشتَّت الذهن، ويتفرَّق القلب، فيكون قد أدخل الإنسان في حيرة، وفي أمرٍ آخر لا يصلح له فيه مناجاة ربه، وحُسن إقباله عليه ﷻ في سلوكه وسيره إلى الله ﷻ، فنحن لا نُحبذ قراءة هذه الكتب للمبتدئين.

فإذا وصل أحدٌ إلى مقام من مقامات اليقين، ويريد أن يتعرف على كلام السابقين، فهذا نقول له لا مانع! ...

ولكن لا تضيّع وقتك كله في مثل هذه الكلمات، لأنك قد وصلت مقام اليقين، فاقرأ من ألواح رب العالمين التي يقول فيها الله ﷻ في القرآن:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ ﴾ (المطففين).

فلماذا تحتاج للتأليف أو للكتب التي كتبها فلان أو علان؟! فأنت لستَ محتاجاً لمثل هذه، بل أنت تحتاج إلى المنهج الذي أخذوه منه، ومن الباب الذي دخلوا فيه، لأنك وصلت لهذه المقامات العلية.

وهذه مقدمة ليعرف إخواننا هذا الكلام، ولماذا أقول هذا الكلام؟

لأن مدعي التصوف في هذا الزمان كثيرٌ ....

منهم يرتدي زيَّ المشيخة، ويريد أن يجمع حوله المريدون، وكيف يجذبهم؟ !!

بأن يحفظ بعض الكلام العالي للشيخ ابن العربي، أو بعض الكلام العالي للشيخ الجيلي، وعندما يحدثهم به يقولون: هذا الكلام عال جداً من أين أتى به؟! وكيف؟!

فهذا الرجل من الصالحين، فيكون الهدف دنيوياً ليجمع حوله هؤلاء القوم.

ولذلك كان سيدنا أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندما يطلب من إخوانه التحدث كان يقول لهم عندما يتكلمون بما حصَّلوه من علوم الآخرين:

(لا تحدثونا عن غيركم، ولكن حدثونا بما فتح الله ﷻ به عليكم).

أنا أريد ما فتح الله به عليك، لكن كلام فلان أستطيع أن آخذه من كتابه!

وهذا الكلام أوضحه لكي لا نجادل، ولا نضيّع الوقت، ولا نشتِّت الذهن في عبارات هؤلاء الأقوام التي يختلف فيها الناس بين مؤيد وبين معارض.

ومنهم من يُكفِّرهم، ومنهم من ينّفر منهم، وهي أمورٌ كلها نحن في غنىً عنها، لأن السالك يريد أن يجمع على الله في كل أوقاته.

وأخطر شيء يخاف منه أن يتفرَّق قلبه عن الله طرفة عينٍ أو أقل، وهي أمورٌ تؤدي إلى الفرقة والبعد عن الله سبحانه وتعالى.

ونستفتح باسم الوهاب الأسئلة ... ونجيب بفضل الله وببركة رسول الله عليها، وقد قسم إخواننا بارك الله فيهم هذه الأسئلة بعد أن أجبنا عليها إلى خمس مجموعات لتتيسر الإستفادة منها ويسهل الرجوع إليها، وهذه الأقسام الخمس هى:

١- إشارات العارفين وتلميحاتهم.

٢- إزالة اللبس والغموض.

٣- مصطلحات أهل الطريق.

٤- التصوف والصوفية.

٥- بين الشيخ والمريد.

ومن أراد الإستزادة فى هذا الباب فليراجع كتابينا :

نور الجواب على أسئلة الشباب، والأجوبة الربانية فى الأسئلة الصوفية.

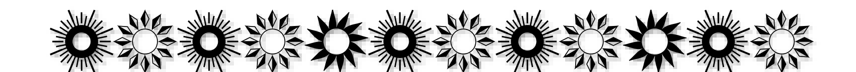
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .....

الباب الأول

إشارات العارفين وتلميحاتهم!

الباب الأول

إشارات العارفين وتلميحاتهم



١- الدخول من باب الحب

يقول أحد الصالحين: (نظرتُ إلى أبواب الله فوجدتها كلها مزدحمة إلا باب الحب فلم أجد عليه إلا الواحد بعد الواحد، فدخلتُ من باب الحب) .

نرجو من فضيلتكم بيان إشارة الرجل الصالح فى معنى باب الحب ... ؟ وكيف يمكننا الدخول منه؟

جعل الله ﷻ لمن يريد أن يتقرب إلى حضرته أبواباً مذكورة في كتاب الله، وزادها توضيحاً سيدنا رسول الله ﷺ، وبعضهم سمَّاها طرق، أي طُرقٌ توصِّل إلى رضوان الله، وفيها يقول القائل: (إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق) ليس بعدد الخلائق، ولكن بعدد أنفاس الخلائق، وكلها توصل إلى الله ﷻ.

ويعلمها أهل الإختصاص الذين خصَّهم الله ﷻ بهذه الخواص، ورزقهم خالص الإخلاص، وأخذوا من الحبيب المصطفى ﷺ إذناً صريحاً بتوضيح السبيل ليكونوا هم الدليل لمن أراد أن يكون في حمى الله ﷻ له مقيل.

سيدي أبو العباس المرسي ﷺ كان يريد أن يدخل على شيخه أبي الحسن، وحدثت مشادة بينه وبين الخادم – الحاجب – الذي يقف على الباب، وإذا بالشيخ ينادي على الحاجب ويقول له: كيف تمنع أبو العباس؟! ووالله لأبو العباس أعلم بطرق السماء منك بطرق الأسكندرية!! وطرق السماء ليست كالطرق التي نعلمها، ولكنها طرق السموِّ التي يسمو بها المرء للقرب من مولاه .... وهذه الطرق منها طُرق العبادات كالصوم والصلاة والصدقة والحج والتسبيح والصلاة على حضرة النبي والإستغفار وخدمة الفقراء والمساكين! ... طرقٌ لا تُعد ولا تُحد.

سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وهو صاحب هذه العبارة يعنى بقوله ذهبتُ إلى الأبواب فوجدتها كلها مزدحمة ... فباب الصلاة مزدحم، وكذلك باب العُمرة في رمضان، وكذلك باب الحج، وقد أصبح بالقرعة – وكذلك باب الصيام.

فقال: (**نظرتُ إلى الأبواب فوجدتها كلها مزدحمة، فنظرتُ إلى باب الحب فلم أجد عليه إلا الواحد بعد الواحد، فدخلتُ منه**) ...

وما معنى باب الحب؟ وكيف يدخل الإنسان منه؟

معناه أن يستغرق القلب بالكلية في معاني الحضرة الإلهية، فينشغل صاحبه بالله، وينشغل بالإقبال على الله، ولا يلتفت عن الله ﷻ طرفة عينٍ ولا أقل، ولا يتم له ذلك إلا إذا طهَّر قلبه من المشاغل الكونية، والمشاغل الدنيوية، لأنه لا يجتمع في القلب حب الله وحب الدنيا، قال ﷺ:

{ حُبُّ الدُّنيا وحُبُّ اللهِ لا يَجتَمِعانِ في قَلبٍ أبَداً } [٢]

إذا دخل حب الدنيا القلب فيخرج منه حب الله ﷻ، ومن يُرد الله ينشغل بالله، ويدخل من باب الحب، فينشغل بجسمه في الدنيا ومصالح الأهل ومصالح نفسه ومصالح الأحباب ومصالح المجتمع، لكن قلبه لا ينشغل إلا بالله ﷻ، وهذا كما قالت السيدة رابعة رضي الله عنها:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي	وأبحتُ جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للخليل مؤانسٌ	وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وكما قال الشيخ الجنيد رضي الله عنه: (بقي لي ثلاثون عاماً أُخاطب الحق في الخلق والخلق يظنون أني أتحدثُ معهم) فهو يكلِّم الله في تجلياته التي ظهرت في خلق الله، وهم يظنون أنه يكلمهم، فالله ﷻ تجلى علينا بالسمع، فهو يكلم السميع، ويعلم أنه هو السميع ﷻ.

---

٢ تنبيه الخواطر

والله تجلَّى علينا بالبصير، فهو لا يرى أحداً ينظر إليه إلا حضرة البصير ﷻ، ولا يلتفت إلى نظر الخلق لانشغاله بالكلية بنظر الحق ﷻ إليه، ولا يريد أن يسمع ثناءاً على حديثه للخلق لأنه يعتقد أنه يكلم الحق.

لكن من يكلم الخلق يريد أن يسمع استحساناً، ويريد أن يسمع ثناءاً من المستمعين، ويريد أن يسمع مدحاً من الموجودين، لكن من يتكلم ولا يرى سميعاً له إلا حضرة السميع، فما له وما للخلق؟! فلا ينتظر ثناءاً منهم ولا مدحاً ولا حتى كلمة شكر: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾

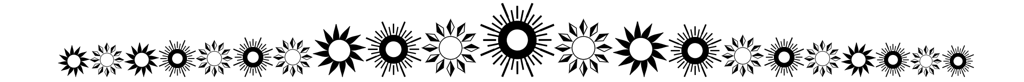
(٩الإنسان) وهذا ما قال فيه الإمام أبو العزائم ﷺ:

فخلي الخلق خلفك ثم عامل	بصدقٍ ذات مولاك العلية

فيكون إخراج الخلق من القلب، وإخراج الأكوان والدنيا كلها من الفؤاد، ولا يكون في القلب طرفة عينٍ ولا أقل إلا مقلبه ﷻ.

قد كان لي أهواءٌ مفرقةٌ	فاستجمعت مُذ رأتك العين أهوائي
تركتُ للناس دنياهم ودينهمُ	شُغلاً بذاتك يا ديني ودنيائي

فهذا الوصول عن طريق باب المحبة إن شاء الله.



٢- بين العالم والعارف

ما الفرق بين العالم والعارف؟

وهل هناك دليل من القرآن والسنة على كلمة العارف بالله؟

العالم هو الذي درس وتعلم القرآن الكريم وعلومه، والسنة الشريفة وعلومها، والسيرة النبوية وأحداثها، والفقه الإسلامي وأبوابه، فيُسمى عالم لأنه تعلم, والعلم مجاله واسع ولذلك يقول الله تعالى فيه: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٦يوسف).

أما العارف فهو الذي عرَّفه الله بعدما جاهد نفسه، وفتح الله له عين بصيرته لأسرار ذاته، وأنوار صفاته، وحقائق تجلياته، فيعلم ذلك عن طريق علم المكاشفة، من أين هذا الكلام؟ الرجل الذي سأله حضرة النبي:

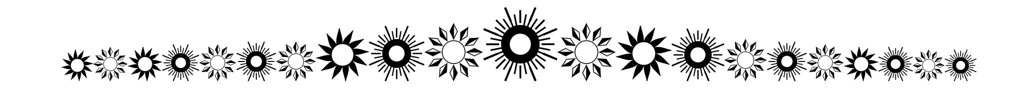
{ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، قَالَ: أَصْبَحْتُ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ: عَبْدٌ نَوَّرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالْزَمْ } [٣]

---

٣ مصنف ابن أبي شيبة

كيف ذلك؟ هي علوم المكاشفة، ولم يقل له النبي: (علمت) ولكن قال له: (عرفت) ومن هذه الكلمة استنبط السلف الصالح كلمة (عارف) من قول النبي (عرفت).

وفيها يقول الله ﷻ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٧هود) وفي الآية الأخرى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (المطففين) لم يقل: (يقرأه المقربون) ولكن ﴿يَشْهَدُهُ﴾ فهذا علم المكاشفة، والذي وصل إلى علم المكاشفة قال له حضرة النبي: (عرفت) أي أصبح عارفًا يعرف الله وهذا يتحقق بقول الله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ (١٨آل عمران).



٣- إخلاص الصادقين والصديقين

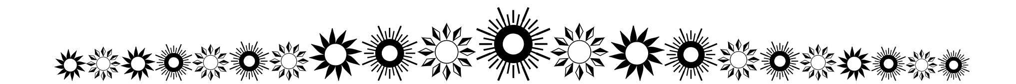
يرى الشيخ أبو الحسن الشاذلي أن الإخلاص ينقسم إلى قسمين إخلاص الصادقين وإخلاص الصديقين، نرجوا من فضيلتكم شرح كل مقام وما الفرق بينهما؟

هذا أمر واضح لا لبس فيه, أما الصادقين فإنهم يراعون في كل حركاتهم وسكناتهم وأحوالهم وأفعالهم وأنفاسهم أن تكون خالصة لله، ليس فيها شائبة للدنيا، ولا طلب رياء، أو المنزلة، أو السمعة، أو أي شيء من الخلق، فهم يجاهدون في الإخلاص، وهؤلاء يسمون المقربين أو الخواص.

فإذا جاهدوا في الإخلاص، وأصبحوا فعلاً من عباد الله المخْلِصِين، نقلهم الله ﷻ إلى مقام الصديقية، وأصبحوا في مقام المخْلَصِين: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (٤٠الحجر).

ففي البداية يجاهدون ليخلِّصوا الأعمال من شوب الرياء والحظ والهوى ومراعاة الخلق، فإذا وصلوا واتصلوا وأقامهم الحق في مقام الصديقية، فإن الله ﷻ يتولى بذاته حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم، يتولاها بحفظه وصيانته، ويكون في مقام الحفظ الإلهي؛ يحفظهم الله ﷻ أن تمر على قلوبهم خواطر لغير إلههم في أي توجه يتوجهون به إلى الله، لا يستطيع الإنسان أن يحفظ نفسه إلا إذا أعانه ربه بعونه وحَفِظه: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٦٤يوسف).

هذا هو الفارق بين الإثنين، عبد يجاهد نفسه، وعبد يتولاه ربه، فهذا مقام وهذا مقام أعلى، ولا بد من الاثنين معًا، لا بد من البدايات حتى يفوز بالعطاءات في النهايات.



٤- آخر المقامات

يقول أحدهم: أن الرضا آخر المقامات، ثم يقتفي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب، ومطالعة الغيوب، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار، وحقائق الأحوال، نرجوا من فضيلتكم التوضيح؟

الكلام الذي خطَّه الصوفية في كتبهم، أو تفوَّهوا به في بياناتهم على حسب قدر السامعين المحيطين بهم، لكن أيوجد نهاية لمقامات القرب من الله ﷻ؟! لا.

يوجد نهاية للعلوم التي يتلقاها أهل المنهج الذين هم في المرحلة الثانوية، لكن هل هذه هي نهاية العلوم؟ لا، ويوجد نهاية للعلوم التي يتلقاها الطالب في الكلية لأي قسم من الأقسام، لكن هل هذه هي نهاية العلوم في هذا المجال؟ لا.

فالصوفية عندما يواجهون الطلاب والمريدين والأحباب يكشفون لهم من مكنون الشراب على قدر ما تتحمل قلوبهم، وما يستطيعون شربه إن كانوا من أهل الأحوال العلية، أما مقامات القرب من الله، فلا نهاية لها، فكما أن الله ﷻ لا نهاية لكمالاته وجمالاته وجلالاته، فكذلك لا نهاية للقرب من حضرة ذاته.

وإذا كان الحبيب المصطفى في كل نَفَس من أنفاسه يعلو من المقامات ما لا تكيِّفه العبارات،

ولا تلحقه الإشارات، ولا تحيط به الحيطات، وكل من رآه في مقام من هذه المقامات خلعه عليه، لأنه في رقي دائم في حضرة مولاه، ومع ذلك يقول له مولاه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤طه) لأنه لا يوجد نهاية ولا حدود ... فالحدود في عالم الحدود، لكن في عالم الربوبية والإلوهية لا حدود، ولا نهاية لعطاءات الله، ولا

نهاية لإكرامات الله جل في علاه، لأحبابه من الأصفياء والمقربين المحبين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

فعندما يأتي الشيخ يشرح للمريدين ويقول لهم: نهاية مقاماتكم لكي ترتقون إلى رُتب المرادين أن تصلوا إلى مقام الرضا، وماذا يعني مقام الرضا؟ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء).

مقام التسليم لأقدار حضرة العزيز العليم، ولأوامر سيدنا الرءوف الرحيم ﷺ، أو من ينوب عنه وهو لا بد أن يكون طبيباً حكيماً حتى يأذن له الرءوف الرحيم ﷺ.

فإذا ارتقى إلى رُتب المرادين، وهي ما تسمي بحضرة الإطلاق، لا يوجد بها قيود، فلا تقيده مقامات، ولا يحدده درجات، ولا نهاية للهبات والعطاءات والمنازلات، لكن فضل الله ﷻ يغمره بلا حدٍ ولا كيفٍ ولا كمٍ:

بلا كمٍ ولا كيفٍ ولكن	بأنوار تعالت معنوية

لكن أهل هذا المقام العلي المرادين، أحوالهم لا تباح بالعبارة، ولا تكتب في قرطاس، أو في كتاب، وإنما تؤخذ من قلوبهم بأفواههم في صدور أحبابهم الذين تأهلوا لأخذ الشراب من أكوابهم، وإذا عَلُوا أكثر يكون الشراب من قلوبهم لقلوب أحبابهم، من الذي يسمعهم؟ ومن الذي يعرفهم؟ وأين هذا؟ ومن الذي يكتبه؟

أمن القلوب إلى القلوب شرابى	ومن الفؤاد إلى الفؤاد خطابى
ومن اللطيفة للطيفة نظرتي	تُعطى لمطلوب من الوهاب

ولذلك الذين اشتغلوا بتسجيل كتابة كلام الصوفية تجدهم اختلفوا، فهناك من يقول أعلى المقامات مقام الرضا، ومنهم من يقول أعلى المقامات مقام المحبة .. كل جماعة على حسب ما وصلوا له، وهؤلاء كلهم في الدائرة الأولى؛ دائرة المريدين، لكن من في دائرة المرادين لا يستطيعون أن يبيحوا بالسر، إلا لصاحب سر، أمر به رب العالمين ﷻ:

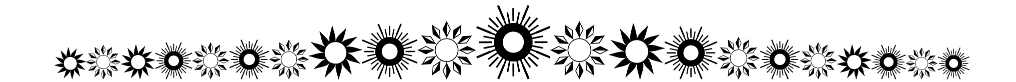
أخشى على الدُّر أن يلقى بمزبلة	فيُزدرى وأخون الحق والدين

وأيضاً:

احفظن سرّي فسرّي لا يباح	من يبح بالسِّرّ بعد العلم طاح
علمنا فوق العقول مكانة	كيف لا وهو الضيا الغيب الصراح
خصَّنا بالفضل فيه ربنا	ذاك سرٌّ غامضٌ كيف يباح

كيف يباح هذا الكلام إلا لأهله؟! وقال الإمام على رضي الله عنه وكرم الله وجهه:

(يحملونه في صدورهم حتى يُوُدِعونه قلوب أشباههم وأمثالهم).



٥-علامة المحبة

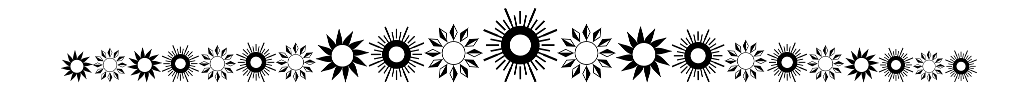
ما معنى قول الإمام أبو الحسن البصري: (علامة المحبة الموافقة للمحبوب، والتَجَاري مع طرقاته في كل الأمور، والتقرب إليه بكل صلة، والهرب من كل ما لا يعينه على مذهبه)؟

هذه حكمة واضحة ليس فيها غموض ولا لبس، ما علامة أهل محبة الله؟ أن يوافق مراد الله، وفيري مراد الله في كتاب الله ويسير عليه, أنا لي مراد، والله ﷻ له مراد، فأترك مرادي وأنفذ مراد الله ﷻ.

وكل ما طلبه مني في قرآنه، أو شرحه النبي صلى الله عليه سلم في بيانه؛ نسارع في العمل به طلبًا لرضائه ﷻ، وكل من يحاول أن يباعد بيني وبين ذلك أهرب منه، أهرب من النفس إذا كانت تثبطني، وإذا كانت تُخمِّد عزيمتي، وإذا كانت تجمدني عن الطاعة لله ﷻ، فأهرب حتى من الأصدقاء إذا كانوا حُجبًا لي عن القرب من حضرة الله، سيشغلون وقتي بالقيل والقال، ويشغلون وقتي بما لا نفع فيه في الدنيا ولا في المآل، فأهرب منهم للذي يقول للشيء كن فيكون.

باختصار: أن يكن عمله كله لرضاء الله، بما في كتاب الله، متابعًا في ذلك سيدنا رسول الله ﷺ، ومن بعده من السلف الصلح إلى يومنا هذا, إذا مشى الإنسان على هذا المنهاج فإنه يحظى بقول الله: ﴿ يُحِبُّهُمْ ﴾ ويتفضل عليه بقوله: ﴿ وَيُحِبُّونَهُۥ ﴾ (٥٤المائدة).

فإذا دخل الإنسان في هذا الباب فتح له الرحاب، وصار من أولي الألباب، ولم يكتب عليه الملكان كتاب، لأن الله ﷻ حفظه بحفظه، وسخر له الأسباب، وجعل كل كنوز حضرة الوهاب مفتوحة له في الدنيا، وفي الآخرة يكون مع: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩النساء) نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.



٦- حقيقة التوكل

يقول سهل التستري: **(التوكل الاسترسال مع الله تعالي على ما يريد)** نرجو من فضيلتكم التوضيح؟

يقصد حسن التوكل على الله، وهو أن الإنسان يأخذ بالأسباب في عالم الأسباب، ثم يعتقد تمام الاعتقاد أن الأسباب لا تفعل إلا بمسبب الأسباب، فيرضي بالنتيجة التي يحصل منها من الأسباب، ما دام قد بذل جهده وطاقته في هذا الباب، لا يحزن، ولا يهتم، ولا يغتم.

فمثلًا: طالب يذاكر دروسه، والمادة الصعبة يأخذ فيها دروس، ويبذل طاقته، ولا يجعل وقته إلا لمذاكرته، ويستعين على ذلك بطاعة الله، والمحافظة على الصلاة والصيام وما أمرنا به الله، وبعد ذلك عند دخوله الامتحان يُسلِّم الأمر لله، والذي يأتي بعد ذلك فهو مراد الله، فإذا سلَّم لمراد الله فيا هناه.

لأن كثير من الطلاب في هذا الزمان يريد كليات القمة، وفي النهاية ما هي إلا شهادات للحصول على الأرزاق، ولا أحد يعرف مصدر رزقه، عندما تذهب إلى القاهرة تجد أغنى الناس متواجدين في الأماكن التجارية، كالسبتية وغيرها، وتجد الفرد يملك سيارة فارهة، ومعه مال من غير حساب، وتجده أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وتقول له: ما الذي أتي بك إلى هنا؟ فيقول: أنا أتيت هاربًا من بلدتي وعملت هنا، فما الذي حدث؟ كما قال الرجل:

ولو أن أرزاق العباد على الحجى	لماتت إذًا من جهلهن البهائم

هناك بلاد في الفيوم أو طنطا كأنها بلاد أوربية، ما الذي حدث؟ أناس ذهبوا إلى بلاد أوربية، وهذا أخذ معه فلان، وهذا أخذ فلان، وتنافسوا في الخيرات بغير حساب، ولا يوجد معهم إلا شهادات بدائية، وفتح الله عليهم الأرزاق الحسية الدنيوية.

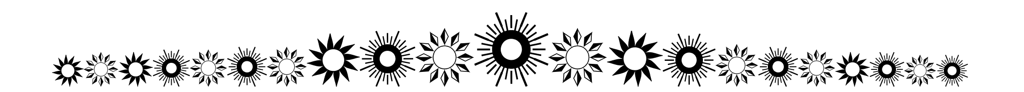
لكن الاعتماد بالكلية بالنسبة للمؤمن يكون على الحضرة الإلهية، بعد الأخذ بالأسباب، أزرع الأرض، وأبذل جهدي فيها، وأصلحها، وأحرثها، وأنتقي لها النوع الجيد من التقاوي، وأحافظ على الطريقة الجيدة لكي تأتي بمحصول وفير، والمحصول بعد ذلك على الله ﷻ.

يأتي شخص ويقول أنا عبدت الله طوال شهر رمضان، أو أقمت العشر الأواخر من رمضان، ولم أشاهد ليلة القدر، فما السبب؟ نحن نعبد الله لله، لا لنرى ليلة القدر، والله بعد ذلك يعطيني ليلة القدر، أو يجعل لي عنده قدر، فما الأفضل، أن ترى ليلة القدر، أو يكون لك عنده قدر؟ أن يكون لك عنده قدر.

فنأخذ بالأسباب، وبعد ذلك نعتمد على مسبب الأسباب، وهذا الذي يقال فيه: ((التوكل الاسترسال مع الله)) أي ننفذ ما أمرنا به الله في كتاب الله، متبعين في ذلك لحبيبه ومصطفاه، والنتيجة التي تأتي من عند الله نرضى بها ونعمل فيها بقول الله: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٢٣الحديد) الرزق الذي يأتي لي – ولو قليل –

إذا رضيت به تنزل معه البركة، ويكون أفضل من الكثير، والذي أتي له الرزق الكثير وفرح به ولم يشكر الله، ولم يفرح بالله على عطاء الله، ينزع منه البركة، فيكون أقل من القليل.

فالأفضل للإنسان أن يسترسل مع الله، ويسلم الأمور لله، مع الأخذ بالأسباب، لكن يترك الأسباب ويقول أنا متوكل على الله، فهذا تواكل وهذه سلبية، ليست في كتاب الله، ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ.



٧- التسليم والتفويض

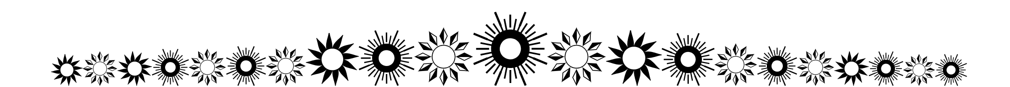
يقولون (التوكل بداية والتسليم واسطة والتفويض نهاية) إن كان للثقة في الله نهاية، نرجو التوضيح؟

أقوال الصوفية في الآيات القرآنية تكون على حسب ما وصلوا إليه من الرتب في الترقيات الإلهية، وعلى حسب الأذواق، ولذلك يختلف الحديث من صوفي لآخر، وكلام الصوفية جميعاً آراء، ومجال الآراء مفتوح، كل إنسان يُدلي برأيه، لكن لا يُحكِّم رأيه في غيره، لا يقول هذا الصواب وغيره خطأ،

وأفضل شيء في هذا الباب أن الإنسان يحتكم إلى آيات كتاب الله ﷻ، ويوازن بينها بنور فؤاده، ويضرع إلى الله بذله ومسكنته، فيفقهه الله ﷻ ويلهمه الأحسن في هذا الباب لنفسه ولمن حوله، لكن ليس لأحد منهم أن يأتي بالأحسن لكل المسلمين السابقين واللاحقين والمعاصرين، فلكل عصر دولة ورجال

والكلام الموجود بالسؤال هو كلام أحد العارفين، عبَّر عن سلوكه إلى الله، فكانت بدايته مقام التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، ثم ارتقى من مقام التوكل إلى مقام التسليم؛ تسليم الأمور كلها لله: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٤٤غافر)

ثم ارتقى من مقام التسليم إلى مقام التفويض، وهو بذلك يعبر عن رأيه في سلوكه إلى ربه، لكن هذه ليست قاعدة ثابتة لكل المريدين والسالكين.



٨- الخمول في الطاعة

ما علاج الخمول في الطاعة؟

أول علاج للخمول في الطاعة صحبة الصادقين المخلصين المجدين في طاعة الله، وقبل صحبة هؤلاء البعد عن مصاحبة الجاهلين والغافلين والمثبطين عن طاعة الله ﷻ.

فأبعد عن صحبة الأشرار، وأصحب الأخيار والأبرار والأطهار، ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ يحكي فيقول:

{ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟، فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟، فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ:

جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ } [٤]

وقد ورد أنه كان أقرب للبلد التي خرج منها لكن الله أوحى للأرض أن امتدي، لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

الإله الكريم يصفه الغافلون بالشدة والقهر والإنتقام ويخوفون الناس منه!!، لكن الحنان المنان صفاته معنا الرحمة والعطف والحنان والشفقة واللطف، لكن صفات الشدة والإنتقام والقهر على الكافرين الذين ظلوا على كفرهم حتى خرجوا من الدنيا، فقد ورد عن عمار بن يا سر ﵁ قال:

{ قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ ، خَلَقْتَ خَلْقًا فَجَعَلْتَهُمْ فِي النَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : أَنْ يَا مُوسَى، ازْرَعْ زَرْعًا ، فَزَرَعَهُ ، وَسَقَاهُ، وَقَامَ عَلَيْهِ حَتَّى حَصَدَهُ، وَدَاسَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ زَرْعُكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: رَفَعْتُهُ ، قَالَ: فَمَا تَرَكْتَ مِنْهُ؟ قَالَ: مَا لا خَيْرَ فِيهِ ، قَالَ: فَإِنِّي لا أُدْخِلُ النَّارَ إِلا مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ } [٥]

هل تأخذ الثمار الطيبة الجميله وتوقد فيها النار؟ لا، لكن توقد النار في الثمار التي لا فائدة منها، وهكذا الأمر.

---

٤ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﵁
٥ الزهد والرقائق لابن المبارك

إذاً أول أمر لمن أراد أن يستيقظ من الغفلة وأن يتوجه بالكلية إلى مولاه وأن يُقبل بصدق على طاعة الله؛ مفارقة الأشرار ومصاحبة الأخيار، فمن أشد على الإنسان شيطان الإنس أم شيطان الجن؟ شيطان الإنس لأنه لا يمل من الوسوسة في كل الأوقات، ويظل حتى يورط الإنسان معه، لكن شيطان الجن بمجرد أن تقول له (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) يفر وينتهي أمره: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٦النساء)

لكن شيطان الإنسان شديد وعتيد ولا يرتاح له بال إلا بعد أن يأخذ الإنسان معه في طريقه، إلا من شدَّ الله أزره وأيقظه وجعله ينتبه لهذه الأمور.

إذاً مفارقة الأشرار ومصاحبة الأخيار وأن يكون للإنسان أملاً طيباً يختاره من جملة الآمال التي كان يأملها الأخيار والأطهار وأصحاب النبي المختار، لان الأمل هو الذي يبعث على العمل، فما الذي يجعل الإنسان يبحث عن عمل بالخارج، ويبحث هنا وهنا؟ الأمل، يريد أن يبني بيتاً، أو يتزوج، أو يريد أن يعمل مشروعاً، لكن إذا لم يكن عنده أمل لعمل شيء من هذه الأشياء فهل سيفكر في السفر؟ لا.

فالأمل هو الذي يدفع للعمل، ولذلك آفة معظم المريدين، والتي تجعلهم يقعون في الأوحال ويقفون ولا يستمرون في السير والسلوك إلى رب العالمين أن يخمد الأمل عندهم ويصبح ضعيفاً.

يضعف اليقين، فتصبح الآمال كلها في الفاني، ولا يوجد أمل في الباقي عند الله عز وجل، فينشغل بالدنيا ومشاغلها وأهوائها وزخرفها.

لكن لا بد للإنسان أن يكون له أمل باقي عند الباقي، كأن يريد أن يكون مع رسول الله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح) والذي يريد ذلك عليه أن يعمل ويجتهد مثل الذين وصلوا لهذه المنزلة حتى يكون معهم.

أو يريد أن يكون من أهل العطاءات العالية، فيفتح الله عليه، ويفتح له كنوز الحكمة، أو خزن العلم الإلهامي، أو يعطي له نورانية وشفافية، أو يعطيه عيون مُضية تنظر – وهو في الدنيا – إلى ملكوت رب العالمين وأنوار الجنة التي أعدها الله للمتقين.

فالأمل هو الروح الباعثة للصالحين على الجد والاجتهاد والمعاناة في العبادات والصدق في طاعة رب العالمين، ما الذي يجعل الصالحين يتلذذون بالمجاهدات والمكابدات؟ الأمل، يريد أن يصل ويحقق مناه، كيف يحقق مناه؟ ينظر إلى من كان قبله كيف وصل، فيمشي على وتيرته وعلى نهجه حتى يصل كما وصل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم	إن التشبه بالرجال فلاح

ولذلك يجب أن يحرص الإنسان دائماً على أمل عال، والأمل هذا عند الباقي عز وجل، فلا شأن لنا بالآمال الفانية، فالآمال الفانية لو كانت دليل على رضا الله لما أعطاها للكافرين، فلا يوجد أحد فينا مثل ملياردير يهودي مثلاً؟ لا، وهذا ماذا تكون آخرته؟ جهنم وبئس القرار.

هذه النعم الحسية والأموال وغيرها لو كانت من رضا الله هل كان سيعطيها له؟! لا، فالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ } [٦]

وليس معنى ذلك أن نلغي الآمال الدنيوية الحسية، لكن أجعل نظير لها آمال يقينية إلهية مثل آمال أهل القرب من الحبيب المصطفى خير البرية صلى الله عليه وسلم، هذه مع هذه.

وحتى يصل إلى هذه الآمال لا بد من الاطلاع على سير هؤلاء الرجال، وأحوالهم، ليكون مثلهم ويتشبه بهم في أخلاقهم وأفعالهم وأحوالهم، وهذا هو المنهج الذي قال فيه الإمام ابو العزائم ﷺ وأرضاه في الروشتة البسيطة:

(ترك مخالطة الأشرار، ومصادقة الصالحين والأخيار والأبرار، والسير على المناهج الصحيحة والآثار).

٦ جامع الترمذي والطبراني عن سهل بن سعد رضي الله عنه

٩- الاستحضار في التشهد

كيف بكون حضور المصلى فى التشهد؟ وما المعاني التي يستحضرها المؤمن فيه؟

المؤمن يستحضر من البداية كما أخبر حضرة النبي عندما سأله جبريل عن الإحسان فقال:

{ الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ } [٧]

فأستحضر في الصلاة أنني في مناجاة الله كأنني في حضرة الله، فإن لم أكن أقوى على استحضار أنني أراه أستحضر أنه يراني ويطلع على كل شأني ظاهراً باطناً، فأناجي الله وألقي التحيات لله وأنا في حالة الحضور، وأُسلِّم على حضرة النبي وأنا أشهد أو أستحضر على الاقل أنني في حضرة هذا النور، وأنه يسمعني ويراني ويرد عليَّ السلام:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ } [٨]

وأستحضر عند السلام على الصالحين كل الصالحين السابقين والمعاصرين واللاحقين في السماء والأرض، قال صلى الله عليه وسلم:

---

٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
٨ معجم الطبراني ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

{ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } [٩]

كل عبد صالح في السماء والأرض يذهب إليه السلام، وهذا السلام معناه تحية وإكرام تذهب إليه من الله، فالسلام ليس بكلمة، فأنا أُلقي السلام، لكن يذهب إليه تحية وإكرام على قدره وعلى قدر مقامه من الله بطلبي له، وهذا فضل الله وإكرام الله ﷻ لعباد الله الصالحين.

---

٩ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

١٠- الإنسان الكامل

طرح الشيخ محي بن عربي نظرية الإنسان الكامل، والتي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه الصفات الإلهية إذا تيَّسر له الإستغراق في وحدانية الله، فنرجوا من فضيلتكم توضيح هذا الأمر؟

عندما ننظر في كتاب الله ﷻ نجد أن الإنسان هو المخلوق الأعلى بين مخلوقات حضرة الرحمن ﷻ، فإن الله ما خلق السماوات ولا الأرض ولا الجن ولا الملائكة ولا الجنة ولا النار ولا كل عوالمها الظاهرة والباطنة إلا من أجل الإنسان، لأن الإنسان أعزُّ مخلوقات حضرة الرحمن ﷻ، وبيَّن الله ﷻ هذه الحقيقة في قوله في آخر سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ من الذي حملها؟ ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ وقبل حملها: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (٧٢الأحزاب).

وما الأمانة؟ فيها كلامٌ كثير للمفسرين والمؤولين والعلماء، والإمام أبو العزائم جمعها في كلمة جامعة قال فيها: (الأمانة هي كل ما فيك من أوصاف خالقك وباريك) ....

أنت فيك الجسم الذي خُلق من تراب، ومشتملاته وعناصره، لكن هل التراب يُبصر؟ لا، إذاً كيف أُبصر بهذه الشحمة؟ بسر تجلي البصير ﷻ، فهذه أمانة حمَّلها لي الله، وهل هذه العظمة التي في أذني تسمع بذاتها؟ لا، ولكن تسمع إذا تجلَّى عليها الله بسر السميع، ولذلك قال ﷺ:

{ السَّمْعُ أَمَانَةٌ، وَالْبَصَرُ أَمَانَةٌ } [10]

أمانة من أمانات الله ﷻ التي في الإنسان، وكل الحقائق التي في الإنسان والتي بها الإنسان إنسان، والتي يرتقي بها إلى مراتب الزُلفى من حضرة الرحمن، فهذه كلها من الله ﷻ، وهي أمانة الله سبحانه وتعالى.

هذه الأمانات لعُلو شأنها، وارتفاع قدرها عند الله ﷻ لم يستطع أحدٌ من المخلوقات العالية أو الدانية أن يتجمَّل بها .... منهم الجماد، والجماد لا يسمع ولا يُبصر مثلنا، ومنهم الحيوانات ولا تستطيع أن تتفوه بما تريد مثلنا، ومنهم ومنهم، وكلٌ عاجزٌ إلا الإنسان.

من الذي حمل الأسماء الإلهية والصفات الربانية كلها؟ الإنسان، فمعه السميع، ومعه البصير، ومعه المتكلم، ومعه الحي، ومعه المريد، ومعه القادر ومعه العليم، ومعه الخبير .. كل هذه الأوصاف تتجلَّى في الإنسان.

لكن عرض الله الأمانات على السماوات والأرض ، فالسماء أخذت إسماً واحداً فقط وهو الرافع، فرفعها بإسمه الرافع: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ (٧الرحمن) والأرض أخذت إسماً واحداً فقط وهو الباسط:

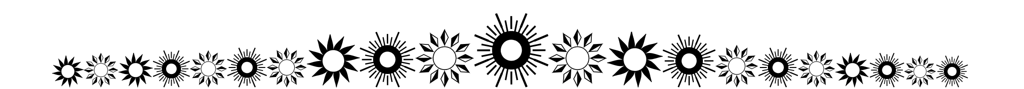
---

١٠ فوائد تمام الرازي عن ابن عمر رضي الله عنهما

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ (١٩نوح) والجبال أخذت القوي والمتين.

لكن الأسماء كلها جُمعت في الخليفة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠البقرة) والخليفة هو وذريته، فكل واحد من ذريته وارثٌ للخلافة عن أبينا آدم، لأن الله جمَّل الإنسان بالخلافة عن حضرته.

فهذه هي الأمانات التي بها جعل الله الإنسان هو محط نظر كل الكائنات، وهو وحده الذي تندرج فيه جميع الدرجات، وتلوح له وتنطوي فيه كل المقامات لأنه خليفة الله، كما بين الله ﷻ في كتاب الله.



١١– من إشارات أبي اليزيد البسطامي

وردت أقوال عن أبي اليزيد البسطامي مثل: (**خرجتُ من الحق إلى الحق، حتى صاح فيَّ: يا من أنت أنا، فقد تحققتُ لمقام الفناء في الله**) وقوله: (**سبحاني ما أعظم شاني**) فما صحّة هذه الأقوال؟

الشيخ أبو يزيد البسطامي كان يحدث له أحياناً حالة وَلَهٌ، والوله يعني يغيب عن الوعي شُغلاً بالمشاهد العالية التي يشهدها، فعندما كان يغيب في هذه المشاهد كان أحياناً يفنى في الشاهد الأعلى ﷻ، فيتحدَّث بلسان الحضرة الإلهية، وليس بلسانه هو.

وقد كشف الله ﷻ عن ذلك لنا في القرآن، عندما نقرأ في القرآن في سورة طه، عندما يتكلم عن سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿ **فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ** ﴾ (١٢طه) يتكلم مع المريد:﴿ **إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ** ﴾ (طه) اخترتك لهذا المقام: ﴿ **فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ** ﴾ (١٣طه) وبعدها يسمع: ﴿ **إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي** ﴾ (١٤طه)

عندما يقرأ القارئ هذه الآية، فبلسان من يقرأها؟ بلسان الله أم بلسانه هو؟ وهل نعبد القاريء؟ لا، ولكنه يتكلم بلسان الله: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ (١٤طه) فهنا يتكلم بلسان الحضرة الإلهية.

وعلى هذا النمط كان العارفون عندما يغيبوا عن الوعي، يتكلمون بلسان الحضرة الإلهية، ولما كان بعضهم يفيق ويعيبوا عليه ذلك كسيدنا إبراهيم الدسوقي ﷺ وأرضاه لما تكلم كلاماً عالياً:

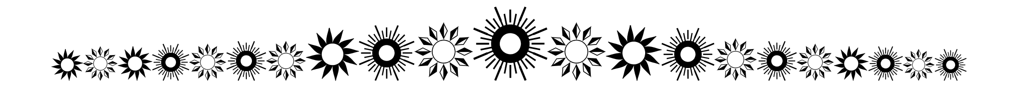
على الدُرة البيضاء كان اجتماعنا	وفي قاب قوسين اجتماع الأحبة
وصرت أنا الساقي لمن كان حاضراً	أطوف عليهم كرةً بعد كرةٍ

وقال في هذه القصيدة كلاماً عالياً، وبعد أن انتهى من هذا الكلام وأفاق، قالوا له: أنت قلت كذا، قال لهم: لو قلت هذا الكلام فاضربوني بالسيف.

لأنه لم يكن يدري ماذا يقول، لأنه كان يتكلم بلسان الحضرة، وهم لو ضربوه فلن يمسوه بسوء لأنه في هذا الحال يكون محفوظاً بحفظ الحفيظ ﷻ.

فمثل هذه العبارات ومثل هذه الكلمات تفوَّه بها أبو اليزيد البسطامي وغيره في حالة الفناء الكلي بلسان الحضرة الإلهية، أو بلسان الحضرة المحمدية، أو كما قالوا:

والفتى المجذوب بالحب له آيةٌ	إن ذاق خمر الحب صاح
وهو محمول العناية إن يبح	بالحقائق ما على الفاني جُناح



١٢- معرفة الله

ما معنى معرفة الله؟ أوليس كل مسلم يعرف الله؟

☼☼

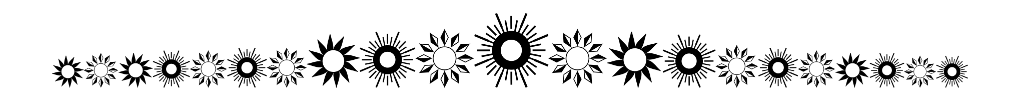
هناك معرفة عقلية، وهو أن الإنسان يعرف الله ﷻ عندما ينظر في الآفاق وفي نفسه إلى دلائل قدرة الله، وإلى غرائب حكمته ﷻ.

وهناك معرفةٌ قلبية وهي أن يكشف الله ﷻ الران عن قلب الإنسان: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففين).

فإذا ارتفع الران وشاهد بعين البصيرة، يشاهد أنوار الحنان المنان لائحةٌ في كل زمان ومكان: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (١١٥البقرة).

فهذه معرفة وتلك معرفة، فهذه معرفة بالعقل، وتلك معرفة بالعين، فهل يستويان؟!.

والصالحون يدعون الصادقين إلى المعرفة الأعلى، والتي يقول فيها رب العالمين: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ** ﴾ (١٨آل عمران) الذين وصلوا لهذا العلم وهو علم اليقين، علم اليقين وحق اليقين، فهؤلاء القوم يشهدون بما يُشهدهم الله ﷻ، فتقع العين على العين، وهي المعرفة الحقيقية التي تكون بعين البصيرة النورانية.



١٣- واجب الوقت

ما معنى الإشارة فى قول الشيخ عمرو بن عثمان المكي:

(التصوف هو أن يكون العبد في كل وقتٍ بما هو أولى به الوقت)؟

هذا تعريف من تعريفات التصوف، فالتصوف له أكثر من تعريف، وكل عالِمٍ عرَّفه على حسب حاله، وعلى حسب ما وصل إليه في فضل الله وإكرام الله.

وبعض الصالحين له أكثر من تعريف، فكلما وصل إلى مرحلة يُعطي تعريفاً للتصوف، فيعلوا إلى مرحلة أعلى فيُعطي تعريفاً أعلى.

فالشيخ عمرو بن عثمان المكي، والمكي نسبةً إلى مكة، لأن هؤلاء القوم منهم من كان يسلك الطريق فيذهب إلى مكة ويقيم هناك، فيسموه المكي نسبةً إلى مكة.

هذا الرجل جعل التصوف قرين العلم، يعني الإنسان لكي يتصوف فلا بد أن يعلم بواجب الوقت في كل وقت، ويقوم بهذا الواجب في الوقت كما أمر الله، وكما بيَّن رسول الله ﷺ.

والله ﷻ جعل لكل وقتٍ واجبات، فمثلاً الصلاة قال فيها الله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ (١٠٣النساء) فهذه الفرائض، فما بال النوافل؟ قال فيها الله لحبيبه ﷺ: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨ ﴾ (الإنشراح).

إذاً فواجب الوقت هنا قبل النوافل السعي على المعاش، وقضاء حوائج البيت، وقضاء حوائج الإنسان التي لا يستطيع أن يُسخِّر فيها غيره ليقضيها له، وبعد ذلك يبحث عن النوافل، فمن أقبل على النوافل وترك طلبات الأولاد وحاجياتهم وضرورات نفسه، فهل هذا يمشي على المنهج الصحيح أم أخطأ؟ أخطأ لأنه لم يمش على حسب واجب الوقت.

واجب الوقت هنا أن يبحث عمن يمولهم ثم بعد ذلك يُقبل على النوافل التي يتزود منها قرباً لرب العباد ﷻ.

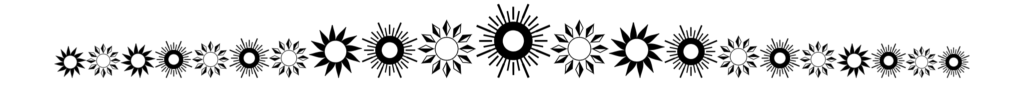
إنسان يريد أن يؤدي حج نافلة، وعنده إبنه أو إبنته مقبلةٌ على الزواج وتحتاج إلى الجهاز، وهو ليس معه غير مبلغ من المال يكفي الحج أو الجهاز، فمن الأَوْلى هنا؟ أن يزوج الولد أو يزوج البنت مادام حج الفريضة، فهذه الحالة أولى في هذا الأمر.

ففقه الأولويات يحتاج إلى العلم من العلماء العرفاء الذين كشف الله لهم حقيقة الأشياء، وبيَّن لهم الواجب والأوجب والحسن والأحسن وهؤلاء الذين:

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ (١٨الزمر) الحسن أم الأحسن؟ الأحسن، لم يقل: فيتبعون حسنه، ولكن قال:

﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ لأنه عرف هذا من ذاك.

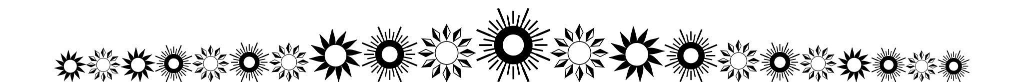
فإذاً على هذا المنوال لا بد للصوفية أن يكونوا على بيِّنة كاملة بالعلم الإلهي والعلم النبوي والعلم الشرعي، ومعه نورٌ في فؤاده يكشف له عن واجب الوقت، ليسارع إلى أداء هذا الواجب في وقته حتى ينال فضل الله ﷻ وإكرامه وينال محبة حبيبه ﷺ.



١٤– التحقق بمقامات القرب

يقول الشيخ أبو النصر السراج عن الصوفية: ((الواجدون بما تحققوا، الفانون بما وجدوا، لأن كل واحدٍ قد فنى بما وجد)) ، نرجو من فضيلتكم التوضيح؟

يعني عندما يتحقق الإنسان بمقامٍ من مقامات القرب من الله، تحققه يعني دخول هذا المقام كليّاً وفعلياً وعملياً، وليس قولياً فقط، فلما يدخل في هذا المقام يحدث له حالة وجْد، وحالة شوق، وحالة حب في الأفعال التي يتطلبها هذا المقام فيسعى إليها ويقوم فيها بحبٍ واصطلامٍ وغرام لينال محبة الله ﷻ، فإذا صنع فيها ذلك، وقام بها كذلك، فني عن نفسه، وظهرت له مواهب الله ﷻ لأهل هذا المقام، فتأتيه المواهب الإلهية لأن البداية صوفية والنهاية مواهب تأتي الإنسان من الحضرة الإلهية لأنه مشى على هذا المنهاج الأكمل منهاج سيدنا رسول الله ﷺ.



١٥- الموت والحياة بالحق

ما معنى قول الشيخ الجنيد: ((التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به))؟

الإنسان ثُنائي، فيه الجسم الذي فيه ما يحتاج إليه من شهوات ومن مطعومات ومن أهواء ومن حظوظ ومن ملذات، وفيه نفخةٌ من الله، هي سر الحياة التي فينا: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (٢٩الحجر).

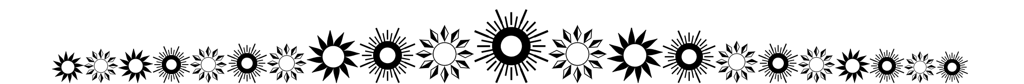
ونفخة الحياة قوتها ذكر الله، وشرابها كتاب الله، وسُقياها من رسول الله، وحياتها حياةٌ روحانية أعلى وأكرم من حياة ملائكة الله جل في علاه.

فإذا أراد الله ﷻ بعبده خيراً أمات في نفسه طلب الشهوات الفانيات، والرغبة في الحظوظ غير الباقيات، فلا يجد في نفسه رغبة في هذه الأشياء، ويجدها كلها تستوي مع بعضها، ويجد رغبةً شديدةً فيما عند الله، وفيما أباحه له مولاه إذا كان قريباً من حضرته جل في علاه.

إذا أمات الله في النفس الطلب والرغبة لهذه الشهوات، ثم للمباحات، وجعل هذا الإنسان هواه كله في مولاه، يحييه الله ﷻ حياةً حقَّةً يقول فيها في الحديث القدسي:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا }[١١]

ويكون داخلاً في قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا ﴾ ميتاً عن حظوظه وشهواته وأهوائه، فلم تعد تُسيطر عليه، فهو الذي يُسيطر عليها: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ احتيا بالله، لما يحبه الله ويرضاه: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢الأنعام) نوراً في الدنيا، وليس في الآخرة، وهذا مقصد الإمام الجنيد رضي الله عنه.



١١ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٦- الصوفية والأُنس بالخالق وبالخلق

ما معنى قول الحلاَّج: (الصوفي وحداني الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحد)؟

الصوفي الحقيقي الذي أحسن الإقبال على الله، ولا يجد أُنساً بمجالسة أحدٍ من البشر إلا إذا كان على منواله او الأُنس بالله جل في علاه.

يستوحش من مجالسة الغافلين - يعني يشعر بوحشة شديدة - ويستوحش من مجالسة البلطجية والبطالين، ويستوحش من مجالسة المشغولين بالدنيا عن الدين، فلا يأنس إلا بالله، أو من كان على نسقه وحاله من عباد الله، وأنتم تعلمون أن أُويس القرني ﷺ الذي قال فيه ﷺ لأصحابه:

{ إِنَّ رَجُلا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَنِ، يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ } [١٢]

أُويس القرني من اليمن منعه من المجيء إلى النبي ﷺ برّهِ بأمه، وكان وحيد أمه، وكلما يقول لها: أذهب لرسول الله، تقول له: ولمن تتركني؟ وهو يريد أن يبرها، حتى انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يرى رسول الله ظاهراً.

---

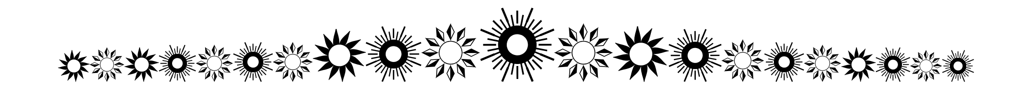
١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ

سيدنا عمر كان كل عام يذهب وينادي على أهل اليمن: أفيكم أُويس، فيقولون: لا ليس معنا أُويس، وذات مرة قالوا له: ليس معنا إلا راعي لنا إسمه أُويس، يعني رجلٌ فقير ومسكين، فقال لهم: وأين هو؟

قالوا: في المكان الفلاني، وكان معه سيدنا الإمام علي، فذهبا إلى هناك وسأله عمر: أأنت أُويس؟ قال: نعم، وأخبره بما قال رسول الله فيه، وأن به علامة أخبرهم عنها سيدنا رسول الله، وهي أن فيه بمقدار درهم أثر برصٍ كان قد أُصيب به وشفاه الله منه، وظلت هذه العلامة باقية ليعرفوه، فقال لهم: هذه العلامة، وبعد محادثة قال له سيدنا عمر: هلا جئت لتعيش معنا في المدينة تأنس بنا ونأنس بك، فقال أُويس:

عجباً يا أمير المؤمنين من أنس بالله كيف يأنس بسواه؟!.

لا يأنس بسلطان، ولا يأنس بأغنياء ولا وجهاء، ولا يأنس بأحدٍ من الخلق إلا إذا كان هناك من على شاكلته، لماذا؟ لأن ذلك لن يحجبه عما هو فيه من القرب من حضرة الحق ﷻ .... وهذا هو وحداني الصفات، يعني لا يُقبل على أحد إلا إذا كان على شاكلته في الصفات من الإقبال على الله، وفي حب الله ورسوله، وفي دوام ذكر الله، وفي الأُنس بالله جل علاه، هو على شاكلته، فهذا الذي يأنس به ولا يأنس بغيره.



١٧- الجلوس مع الله

يقول الشيخ أبو بكر الشبلي:

(التصوف هو الجلوس مع الله بلا همٍّ) فما معنى الجلوس مع الله؟

ألیس الله ﷻ القائل في حديثه القدسي: { **أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي** }[١٣]

الإنسان عندما يذكر الله يكون جليس لله ﷻ، وقال الله تعالى:

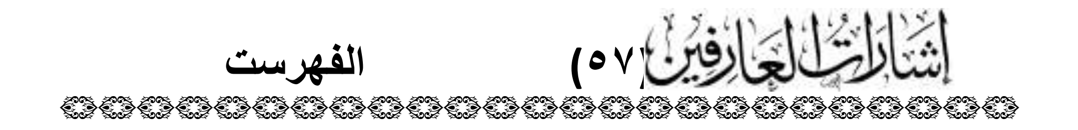
{ **أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ** }[١٤]

مادام يذكر الله بأي ذكرٍ فيكون معه الله، وكيف يكون معه؟ معه بتأييده، ومعه بمعونته، ومعه بتوفيقه، ومعه بنصره، ومعه بالإجابة، ومعه بتيسير الأمور، معه بكل هذه المعاني وغيرها، وليس معية جسمانية كمعيتنا هذه حاشا لله ﷻ، ولكن معه بتأييده ونصره وكل هذه المعاني الإلهية التي تليق به ﷻ.

إذاً الإنسان الذاكر لله، ويذكر الله الذكر الحقيقي الذي لا ينشغل قلبه أثناءه عن الله، هو الجليس لله ﷻ، لكن أنا أذكر الله وقلبي مليء بمشاغل ومشاكل وأحوال الخلق، فهذا قال فيه ﷺ:

---

١٣ بحر الفوائد للكلاباذي، وأحاديث أبي الحسين الكلابي عن أبي مروان الأسلمي ﷺ
١٤ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

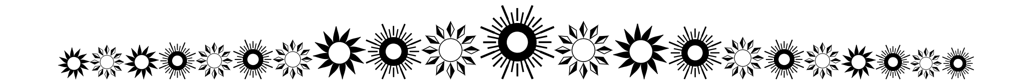


{ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ } [١٥]

إذا كان قلب لاه فكيف يذكر الله؟! لكن من يذكر الله فعلاً لا يكون في قلبه إلا الله، فهذا كما يقولون:

اذكر الله إن نسيت سواه	قل بقلبٍ في الذكر يا ألله

فهذا على الفور جليس الله، ويكون في حضرة الله جل في عُلاه.



١٥ جامع الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ﵁

١٨- الجمع على الله

ما معنى قول الشيخ أحمد الرفاعي: .... (لا يكمل الرجل حتى يفر عن قلبه وسره وعلمه وهمه وفكره وكل ما خطر بباله غير ربه)؟

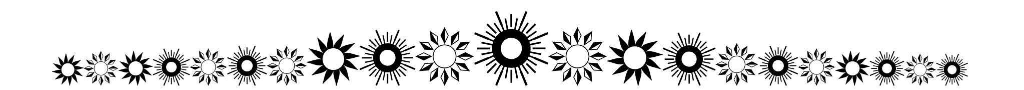
هذا قول اتفق عليه – ليس سيدي أحمد الرفاعي فقط – لكن كل الصادقين؛ أن الإنسان لكي يبلغ أعلى مقامات الإيقان فلا بد أن لا يرى لنفسه حولاً ولا طولاً ولا قوة ولا علمًا ولا أي شيء من ذلك.

وإنما لا يرى إلا جمالات الله عز جل التي جمَّله بها، ويرى أنه كأصله الذي ذكره ربه، إما سلالة من طين، وإما من تراب، وإما من ماء مهين، وما زاد عن الطين فيراه جمال من رب العالمين ﷻ.

ويري أن علمه فضل من الله تفضَّل به عليه حضرة العليم، وقوته أمده بها حضرة القوي، ولطفه في المعاملة بتجلي إسم اللطيف عليه، ويرى أن كل شيء يفعله أو يتحركه أو يقوم به إنما بإمداد من ربه، ولو تركه الله ﷻ وشأنه لا يستطيع أن يقوم بشيء، والله ﷻ قد طلب منا ذلك، وأمرنا بذلك في قوله الذي نكرره في كل ركعة من ركعات الصلاة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥الفاتحة) لو توقفت المعونة لن نستطع العبادة أبداً، فلا قوة لنا على طاعته إلا بحوله وقوته، ولا حفظ لنا عن معصيته إلا بحفظة وصيانته.

وهذا هو حال كمَّل الصالحين على الدوام ...

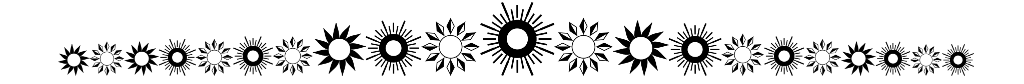
يتكلم فيرى سر المتكلم هو الذي ألهمه، وهو الذي أنطقه، وهو الذي حرك الشفتين واللسان بالنطق، وهو الذي حرك الأوتار لتخرج النغمات، وهو الذي حرك هذه القلوب وفتح آذانها لتسمع هذا الكلام وتتلذذ به، فالأمر كله من الله وبالله ولله جل في علاه.



١٩- زهد المقربين

ما معني قول الإمام الجنيد ﷺ : ... (الزهد خلو القلب عما خلت من اليد واستصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب)؟

هذا الأمر أجبنا عنه عندما تكلمنا عن مراتب الزهد، وقلنا أن أعلى هذه المراتب أن يزهد الإنسان بقلبه عما سوى مولاه، فلا يلتفت إليه ولا يتجه إليه ولا يطلبه، حتى لو أشار إليه المولى من بين يديه لا يطلب من الله إلا الله، ويزهد في كل ما سوى الله ﷻ، وهذا مقام عالٍ، وهو مقام كُمَّل الورثة لسيدنا رسول الله ﷺ.



٢٠- سر الوصول

نرجو توضيح قول الشيخ أبى الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

(ليس هذا الطريق بالرهبانية وأكل الشعير بل بالصبر والحضور مع الله)؟

هذا الكلام شرحناه مراراً وتكراراً، فبعض القوم ظن أن الوصول إلى الله بالزهد، والملبس الخشن، والأكل الجاف الذي لا يليق، والإكثار من العبادات التي تضارع وتشابه الرهبانية، فالرهبان الذين يعيشون في الأديرة ماذا يصنعون؟ عيشة خشنة تامة البعد عن كل الشهوات التي يتطلبها الهيكل الإنساني، ممنوعين من الزواج لكي لا يوجد شهوة للنساء، أو النساء الراهبات لا يجدن شهوة للرجال، فلا توجد شهوة جنسية، ولا يأكلون إلا من عمل أيديهم، فلا يشترون أي شيء، ولذلك لهم مزرعة خاصة لا يأكلون إلا من هذه المزرعة فقط، ما هذا؟! حالة تقشف، لكن هذه الحياة قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ إِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَلَمْ أُبْعَثْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْبِدْعَةِ } [١٦]

---

١٦ معجم الطبراني ومسند الروياني عن أبي إمامة رضي الله عنه

فالإسلام ليس به رهبانية، فما طريقتنا؟ الرجل الذي ذهب لسيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه وقال له: أنا أريد أن لا ألبس من الثياب إلا كذا من الثياب الرثة، ولا آكل من الطعام إلا الجاف الشديد، ولا أنام إلا على التراب، ولا ألتحف إلا السماء، فقال له: لِمَ تشدد على نفسك؟! اعرف الله وكن كيف شئت.

كل كما شئت لكن لا بد أن تعرف الله، فمعرفة الله هي كل شيء، ذهب رجل لسيدي أبو الحسن الشاذلي يدَّعي الجذب فرأى الشيخ يلبس ثياباً فخمة، والشيخ كان في آخر حياته، وحياة الكُمَّل يكون الجهاد فيها في البدايات، ولا أحد يراه، والذي يغتر بأحوال النهايات لا يصل للنهايات، لأنه لم ير البدايات.

فالشيخ أبو الحسن الشاذلي كان يعيش في جبل شاذلة في بلاد تونس، وكانت توجد عين من الماء يتوضأ منها ويغتسل منها ويشرب منها، وكان يأكل الحشيش النابت في هذا الجبل لمدة سبع سنين!، فمن الذي يستطيع أن يعيش سبعة سنين على هذه الكيفية؟! وبعد ذلك أتي له الأمر: (انزل اهدي الناس إلينا) فأخذ الصبغة المحمدية، يلبس أحسن الثياب، ويركب أفخر الدواب، ويأكل أحسن الطعام، ويرى أن كل هذا يقدم له من قِبَل الله ﷻ، يأكل كالضيف، والضيف يأكل من يد المضيف، والمضيف هو الله ﷻ.

فقال الرجل الذي يدَّعي الزهد والورع: ما هذا أيها الشيخ أنت تلبس هذه الثياب الفخمة؟! فقال له: **(ملابسك هذه تقول أعطني شيئا لله، وملابسي هذه تقول الحمد لله)** الأحسن الملابس التي تعبر عن الشكر، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ }[١٧]

ذهب الشيخ سفيان الثوري وكان من كبار الفقهاء وصاحب مذهب مشهور في زمانه لسيدنا جعفر الصادق فقال له: كيف تشرب الماء البارد؟ وكيف تأكل التفاح؟ قال له: **(لنعمة الله عليك في الماء أكثر من نعمته عليك في التفاح)** تستطيع أن تستغني عن التفاح ولا تستطيع أن تستغني عن الماء، فقال له: ولِمَ تلبس هذا الملبس الناعم؟ قال له: أعطني يدك، فأدخلها تحت ملابسه، فوجد أنه يلبس شيء مثل الخيش الخشن، ثم قال: جعلنا هذا لله، وجعلنا هذا لخلق الله، فما كان لله أخفيناه وما كان للخلق أبديناه، لا بد من أن يُظهر الإنسان نعمة الله عليه، فليس الطريق إلى الله بلبس الخشن، ولا بالأكل الجاف الغليظ، ولا بالنوم على التراب، ولكن بخلو القلب من التعلق بالأسباب، وارتباطه بحضرة الكريم الوهاب ﷻ، فما دام القلب ارتبط بالله فإن الإنسان بأي وضع وأي حال يكون مع الله جل في علاه.

---

١٧ مسند أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢١- الرب والعبد

نرجو شرح معنى قول الشيخ محي الدين بن عربي:

العبد حق والرب حق	ياليت شعري من المُكلّف؟
إن قلت عبد فذاك ميت	وإن قلت رب أنَّى يكلف

هذين البيتين شرحهم الشيخ محي الدين بن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) وهو مكون من أربع مجلدات، وكل الفتوحات المكية شرح لهذين البيتين

العبد حق طالما فيه حياة، والحياة تأتي من أين؟ ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (٢٩الحجر) فإذا خرجت نفخة الروح فيكون جيفه قذرة، فالعبد حق بما فيه من سر خالقه وباريه، والرب حق وهذا شيء لا ينكره أحد، فإن الله ﷻ هو مالك الملك والملكوت، وصاحب العزة والجبروت.

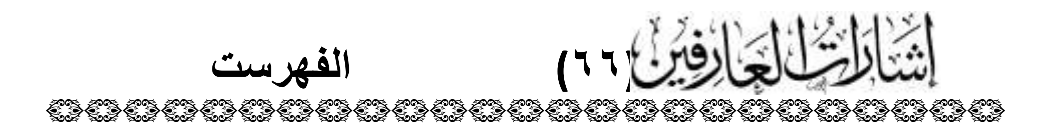
(يا ليت شعري من المكلف) التكليف الذي كلفنا به الله كالصلاة من المكلَّف بها؟ هل الحقائق الربانية التي بداخلي؟ أم الحقائق الطينية التي أمشي بها؟

إن قلت عبد فذاك ميت والميت كيف يكلَّف؟ وإن قلت رب أني يكلَّف، وكما وضحها الإمام أبوالعزائم رضي الله عنه، فقد كان يُصلِّي لله ذات مرة، فأراد أن يفك هذا الرمز، فقال ملتفًتا ولافتاً نظر أصحابه: (بك لك أصلي) أي بما استودعته فيَّ من هباتك الربانية، وعطاءاتك الصمدانية، أصلي لذاتك الإلهية.

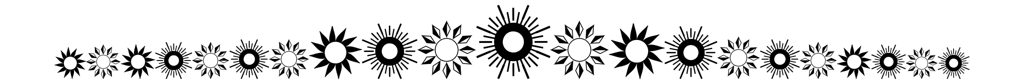
ما الذي فيك؟ فيك مظهر للأسماء والصفات، السميع صفة الله تجلَّى به عليك، البصير صفة الله تجلَّى بها عليك، الحي صفة الله تجلَّى بها عليك، القادر صفة الله تجلَّى بها عليك، لأنك خليفة الله فجملك الله بأسماءه الحسنى.

فأنت تتحرك وتتكلم وتشتغل بسر الأسماء الحسنى التي فيك، فالأسماء الحسنى التي فيك هي التي تتوجه بالعبادة إلى حضرة الذات المقدسة الإلهية، فما أنا؟ أنا آلة والله جل الفاعل.

لو أخذ الله ما فيَّ منه فما معي؟! لا شيء، فأنا أعبد الله بما فيَّ من جمالات الله، متوجهاً بها لحضرة ذات الله جل في علاه، فإذا وصل الإنسان لهذه المرحلة فتكون هذه العبادة هي الخالصة الصادقة التي ليس بها شائبة لله ﷻ، وهذه عبادة الكمَّل من الصالحين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين، قال في ذلك الإمام أبوالعزائم رضي الله عنه:



ما غاب عنى حبيبي	لكنه كلّفني
فصرت بعد يقيني	بالفضل قد عرَّفني
أنا بمن في وجودي	من بالصفا أتحفني
تلك التكاليف رمز	لَمَّا بها شرَّفني



٢٢- الطرائق إلى الله

نرجوا توضيح قول أحد الصالحين: (إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق)؟

الطرق التي توصل إلى الله ﷻ لا يستطيع أحد من الأولين ولا الآخرين عدها ولا حسابها، نأخذ طريقًا واحدًا منها، طريق أهل الجذب، من الذي يستطيع أن يعد الكيفيات التي يُجذب بها أهل الجذب إلى الله ﷻ، شيء يفوق العقل، ويفوق الوهم، ويفوق الخيال، لأن هذه قدرة القادر ﷻ.

كما أن الله ﷻ لإثبات دلائل قدرته جعل لكل إنسان من بدء الزمان إلى آخر الزمان خصوصية في بشريته، كل فرد له تقاطيع وجه، واللون، والصوت، وبصمة الأيدي، وبصمة الأرجل، وبصمة العين، وبصمة الأسنان، والدم وتكوينه، وكل شيء في كل إنسان فريد عن جميع بني الإنسان قبلًا وبعدًا، وهذا دليل على وحدانية الواحد ﷻ، وكذلك لكل إنسان من رحمة الرحمن طرائق لا تعد يصل بها إلى حضرة الله، وهذا من سعة كرم الله، فإن لم يصل بهذه الطريقة يصل بالطريقة الأخرى أو بغيرها، فيكون عنده طرائق لا تعد؛ لكي يقام عليه الحجة.

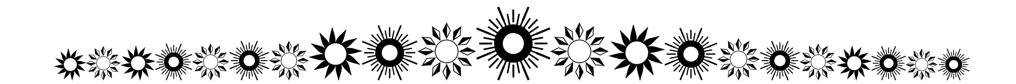
لأن الله ﷻ سهّل له الأمر، وهو الذي عسّر على نفسه لتسليمه ما به لنفسه وهواه، ولذلك عندما يذهب مريد لأحد الصالحين؛ يقول له: هذه طريقتك فإن لم يسر فيها؛ يقول له: اذهب إلى الطريقة الأخرى، وإن لم يسر فيها فيقول له: اذهب إلى طريقة أخرى، لماذا؟ لأن لكل فرد طرائق لا تحد للوصول إلى الله ﷻ.

منهم من يصل إلى الله بالخدمة، ومنهم من يصل إلى الله بالمحبة، ومنهم من يكشف الله عنه الطوق فتنهمر عليه أنوار الله، ويغيب عن الدنيا وما فيها؛ لتمتعه بما يشهده من جمال الله وجمال أسماء الله وصفات الله،

ومنهم من يأخذ بيده سيدنا رسول الله ﷺ، هذه كلها طرق وغيرها موجودة لكل فرد من المؤمنين؛ رحمة من الرحمن ﷻ.

لكي لا يقول أحد منا: كيف أصل إلى الله وليس لي طريق أصل به إلى الله؟ بل لكل فرد منا طرق لا تعد ولا تحد، لكن شرطها اترك نفسك خلفك وتعالى، لكن إذا أتيت ومعك نفسك فتكون في لَبْسك:

مني أسافر لا من كوني الداني	أفردت ربي لا حور وولدان



٢٣- الإشارة فى معنى الفرقان

ما معنى الفرقان؟ وما الإشارة فى استخدام هذا اللفظ؟

أسماء القرآن الموجودة في كتاب الله؛ كل إسم يُعطي تخصص من تخصصات كتاب الله عز وجل، فكلمة الفرقان تعني الآيات التي تتحدث عن الشريعة لأنها فارقة بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام.

أما الفرقان : فبالنسبة للعبد فهو النور الذي يُفيضه الله ﷻ على باطنه وبه يميز بين حقائق الأشياء، فيعرف الحق من الباطل، ويعرف الطيب من الخبيث، ويعرف الحسن من الأحسن، وبه يميز بين حقائق بني البشر، قال صلى الله عليه وسلم:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } [١٨]

فيعرف الصادق من الكاذب بعلامة وسميا يراها في وجهه، ويعرف المنافق من صادق الإيمان في لحن القول، أو من النظر إلى عينه، أو من النظر إلى وجهه.

---

١٨ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

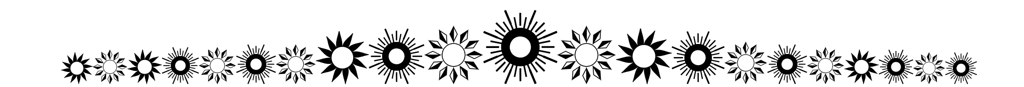
فمن إعجاز الله ﷻ أن أي إنسان فيه شاشات كثيرة تعبر عما بداخل الإنسان ظاهراً أو باطناً، فمثلاً: عين الإنسان إذا نظر إليها الطبيب النُطاسي الحكيم يعرف الأمراض التي في هذا الجسم، وإذا نظر إليها العارف الرباني يعرف ما صنعته وما نظرت إليه هذه العين، كما قال سيدنا عثمان:

(ألا بستحى أحكم أن يدخل عليَّ وفي عينيه أثر الزنا،؟قالوا: أوحي بعد رسول

الله يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن).

إذا نظر الطبيب الحكيم إلى هذه اللوحة الربانية (الجبهة) يعرف منها الأمراض الجسمانية التي يعاني منها الإنسان...، وإذا نظر إليها العارف الرباني يعرف الأمراض الباطنية والقلاقل الداخلية التي يعاني منها هذا الإنسان، فكل شيء في الإنسان يدل على ما بداخل الإنسان ظاهراً أو باطناً.

فالذي معه الفرقان، أي معه النور الفارق الذي يفرق بين هذه الحقائق بإمداد له من الله، وبنور اكتحلت به عين بصيرته من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.



الباب الثانى

مصطلحات أهل الطريق

الباب الثانى

مصطلحات أهل الطريق

١- مصطلحات الصوفية

يؤخذ على الصوفية بعض المصطلحات التي روَّجوها بين الناس، واستعملوها فيما بينهم، فلا يشك أحدٌ في كونها أجنبية في الإسلام، ولغة الإسلام عربية، وهي مقتبسةٌ ومأخوذة من المسيحية بحروفها وألفاظها ومعانيها ومدلولاتها مثل: ناموس – رحموت – رهبوت – لاهوت – جبروت – رباني – روحاني – شعشعاني – وجدانية – فردانية – ربوبية، فما قول فضيلتكم؟

هذه الألفاظ كلها هل حروفها عربية أم غير عربية؟ عربية، هل فيها كلمة إنجليزية أو فارسية أو فرنسية؟ لا، إذاً ما دامت حروفها عربية فما الذي يُبعدنا ويجعلنا نتبع المستشرقين الذين يريدون أن يشككونا في الدين ويقولون: هذه الألفاظ ليست لكم، وقد أخذتموها عن الآخرين.

هذه الألفاظ عربية، ولها معاني في القواميس العربية، ونحن نستخدمها على حسب معانيها الموجودة في القواميس العربية، فما المانع في هذا الأمر؟!.

فمثلاً كلمة الجبروت: فهذا عالم من العوالم الإلهية، والنعموت والعظموت عوالم إلهية، هل هذه العوالم الإلهية موجودة في المسيحية؟ أبداً، فليس عندهم غير الملكوت، لكن العوالم الأخرى لا يعرفون عنها شيئاً من قريب أو من بعيد.

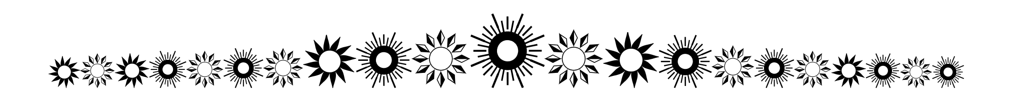
الناموس: أليست هذه الكلمة قالها ورقة بن نوفل لحضرة النبي ﷺ عندما نزل عليه الوحي، وأخذته السيدة خديجة إليه، لأنه كان يعرف الأديان السابقة، فماذا قال له؟ قال: { **هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى** } [19] والناموس يعني سيدنا جبريل، فهو الذي كان ينزل على الأنبياء السابقين كعيسى وموسى.

فمال هذه العبارة وكلام الصوفية، هذه العبارة قيلت للحضرة المحمدية عندما نزل الوحي الأول، فكل هذه العبارات ما دامت عبارات عربية، ولها معاني في القواميس العربية، فلا يجوز أن نقول في القاموس جزء من هذه العبارات لا يأخذه الصوفية ولا يستفيدون به، وجزء آخر خاص بالصوفية.

---

١٩ البخاري ومسلم

فأنت يصلح لك أن تستخدم أي كلمة ما دامت في قواميس اللغة العربية وهي مباحة لنا، وما دام لها معنى يفقهه العقل ويوافق النقل، فكل هذه العبارات عبارات عربية، وليست مسيحية ولا أجنبية ولا شيء من هذا القبيل.



٢–بين تعريف العشق والمحبة

يقول الدقاق: (**العشق هو مجاوزة الحد في المحبة**) نرجو التوضيح؟

أظن أن هذه العبارة واضحة حتى بالنسبة لأهل الدنيا، فأحيانا شخص يحب أحداً، فيحب أن يجالسه ويلتقي به، ويحب أن يتحدث معه، ولكن ليس باستمرار.

لكن لو امرأة عشقت رجلاً، أو رجل عشق امرأة، ولا يحب أحدهما أن يغيب الطرف الثاني عنه طرفة عينٍ ولا أقل، فهذا هو العشق وهو أن يجالسه ويؤانسه ويحادثه.

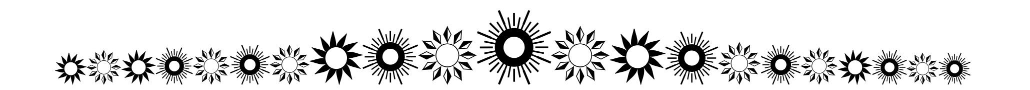
فالعشق أرقى من المحبة، لأن المحبة ميل القلب إلى الله ﷻ، والعشق فناء الإنسان عن الأكوان، ثم الميل بالكلية بجميع الحقائق الراقية الإلهية بالروح والسر والقلب ونفخة القدس إلى رب البرية ﷻ، فهذا تجاوز الحد في هذا الأمر، وهذا ما نسميه بالعشق.، وإذا تحدثنا عن كلمة العشق في المجال الصوفي فلا يسبق إلى ذهننا مدلولها اللفظي بالنسبة للناس، أو بالنسبة لأهل العشق في الدنيا.

لكن العشق الإلهي يعني يعشق جمالات الله، وكمالات أخلاق الله، ويعشق نور حبيب الله ومصطفاه، ويريد دوماً أن يتجلَّى له ظاهراً، ويتملَّى ويتهنَّى برؤياه، وإذا غاب عنه طرفة عينٍ يُحسُّ بألمٍ شديدٍ لبعده، أو لظنه أنه بعيد عن حضرته.

وفي ذلك يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي وكذلك يقول سيدي أبو العباس المرسي ﷺ: (**بقي لي أربعين عاماً لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من الموحدين**) ويقول في ذلك أيضاً سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه:

وإن خطرت لي في سواك إرادةٌ	على خاطري نَفَساً قضيتُ بردتي

يعني لو أن أي خاطرٍ مرَّ على خاطري نفسٌ واحدٌ، فأنا من يحكم على نفسي بأنها رجعتُ، والردة هنا يعني الرجوع عن طريق الصادقين الذين يريدون الود والقرب من حضرة رب العالمين عز وجل.



٣- الصمت: درجاته، وثمرته

ما الصمت؟ وما درجاته؟ وما ثمرته؟

الصمت أنواع:

النوع الأول: صمت الظاهر: وهو لظاهر الجسم الإمتناع عن حركة اللسان، وهذا بابٌ عظيمٌ يدخل منه من أراد أن يفوز بالحكمة من حضرة الرحمن، قال ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ } [٢٠]

يفتح له كنوز الحكمة من الحكيم ﷻ: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢٦٩البقرة).

النوع الثاني: صمت العقل: عن الخواطر الرديِّة التي فيها انشغالٌ عن الحضرة الإلهية، فكلما وجد خاطراً يشغله عن الله يسُدُّه ويصمت إلاَّ عن الخواطر الإلهية.

٢٠ الرســـالة القشـــيرية وحلية الأولياء لأبي نعيم، وســـنن ابن ماجة برواية "يلقى الحكمة" عن عبد الرحمن بن زهير رضي الله عنه

النوع الثالث: صمت النفس: وصمتُ النفس عن الهواجس والوساوس التي توسوس بها وتخنّس بها في صدور الناس، وتدفعهم إلى الإبقاء عن الطاعات، أو التثاقل عن عمل الصالحات، أو والعياذ بالله ﷻ التسابق والتسارع إلى الحظوظ والشهوات.

وكل هذا سببه خواطر النفس، فلا بد أن يصمت عن هذه الخواطر، ويفتح باب الخواطر الحقية، والخواطر الرحمانية، والخواطر الملكوتية.

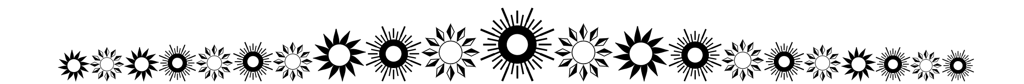
النوع الرابع: صمت القلب: وصمت القلب هي صولة إلهية، وعطية ربانية، يصول الحق ﷻ صولة فلا يدع للباطل بقية، وهي عناية من الله، وإكرامٌ من الله ببركات ونظرات سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

فإذا فاز بذلك رُزق بالمشاهدات والتجليات، وهي للروح، ولكي تفوز بالحظ الأعظم وبالكرم الأعمّ يجب أن تصمت عن هذه المشاهدات، ولا تلتفت إلى هذه المنازلات، وتُوجه باصرة المرء إلى مقلب القلوب ﷻ، ويتأسى في ذلك بمن مدحه الله وقال في شأنه: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم) وهذا ماحدث بعد ذلك: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (١٨النجم) وليست آيات الكون.

فالصمتُ معراجٌ وجوعك طُهرةٌ	والصمت رفرف حضرة التواب

فالصمت يلازم كل المقامات بحسبها، وبدايته صمت اللسان عن الكلام الذي نهى عنه الحنان المنان حيث قال في القرآن: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١١٤النساء) وفيه يقول ﷺ:

{ الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ } [٢١]



---

٢١ مسند الشهاب والبيهقي عن أنس رضي الله عنه

٤-السياحة الروحية

ما السياحة الروحية؟

السياحة أنواع: هناك السياحة الدنيوية، شخص ذهب للسعودية، أو للكويت، أو أوروبا، أو ما شابه ذلك، لطلب المعايش، أو لمشاهدة آثار السابقين في البلاد المختلفة، فهذه تسمي سياحة دنيوية.

وهناك سياحة دينية جسمانية قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ:

{ **مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَتَّى يَرْجِعَ** }[٢٢]

أنا ذاهب لطلب العلم، فهذه سياحة، لكنها سياحة علمية دينية، ما حدودها؟ قال ﷺ: { **اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ** }[٢٣]

كلما كان السفر لطلب العلم أبعد يكون أجرك عند الله أكبر، فهي سياحة دينية لطلب العلوم الدينية.

وهناك سياحة فكرية، وهي أن يجلس الإنسان ينظر ويتفكر، كما قال الله في القرآن:

---

٢٢ جامع الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه
٢٣ شعب الإيمان للبيهقي ومسند البزار عن أنس رضي الله عنه

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (آل عمران).

والتفكر عبادة الأنبياء السابقين، وعبادة أولي الألباب من بعدهم إلى يوم الدين: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٠١يونس) ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الغاشية).

وهناك سياحة أخرى تسمى سياحة قلبية، إذا أكرم الله الإنسان بعد دوام الذكر بفتح عين البصيرة، انطلقت عين بصيرته بنور الله في الآفاق، فلا يرى شيئا إلا ويرى فيه نور الله ﷻ الذي تجلى فيه، وأظهره لمن حوله: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣٥النور) وهذه التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

وإن نظرت عيني إلى أي كائن	تغيب المباني والمعاني سواطع
لأن المعاني الشمس والكل أنجم	إذا أشرقت فالنجم بالشمس ساطع

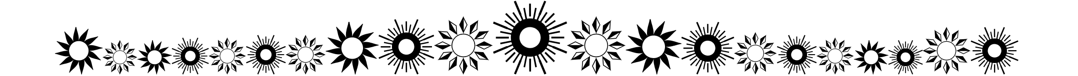
وهناك سياحة روحية، إذا انطلقت الروح في عالم الفتوحات الإلهية تواجهها تجليات ربانية، وتنزلات صفاتية، فيشاهد أسرار الصفات والأسماء الربانية، في كل الأكوان العالية والدانية، ويرى أن الكون كله مسير بسر الأسماء والصفات.

فسياحة الروح في التجليات والإشراقات والتنزلات، وخاصة الأسماء الإلهية المنبثة في كل الكائنات العلوية والسفلية.

وهناك سياحة تسمي سياحة السر، وهذه تكون بالمكاشفة في الحضرات التي أقام ويقيم فيها حضرة النبي الكريم ﷺ، يشاهد معانيه الروحية, وأنواره العلية, وصفاته الباطنية, وعطاءات الله ﷻ له الخصوصية، كل هذه يراها بسياحة السر، لأن السر هو الذي يكتشف صاحب السر ﷺ.

وهناك سياحة النفخة القدسية، وهذه تكون في الحضرات الذاتية للحق ﷻ.

كل هذه تسمى سياحة في الله ولله، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده السائحين.



٥- الزهد ودرجاته

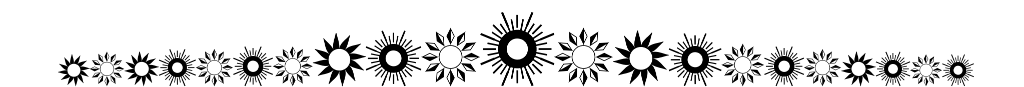
ما الزهد؟ وما درجاته؟

هذا السؤال أجبناه باستفاضة في كتاب (مراقي الصالحين) فالزهد بدايته الزهد في المعاصي، وهو أن يزهد الإنسان في المعاصي فلا يميل إليها، ولا يستشعر في نفسه الإقبال عليها، بل يحس ببغض شديد نحوها.

ثم الزهد في متاع الدنيا الفاني رغبة في الباقي فيما عند الله ﷻ في الدار الآخرة، كالزهد في الأموال، والزهد في المناصب، والزهد في كل متاع الدنيا رغبة فيما عند الله، ومن يفعل ذلك نسميه زاهد وليس بعارف.

أما الزهد الأرقى هو أن يزهد قلبه في كل ما سوى مولاه، حتى لا يخطر على القلب خاطر لغير الله جل في علاه، وهذا هو الزهد الأبقى والأرقى، وهو أن يزهد في الكونين رغبة في مكون الكونين ﷻ وهذا ما نسميه زهد العارفين.

ومثل هذا قد تكون عنده الدنيا، ويكون في المناصب، لكنها لا تغريه ولا تفتنه، فقد جعل الله الدنيا في يده، فإذا ذهبت لم يحزن عليها، وإذا جاءت لم يفرح بها: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (٢٣الحديد) فلا يفرح إلا بالله، أو بالقرب من حضرة الله، أو بالمواصلات التي تصله من مولاه، لكن لا يفرح بالدنيا وما فيها، لأن الله نعى على قوم فقال: ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٢٦الرعد) فمن فرحوا بالحياة الدنيا نعى عليهم الله ﷻ ولامهم، لأنهم فرحوا بشيء لا يبقى، لكن المؤمن لا يفرح إلا بالباقي ﷻ



٦- الورع ودرجاته

ما الورع؟ وما درجاته؟

الورع أوله الورع في الحرام، ومعناه اتقاء الشبهات، أو الابتعاد عن المحرمات، فالورع يجعله يبتعد عن الحرام بالكلية إن كان في المطعم، أو في المشرب، أو في الملبس، أو في الأقوال، أو في الأفعال، أو في الأحوال، فيتورع عن كل شيء نهى عنه الله، أو حذر منه سيدنا رسول الله ﷺ، والورع في الحرام كلنا مطالبون به وفيه يقول الرسول ﷺ لمن تحقق بهذا المقام:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ }[٢٤]

ثم يرتقي إلى الورع في المباحات، من أنواع الطيبات: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (٣٢الأعراف) لكنه يتورع عن بعض هذه المباحات خوف الفتنة، أو خوف الحجاب، أو خوف البعد من حضرة الكريم الوهاب، أو خوف الانشغال بها عن الله، أو خوف أن يحدث له جفاء يبعده عن سيدنا رسول الله ﷺ، فلا يوسع على نفسه في المباحات، بل لا يستخدم إلا الضروريات،

---

٢٤ سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

ولا يستكثر من المباحات، مع أن الله ﷻ مكَّنه من ذلك، وأعطاه ما يستطيع أن يحصل به ذلك، لكنه يتورع عن هذه المباحات رغبة في رفعة الدرجات عند رفيع الدرجات ﷻ.

ثم الورع عن الشبهات، والشبهات هي الأمور التي تختلط على كثير من الناس، فمن الناس من يحلها، ومنهم من يحرمها، فأهل هذا المقام يتورعون عن كل هذه الشبهات، وهم الصديقون، وإمامهم الصديق الأكبر ؓ الذي كان يقول: ((كنا نترك سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب واحد من الحرام)) بمعنى إذا كان هناك سبعون باباً مفتوحين، منهم تسع وستون باباً من الحلال وباباً واحداً من الحرام، فالورع يجعله يترك السبعين بابًا كلها مخافة أن يقع في هذا الباب من الحرام.

مثال ذلك: الشيخ ابن سيرين صاحب تفسير الأحلام ؓ وأرضاه، وكان تاجراً، فجاءته أربعون عبوة من العسل، ووضعهم في المخزن، فجاءه الخادم وقال له: رأيت فأرة دخلت في العسل، فسأله أتعرف في أي عبوة دخلت؟ قال: لا، فقال له، إذًا لا بد أن نهرق العسل على الأرض ولا نبيع منه شيئاً للمسلمين حتى لا ندخل في قول سيد الأولين والآخرين: { **مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا** }[٢٥]

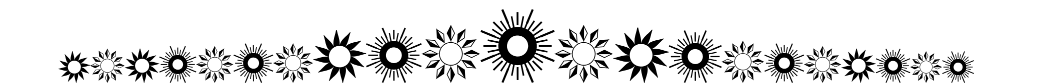
فعوَّضه الله ﷻ نتيجة هذا الورع، وجاءه يوسف الصديق في المنام وقال له: افتح فاك، ففتحه، ثم وضع فيه لسانه وأخذ يمصه، فقام من النوم وقد علَّمه الله ﷻ علم تأويل الأحلام، وذلك نتيجة الورع الذي عمل به.

---

٢٥ صحيح ابن حبان والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وهذا بالطبع طريق صعب، إلا لمن يسَّره الله ﷻ عليه، فمثلاً: أنا معي تسعون جنيها، وأخذت عشرة جنيهات من أحد الناس ووضعتها وسطهم، وبعد ذلك تبين لي أن العشرة جنيهات حصل عليها هذا الرجل من عمل فيه شبهة، أهل الورع في هذه الحالة يقولون: المائة جنيه كلها تذهب للفقراء والمساكين، لكن منْ من أهل الدنيا يهون عليه عمل ذلك؟! وهذا إسمه ورع الصديقين، وهو ورع اتقاء الشبهات.

أما ورع المتمكنين فهو التورع من أن يخطر على باله في أي نَفَس من أنفاسه شيء سوى مولاه، جعل القلب لله، ولا يسمح لأي خطرة أو وارد أو ماشابه يدخله إلا إذا كان من الله، أو يفتح له باباً لقربه ورضاه، أو يصله بسيدنا رسول الله ﷺ.



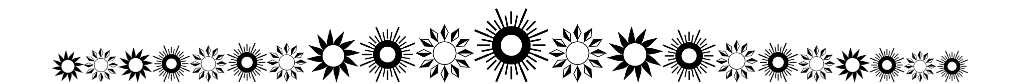
٧- معنى الحال

ما معنى قول الجنيد (الحال نازلة تنزل في القلوب فلا تدوم)؟

الحال وارد يأتي الإنسان بغتة أو فجأة بدون استعداد، يعني في لحظة يجد نفسه مبسوط ومسرور بدون أي دواعي أو مبررات لذلك، أو يجد نفسه حزين ومهموم بدون سابق مبررات لذلك، أو يجد نفسه يشعر بالأنس بالله، وعنده حال يحس به بوَلَه وعشق لمولاه .. هذه كلها نسميها أحوال، وسمي حال لأنه يتحول ولا يثبت، فلا يوجد حال من الأحوال يثبت للإنسان.

كما قال الله في القرآن: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ (٤٣النجم) فتارة يضحك، وتارة يبكي، وتارة يشعر بالغنى أو بالفقر، فهذه طبيعة الحياة الدنيا، حتى لا يركن الإنسان إلا إلى مولاه الله ﷻ، ولذلك قالوا: (دوام الحال من المحال) يستحيل أن يدوم الإنسان على حال واحد، لأن الله جعل الدنيا ونعيمها إلى نفاد.

لكن الحال الذي يدوم في الجنة العالية عندما ندخلها إن شاء الله، أو إذا فزنا بالمقامات العالية من القرب من الله جل في علاه، لكن الإنسان طالما في الدنيا فبكلمة من أحد الناس قد يسعد سعادة بالغة، وبكلمة أخرى قد يحزن حزنا شديداً، لِمَ؟ لأن الإنسان يتأثر، وبالتأثر تأتي الأحوال التي يشعر بها الإنسان، إذا جاءه ما يستدعي انبساطه فرح، وإذا جاءه ما يستدعي انتقاصه أو همه أو غمه حزن، فهذا حال جلال، والأول حال جمال، فيتقلب المرء بين الجلال والجمال، فإذا ما اختصه الله ﷻ وجعله من أهل الكمال فلا يتأثر بهذه الأحوال، وهؤلاء قلة قليلة جداً بين الرجال.



٨- عين الجود وبذل المجهود

نرجوا تفسير قول أحد الصالحين: **(الأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل من بذل المجهود)؟**

الأحوال تأتي عن طريق الإمدادات الإلهية، حتى يعرف المرء أنه ليس له في نفسه شيء, وإنما أموره كلها يُجريها من يقول للشيء كن فيكون، لأن الأمر لو بيد الإنسان فمن يريد أن يحزن؟! لا أحد، بل يريد حياته كلها فرح وسرور, لكن يكون الإنسان في قمة السعادة ويأتي له خبر في لحظة لا يخطر على البال يُغير الأحوال مائة وثمانين درجة، لماذا؟ لكي يعرف أن الأمر كله بيد الله، وأن المحرك والمسير له وللكون عاليه ودانيه هو الله جل في علاه، فالحال يتحول.

أما المقامات يثبت فيها قدم الإنسان، ويقيمه فيها حضرة الرحمن، ويثبته فيها النبي العدنان ﷺ، لمن هذه المقامات؟ لمن يجاهد فيشاهد، فلا بد أن يسلك سبيل أهل المجاهدة، والمجاهدة للمشاهدة موجودة في كتاب الله، يقول فيها الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾

فما أول هذه السبل؟ ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٩العنكبوت) أول شيء معية المحسنين، فيكون من أهل مقام الإحسان، ويثبت قدمه في مقام الإحسان،ويستحضر أن الله ﷻ لا يغيب عنه في أي وقت وآن، وأن عين بصيرته تري دائمًا وأبدًا أنوار حضرة الرحمن ﷻ.

فإذا أراد مقامًا أعلى من ذلك: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ فيفوز بمقام الاجتباء: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ وبعد الاجتباء يرفع الله عنه المعاناة، ومشقة التعب والعناء في العبادات: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١٧٨الحج) لا يوجد مشقة ولا عنت، بل يتلذذ بالعبادة، ويجد فيها الحسنى وزيادة.

كل هذا لا بد له من المجاهدة، فالمجاهدة للمشاهدة, إذا جاهد الإنسان في أي مقام من مقامات الله التي ذكرها في القرآن أدخله الله ﷻ فيه وأقامه وثبته فيه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٩العنكبوت) سندخلهم في الصالحين ما دام آمنوا وعملوا الصالحات؛ فإذا دخل مع الصالحين، وجالسهم بصدق ويقين، أصبح في مقام مقعد الصدق: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (٥٤القمر) أين؟ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٥٥القمر).

أين مقعد الصدق هذا؟ الذي نحن فيه الآن، أن الإنسان يجلس بين يدي العارفين والصالحين بصدق نية وصفاء طوية، لا يريد الدنيا ولا الحظوظ ولا الأهواء ولا المطالب ولا المكاسب، لا يريد إلا وجه الله، فيوجد كثير من الأحبة يكون في البداية هكذا، لكن النفس تغيره، والدنيا والأهواء تحيره، لكن إذا نهى نفسه عن ذلك، وصدق في هذا الطلب، فأين يكون؟

في الحال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾، إذا واظب على ذلك، ونهى نفسه عن بوادرها التي تحاول أن تغيره عن ذلك، ولم يلتفت إلى ذلك، جعل الله له قدم صدق عنده: ﴿ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢يونس). فينتقل إلى مقام قدم الصدق, وأصحاب هذا المقام هم الذين يضعون أقدامهم على قدم الحبيب المصطفى على الدوام، ليست هذه الأقدام، لكن لا يتحركون حركة، ولا يسكنون سكنة، ولا يفعلون فعلًا إلا إذا استحضروا حضرة الحبيب ﷺ، وكيف كان يقوم بذلك؟ وكيف كان يفعل ذلك؟ فيقيمهم الله ﷻ، ويجعل لهم مقام قدم صدق عند ربهم.

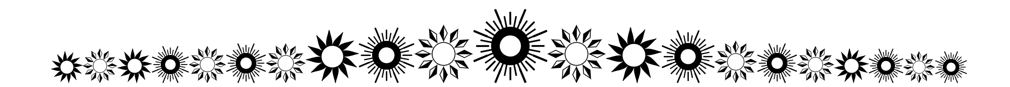
وهكذا يرتقي المرء من مقام إلى مقام، والمقامات في كتاب الله لا عد لها ولا حد لها، يوجد منها عشر مقامات في سورة الأحزاب:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥الأحزاب).

ويوجد مقامات في سورة التوبة: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٢التوبة).

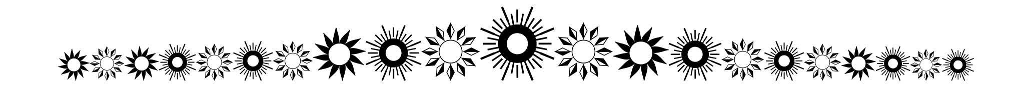
ويوجد مقامات كثيرة منبثة في القرآن، هذه المقامات إذا بلغها المرء ليس بالجهاد في العبادات، ولكن بجهاده لنفسه، واجتهاده في اتباع نبيه في خُلُقه أقامه الله ﷻ في هذا المقام، وثبَّته في هذا المقام على الدوام، فيأمن الفتنة، ويأمن من الإغراءات، ويأمن من الحيرة، ويخرج من الدنيا وهو في المقام الأمين

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (٥١الدخان) لا حجاب، ولا صد، ولا هجر، ولا بعد، ولا فتن .. يجعله الله في أمان الله، وفي حفظ سيدنا رسول الله ﷺ، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.



٩- الصوفي والعابد والزاهد

ما الفرق بين الصوفي والعابد والزاهد؟

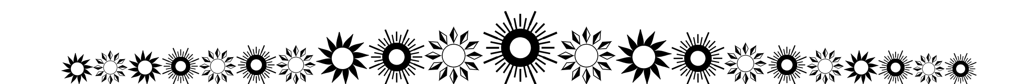


باختصار شديد الصوفي من صفَّى نفسه وقلبه لله ﷻ، والعابد من يجتهد في طاعة ربه بما جاء في كتابه على نهج حبيبه ﷺ، والزاهد من يترك الدنيا ويزهد في مشتهياتها رغبة فيما عند الله ﷻ في الدار الآخرة.

والصوفي يكون عابدًا وزاهدًا، لكن العابد والزاهد لا يكونان إلا في مقام واحد خصوا به، لأنهم شُغلوا بالأكوان عن مكون الأكوان ﷻ.

١٠ – الدرويش

من هو الدرويش؟ هل هو مقامٌ من مقامات الصوفية؟



التصوف كان له مجال كبير في بلاد فارس في بداية ظهوره، وكلمة درويش كلمة فارسية، وتعني فقير، فالدرويش يعني الفقير.

ونأخذ منها معنىً إشاري ونقول: درويش يعني (دار وشه) إلى الله ورسوله، يعني بدلاً من أن يدير وجهه للدنيا وللخيرات وللمسرات، أداره لله ورسوله.

وهذا مقامٌ لا بد للمريد منه، ليبتدئ السلوك إلى ملك الملوك، فمن يُرد أن يبدأ بالسلوك إلى ملك الملوك فليخلع الدنيا من قلبه، ويجعلها وراء ظهره، ولا يجعل في قلبه ولا وجهته إلا الله ﷻ.

١١- لغة الأرواح

رأيت بعض الطرق الصوفية يتحدث الشيخ فيها بكلام غير مفهوم!!

فقال البعض أنها لغة الأرواح!!

وقال البعض الآخر أنها علوم سريانية!!!، فما صحة هذا الأمر؟

نحن جمهور الصوفية المعتدلين وكل المسلمين نقف عند قول رب العالمين لحبيبه صلى الله علي وسلم في القرآن الكريم: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (١٩٥الشعراء) وقوله ﷺ:

{ أَحِبُّوا الْعَرَبَ لِثَلاثٍ : لأَنِّي عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَكَلامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ } [٢٦]

وفي رواية أخرى: **{ كَلامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعَرَبِيَّةُ }** [٢٧]

---

٢٦ الحاكم في المستدرك والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه
٢٧ صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

أنترك لسان أهل الجنة، ونتكلم بألسنة أخرى؟! أنا في بعض المواقف البسيطة أحاول أن أكلم إخواننا المسلمين غير العرب فأقول له: ما دمت ارتضيت الإسلام، فلكي تفهم القرآن وتفهم كلام النبي العدنان فلا بد أن تتعلم اللغة العربية، فإنك لن تفهم القرآن أو حديث رسول الله بحقيقة الفهم إلا إذا أتقنت اللغة العربية.

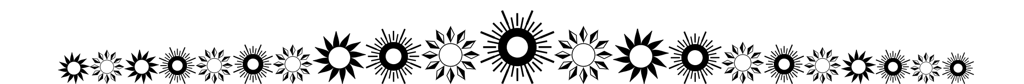
فالذي يتمسك بلغته كعصبية لقومه، ولا يتعلم اللغة العربية مثل الفرس أو غيرهم، فهؤلاء نعاتبهم على هذا الأمر.

فاللسان العربي الذي اختاره لنا الله، والذي نتحدث به مع بعضنا البعض في الدنيا، وسوف نتحدث به أيضًا مع بعضنا وتحادثنا به الملائكة وربنا في الجنة، فلماذا نترك اللسان العربي ونقول سرياني أو رومي أو غيره؟!! فهذا الكلام يسمى نشاذ، والنشاذ لا نحكم عليه، فكل قاعدة لها شواذ، فلا أحكم على القاعدة من خلال هؤلاء الشواذ، وأقول أن القاعدة كلها هكذا، فنحن جميعًا بلسان عربي مبين

هل تجوز خطبة الجمعة باللغة السريانية؟! لا، فالذي يريد أن يتحدث بالسريانية يتكلم بها مع من يجيد السريانية، لكن الذين يجلسون لا يعرفون إلا اللغة العربية فلماذا تتحدث معهم بالسريانية؟!.

فأنت تعلمت السريانية فعليك أن تتحدث بها مع من يجيدها، لكن أنا أتكلم مع المسلمين المؤمنين العرب فبماذا أتحدث؟ باللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم.

فهؤلاء لا نقرهم على أفعالهم، ولا نرضى عن أحوالهم لأنهم خالفوا هدي نبيهم، فلم يرد عن رسول الله ﷺ في أي رواية – ولو ضعيفة – أنه ترك الحديث باللغة العربية مع المسلمين وتحدث بلغة أخرى، ونحن قال لنا الله: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب)، فما الذي يدفعه لذلك؟ دوافع أخرى ليس لنا شأن بذكرها، لكن نحن لا نقر هذا العمل.



١٢- المدد

ما معنى المدد؟ وما معنى قول: مدد يا رسول الله؟ وهل يصل المدد من الميت للحي، مثل: مدد يا حسين؟

كلمة المدد معناها الُلغوي: المعونة، أمدني يعني أعِنّي، والمعونة بحيث ما يطلبه المرء من صاحب هذا الشيء الذي يطلبه منه.

مثلاً: دُعينا إلى وليمة وأوشك الزاد أن ينتهي، فنقول: هات مدد يا فلان، فالمدد هنا هو الطعام الذي نأكل منه، أو الشراب الذي نشرب منه ليكفي الحاضرين.

والمدد كله من الله، لكن الله أقام الكون كله على أسباب، وجعل لكل شيء سبباً، فجعل الكل ينتفع من الكل، والنافع في الكل هو رب الكل ﷻ، لكن الحكمة الإلهية أن البشرية دائماً تحتاج إلى من يُعينها ومن يقويها.

فكذلك الأمر، إذا كان الإنسان في ذنبٍ، ونفسه تؤنِّبه، وضميره يوبخه، ويحتاج إلى تفريج هذا الأمر، ماذا يفعل؟ نسأل الله: يقول الله: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾

وكان يكفي استغفار الله، وهل نحتاج إلى شيء آخر؟ قال:﴿ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾.. لا بد وأن يرفع

الطلب: .... ﴿ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ (٦٤النساء).

إذاً عند الوقوع في الذنب أنا أحتاج إلى مدد رسول الله لمحو لذنب، وستر العيب، والرجوع إلى الله ﷻ على النهج القويم والهدي المستقيم.

إما أن أذهب إليه، وليس الكل يستطيع أن يذهب إليه ويقف أمامه ويناجيه، كما وقف الرجل الذي تحدَّث عنه العُتبي الإمام رحمة الله عليه، قال: كنت جالساً في المدينة في الروضة وإذا بأعرابي يدخل ويقول: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ (٦٤النساء) اللهم إني ظلمتُ نفسي، وقد جئتُ رسولك مستغيثاً، فبحقه عندك فاغفر لي، ثم نطق البيتين المشهورين:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

الصوفية لهم أذواق أخرى مع رسول الله، فقالوا: هنا ألفاظٌ لا يصِّح أن نخاطب بها رسول الله، وماذا نقول؟

قالوا:

يا خير من وُضعت بالروض أنجمه	فطاب من طيبهن الروض والأكم
نفسي الفداء لروضٍ أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

يا خير من وُضعت – وليس من دُفنت – بالروض أنجمه – وليست أعظمه – فالقرآن نزل نجوماً، ونزل على قلب رسول الله: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ (٧٥الواقعة) وأين مواقع النجوم؟ في قلب رسول الله ﷺ، يعني نزل نجوماً: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾ (الشعراء)

نفسي الفداء لروضٍ – وليس قبر – فالإمام مالك كان يقول: لا ينبغي أن تقول: قبر رسول الله، ولا أن تقول: زُرتُ قبر رسول الله، ولكن تقول: زُرتُ رسول الله، لأن الشهداء أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، فماذا عمن هو سبب في حياة الشهداء؟!!.

فانظر للصوفية، فلأنهم مهذبين ومؤدبين ارتقوا بالألفاظ، لكي يكونوا مهذبين ومؤدبين في مخاطبة حضرة النبي ﷺ.

الشاهد أن العُتبي قال: فأُلقي عليَّ النوم وأنا في الروضة، وإذ بي أرى رسول الله ﷺ في المنام وقال: الحق الأعرابي وبشِّره بالمغفرة.

ما دام جاء إلى هنا فالله يغفر له على الفور، ومن لا يستطع أن يذهب إلى هنالك فيسأل الله في أي زمانٍ ومكانٍ بجاهه وبقدره عند الله ﷻ، فإن الله يُجيبه ولا يخيِّب رجاءه، لما ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال:

{ لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأُحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ } [28]

إذاً مدد رسول الله لمن يطلب مغفرة الله؛ أن يتوسَّل به إلى الله، بجاهه وبقدره وبمنزلته وبشرفه عند الله ﷻ، فيُمدُّه الله ﷻ بمدد التوبة، ويُحسن له الأوبة.

كذاك الإنسان لو وقع في شدة، ويحتاج إلى من يأخذ بيده ويُفرّج عنه ضيقه وشدته، فحضرة النبي بيَّن لنا السبيل إلى ذلك، قال ﷺ في الحديث الصحيح:

---

٢٨ الحاكم في المستدرك والطبراني عن عمر بن الخطاب ﵁

{ إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا، أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عونًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ }[٢٩]

وفي رواية أخرى:

{ إِذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَلْيُنَادِ: يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا، يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا، فَإِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْأَرْضِ حَاضِرًا سَيَحْبِسُهُ }[٣٠]

فإذا كان هؤلاء العباد يُغيث بهم الله ﷻ العباد، فغوث كل العباد في الدنيا والآخرة، وفي الحاضر والماضي هو سيدنا رسول الله ﷺ.

من الذي يستغيث به الخلائق بما فيهم النبيين والمرسلين لرفع كرب القيامة وبدء الحساب؟ هو رسول الله ﷺ.

فإذاً عندما يحتاج الإنسانُ إلى عطاءٍ رباني، وإلى نورٍ قلبي، وإلى فتحٍ عرفاني، فعليه بحضرة النبي، لأن الله قال له في كتابه: ﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩ص) هذا عطاؤنا فخذه كله، فقال ﷺ موضحاً لنا هذه الآية:

---

٢٩ معجم الطبراني عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه
٣٠ المطالب العالية لابن حجر والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ } [٣١]

صاحب العطاء هو الله، لكن سر العطاء سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا -كما يدَّعي بعض الجُهَّال - ليس فيه شركٌ مع حضرة الألوهية، ولا منازعةٌ للربوبية، لأننا نعرف أن الكل من الله، ولكن هناك أسباباً جعلها الله.

فكما جعل الله ﷻ سبباً لكل الحوائج الدنيوية، جعل سبباً كذلك للهداية، وللعناية، وللإيمان، ولفضل حضرة الرحمن، ولكل بضاعة القرآن، ومن السبب هنا؟ هو حضرة النبي ﷺ، فعندما نطلب المدد منه، يعني نطلب منه ما أمدَّه به مولاه أن يوالينا به ﷺ بشيء من العطاء الذي أفاضه عليه مولاه.

لكن لا نعلم أن هذا العطاء من خاصته، أو من عنده: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (٧٨النساء) وهذا يتفق مع العقل، ومع النقل، ومع الفطرة السليمة النقية التي عليها خاصة المؤمنين الذين نرجوا أن نكون منهم أجمعين إن شاء الله رب العالمين.

والبعض يعترض على قول: (مدد يا حسين) فهي نفس الأمر، فعندما يقول ﷺ:

{ حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ } [٣٢]

---

٣١ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
٣٢ جامع الترمذي وابن ماجة عن يعلي بن مرة رضي الله عنه

حُسين منه شيء واضحٌ لأنه ابن إبنته التقية النقية السيدة فاطمة، وقد قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ }[٣٣]

أي في أبناء فاطمة، لكن كيف يكون هو من حُسين؟ لأن الحُسين كان أشبه الناس برسول الله ﷺ في ظاهره وباطنه، ففاز بالعطاء، وكُشف له الغطاء، ويكفي أنه سيد الشهداء، فعندما يقول النبي في الحسن والحسين: { **الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ** }[٣٤]، وهل في الجنة شيوخ؟ لا، فأهل الجنة عندما يدخلوها كما قال ﷺ:

{ أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ }[٣٥]

وقال في حديث آخر: { **إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ** }[٣٦]

---

٣٣ معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
٣٤ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٣٥ جامع الترمذي وسنن الدارمي عن أبي هريرة رضي الله عنه
٣٦ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

فسيدا شباب أهل الجنة، يعني سيدا أهل الجنة كلهم، فلمَّا يكون الحُسين سيد أهل الجنة، فيكون قد أعطاه الله ﷻ من الوراثة المحمدية التي يقول فيها ﷺ: { **إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** }[٣٧]

أعطاه من هذه الوراثة العلمية الإلهية والنورانية ما جعله يقوم بالنيابة عن الحضرة المحمدية من الإمداد والإستمداد والنظرات والرعاية لكل من يطلب منه ذلك من المؤمنين إلى يوم الدين، وراثةً لرسول الله، والوارث له حكم مورثه.

ولذلك أذكر في هذا الأمر الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمة الله عليه، وكان من كُمَّل الصالحين، فقد كان مُعاراً في المملكة العربية السعودية، وعمل أولاً في مكة في جامعة أُم القُرى، ثم بعد فترة انتقل إلى جامعة المدينة المنورة بعد أن تأسست، والشيخ الشعراوي كان من أهل الفيض الإلهي، وكان في نفس الوقت ألمعيٌّ وذكيٌّ.

فقدَّم في يومٍ لمدير الجامعة بمكة طلباً بأجازة لزيارة رسول الله، وكان مدير الجامعة في مكة من آل البيت ولكنهم متخفيين هناك لأن الآخرين غلاظٌ شدادٌ، فالرجل أحب أن يتفكَّه مع الشيخ الشعراوي، فاستدعاه وقال له: يا شيخ شعراوي تعرف أن هذا عندنا ممنوع، كان يجب أن تكتب لزيارة مسجد الرسول،

---

٣٧ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه

فقال له: إذاً فأنا مُغفَّل، فقال له: لماذا؟ قال: كيف أترك ثواب المائة ألف هنا وأذهب لثواب الألف هناك؟!!

يعني الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف، وفي المسجد النبوي بألف، فقال: أنا ذاهب لزيارة حضرة النبي وليس للمسجد، فالموضوع ليس للثواب ولكن الموضوع للجمال وللكمال.

ولما حدث خلافٌ بين عبد الناصر والملك سعود، استدعى عبد الناصر البعثة المصرية كلها التي كانت هناك، فيقول الشعراوي: احترت، فرأيتُ رسول الله ﷺ في المنام، فقلتُ: يا سيدي يا رسول الله لا أريد فراقك، فقال له: إذا أردتَ أن تزورنا فعندنا بابٌ مفتوحٌ لنا في مصر، اذهب إلى الحُسين، فإذا ذهبتَ إلى الحُسين فكأنك زُرتنا.

هذه رواية الشيخ الشعراوي وموجودة ومسجلة، فيقول: رجعت ومن تيسير الله ومدد رسول الله، بمجرد ما رجعت وكنت أعمل في طنطا في المعهد الديني، قالوا لي: نحن نريدك مديراً لمكتب شيخ الأزهر، وشيخ الأزهر كان له مبنى أمام سيدنا الحسين ولا يزال كما هو، وماذا يفعل؟ فإذا بهم يوفِّرون له شُقة تُطل على سيدنا الحسين، ينظر من النافذة فيرى سيدنا الحُسين، وكانت هي الشقة العزيزة عنده حتى لما ذهب إلى الهرم، وهذا يبين لنا مكانة الإمام الحُسين ﷺ وأرضاه.

فالصالحون أجمعون أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، قال ﷺ في شأنهم: { **إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرُشِ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ** }[٣٨]

هناك من قُتل بالسيف في المعركة، وهناك من قُتل بسيف المحبة وصار من الأحبة، وهؤلاء لهم قدرهم ومكانتهم عند الله عز جل.

كان رجل من الصالحين يزور رجلاً صالحاً آخر، وكان مريضاً فأوصاه أن يُغسِّله بعد موته ويكفِّنه ويدفنه، فبعد أن مات، - والصالحون يعرفون ميعاد لقاء الله ﷻ مسبقاً - وهو يضعه في القبر، وكان من عادة الناس ومن السُنة أن يكشف وجهه ويضع تحت رأسه لبنة - طوبة - تحت الوجه، مجرداً من الكفن تذللاً لله ﷻ، فيقول: وضعتُ اللبنة، وكشفت الكفن، ووضعت رأسه، فإذا بالرجل يقول: أتُذلِّلُني بين يدي من دللني؟! فقلتُ: أحياةٌ بعد الموت؟ قال: أنا حيٌّ، وكل محبٌ لله ﷻ بعد موته حيٌّ، وعزّةُ ربي وجلاله لأنفعنَّك بجاهي يوم القيامة إن شاء الله.

فكل أحباب الله أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، وهم في حياةٍ نورانية تامة: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ ﴾ (٣٤الزمر) وأنا أطلب منهم من هذه، وليس شيئاً من عندهم، ولكن أطلب منهم شيئاً مما يشاءون، وهو كنزٌ إلهي رباني لا عد له ولا حد له.

---

٣٨ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

١٣- الحال وتزكية النفس

ما معنى الحال؟ وما معنى قول أحد الصالحين: (بالحال تزكية النفوس، لا بالفلوس ولا بالدروس)؟

الحال هو عطاءٌ رباني يتجلَّى على العبد فيدفعه إلى السير في طريق الله في طريقٍ حدده ورسمه كتاب الله ﷻ، ما دافعه؟ ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (٥٤المائدة) مثل من يأتي في سكرة الحياة الدنيا ويُحس أن خاطرٌ أتاه ويُلِّحُ عليه أن يؤدي العمرة، لم يُفكر قبل ذلك، ولم يحسب حساباته المالية، لكنها عطية إلهية هيأها له رب البرية ﷻ.

فالأحوال مواهبٌ إلهية يتفضَّل الله ﷻ بها على الصادقين في اتباع خير البرية، فمنا من يُجمِّله الله بحال المحبة، فلا يكون في قلبه لغير المحبوب حبَّة، مشغولٌ بالكلية بالله، والقلب دائم الإنشغال بحبيب الله ومصطفاه.

ومنا من يُجمِّله الله ﷻ بحال التوكل على الله، فيتوكَّل في كل أموره على مولاه، ويحاول من حوله أن يضغطوا عليه لهذا أو لذاك، فلا يستطيعون الفكاك من هذا الأمر، لأن من جمَّله بهذا الحال هو الله جل في عُلاه. وتُثبتُ لهم الأيام صدق ذلك، لأن الله ينجيه من المهالك، لأنه أحسن التوكل على الله ﷻ.

ومنا من يُجمِّله الله بحال الرجاء، فتجده دائماً يُحسن الظن بالله، وإن وقع في خطيئةٍ يُدرك تمام الإدراك أن عفو الله ومغفرة الله ستشمله.

ومنا من يُجمِّله الله بحال الخوف، فتجده مهما تقرَّب، ومهما قدَّم من صالحات، إلا أنه شديد الخوف من الله ﷻ.

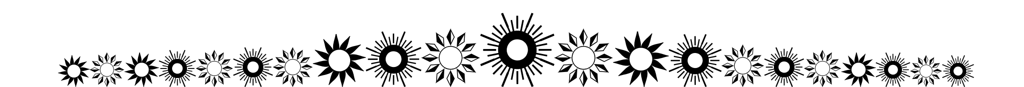
وهذه الأحوال كانت موجودة بين أصحاب رسول الله، ولا زالت موجودة بين الصالحين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سيدنا أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه، جمَّله الله بحال المحبة لرسول الله، فكان لا يُطيق فراقه، وكان عندما كاناً سويَّاً في المدينة يجالسه، وكان يسكن في منطقة تسمى السُنح خارج المدينة، ويستأذن منه ليتركه لراحته، وبمجرد أن يصل إلى بيته يقول: اشتقتُ إلى رسول الله ﷺ!! وهذا ليس تعمُّل ولا تحايل وإنما هبة وفضلٌ من الله، قال فيها الله:﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (٥٤المائدة) بسر حبه السابق يأتي حبهم اللاحق.

سيدنا عمر كان مجملاً بحال الرجاء في الله، ومعه الخوف من مكر الله جل في عُلاه، فكان يقول: **(لو قيل كلكم في الجنة إلا واحد لخفتُ أن أكون ذلك الواحد، ولو قيل: كلكم في النار إلا واحد لرجوت أن أكون ذلك الواحد)** خوفه لم يؤدِّ به

إلى القنوط واليأس من رحمة الله، والرجاء حَجَّمه حتى لا يتقاعس عن طاعة الله، لأن الرجاء إذا زاد سيتّكل الإنسان عليه ولن يعمل، والخوف إذا زاد فيجعله يقنط، لكن كما قيل: **(لو وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)**.

فكان أصحاب رسول الله ﷺ كلهم على هذه الأحوال، لكن الصالحين قالوا لنا: **(دوام الحال من المحال)** فيستحيل أن يبقى الإنسان على حالٍ واحدٍ، فكما يقلب الله الليل والنهار، فكذلك يقلب الله الأحوال، حتى لا يسكن الإنسان إلا إلى ربه، ولا يضع قدمه إلا على قدم صدق خلف نبينا ورسولنا ﷺ.



١٤- الحلول والإتحاد

ما المقصود بالحلول والإتحاد؟ ولماذا يتهم بعض مُنكري التصوف الصوفية بالحلول والإتحاد؟

قد أجبنا على هذا السؤال من قبل، وقلنا أن الحلول عقيدة أن الله ﷻ – حاشا لله – حلَّ في شيء، وهذا تحييز وتجسيم لله، فقالوا: حلَّ في المسيح عيسى بن مريم، ومنهم من قال: حلَّ في السيدة مريم، ومنهم من قال: حلَّ في المسيح والسيدة مريم معاً، ويقولون: بسم الأب والإبن وروح القُدس الثلاثة إلهاً واحداً،وهذا كلام ما أنزل الله به من سلطان.

وهي مأخوذة أصلاً من العقائد البوذية، فعندهم شيء إسمه تناسخ الأوراح، وهو أن الروح لا تبلى ولا تفنى، وعندما يأتي الموت يحرقون الجسد، لأن الروح لا تبلى، فتخرج الروح وتحلُّ في مولود جديد وتنزل للأرض مرةً ثانية، فيكون المولود والميت لهما نفس الروح.

وهذا يناقضه الواقع الذي نراه، فهل عدد الذين كانوا موجودون على الأرض أيام آدم هل هم أنفسهم الموجودون حالياً؟ الموجود الآن أضعاف أضعاف أضعاف مضاعفة، إذاًوهل ستحِلُّ الروح الواحدة في كذا جسد؟! فهذا دليل على أن هذا الكلام ليس له مصداقية، فالمسيحيين أخذوا هذه العقيدة من عند هؤلاء القوم.

وبعض الحاقدين والحاسدين للسادة الصوفية ادّعُوا أن بعض الصوفية الفلاسفة الذين أخذوا علوم الفلسفة وانخرطوا في التصوف، فكان كلامهم فلسفي مع أنه عن التصوف، فادَّعوا أن هؤلاء يقولون بهذه العقيدة وهي بالحلول وبالإتحاد وأنه حلَّ فيه الإله، حاشا لله ﷻ.

وفي سبيل ذلك يؤلفون أقوالاً ولا تجد لها دليلاً أكيداً أو سديداً في كتب هؤلاء القوم، وهذا دليلٌ على أنها مؤلفة، فيقولون مثلاً: يقول الحلاج: (ما في الجُبة غير الله) وهذه الكلمة ليست موجودة في كلام الحلاج، ويقولون: أبو اليزيد البسطامي قال: (سبحاني ما أعظم شاني) وهي ليست موجودة في كلام أبو اليزيد البسطامي.

فهم من أوجدوا هذا الكلام ليُسِيئوا لهؤلاء القوم، وهؤلاء القوم ليس عندهم دين ولا ضمير ولا أخلاق، فيعملون ما يشاءون في سبيل النكاية بالخصم، وتقبيحه وتشويه صورته، لكن الصوفية بُرءاء من هذا القول.

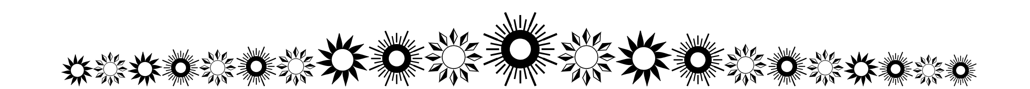
بعضهم تكلم عن الصوفية وأيضاً بطريقةٍ أُخرى، فالصوفية يصل فيهم المرء إلى مقام: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (١١٥البقرة) لا يرى من الوجود عُلواً وسُفلاً إلا أثر مولاه في هذا الوجود، يعني ينظر للإنسان ولكن بعين القلب فيرى أثر السميع في السمع، والسميع هو الله، ويرى أثر البصير في البصر، والبصير هو الله، ويرى أثر الحيِّ في حياة هذا الإنسان، ولكنه لم يقُل أن هذا الإنسان إلهٌ، ولكنه ينظر إلى الآثار كما قال الله في القرآن: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٠الروم).

وهذه يسميها الصالحين وحدة الشهود، يعني لا يشاهد إلا ما يدُلُّ على قدرة وعظمة الواحد الأحد ﷻ.

فالآخرون حولوها أيضاً بطريقتهم وقالوا: وحدة الوجود، فليس في الوجود إلا الله والباقي كله فاني، وهذا ما سيحدث بالفعل، ولكن متى؟ في يوم: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن) صحيح الكل سيفنى هنا.

لكن في الحياة الدنيا التي نحن فيها لا بد وأن نُثبت المشهدين، ونفرِّق بين الطرفين، فالعبد عبدٌ وإن علا، والرب ربٌ وإن تنزَّل.

لكن لن نقول على العبد في يومٍ من الأيام أنه حلَّ فيه الرب، أو أنه – حاشا لله – رب، لكن هذه أقاويل أُتهم بها الصوفية من الحاقدين والحاسدين كما شرحت ووضحت، بارك الله فيكم أجمعين.



١٥- تصفية النفس

من تعريفات التصوف: أنه تصفية النفوس فما معنى تصفية النفس؟

هي تصفية النفس، أو تطهير النفس، أو تزكية للنفس، فكل هذا بمعنى واحد، ويعني تخليصها من الأشياء التي جُبلت عليها، وخُلقت عليها، وأمرنا الله ﷻ أن نجتثَّها ونقتلعها.

كيف؟ خلق الله الإنسان كما قال في القرآن: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (١٩المعارج) فدائماً عنده سرعة في الفزع والجزع والنرفزة، فلا بد أن أُخلِّص النفس من هذه الصفات كلها وأعوِّدها على التؤدة والحلم والرزانة والهدوء وتزكية الغضب، لكي أطهرها من قلوبهم.

كذلك: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولاً ﴾ (١١الإسراء) دائماً متعجِّل في كل أموره، حتى عندما يدعو الله ﷻ يريد أن يجيبه الله سبحانه وتعالى في الحال، ويحزن إذا لم يجبه في الحال، مع أن سيدنا موسى وسيدنا هارون دعَوَا الله على فرعون فاستجاب، والدعوة موجودة في القرآن: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٨٨ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا ﴾ (يونس) وانتظرا تحقيق الدعوة، فتمت بعد أربعين سنة!!.

فهذا يعلمنا أن هذا كليم الله، والثاني وزيره، والدعوة استجيبت بعد أربعين سنة، لكن أنا أريد أن يستجب لي في سِنَةٍ، وإلا فإنه غضبان عليَّ أو لا يحبني ويكرهني، لأن النفس عجولة!!.

وقد قيل أن الله أخَّر إجابة دعاء موسى وهارون على فرعون لأنه كان باراً بأمه، فلما ماتت أجاب الله الدعاء، حتى نعرف قدر بر الوالدين، فطالما تعيش فهو محفوظ، ولكن عندما تموت يقولون: (قد ماتت التي كنا نكرمك من أجلها).

فالإنسان عجول ويريد كل شيء أن يتم في لمح البصر!!!

ولذلك يأتيني البعض ويقول: أنا أريد كذا، فأقول له: سأدعُ الله لك، وينتظر الدعوة أن تجاب، وأي دعوة ندعوا بها – والحمد لله – تُستجاب، ولكنه يريد أن تكون الإجابة على حسب ما يحدد هو، وفي الوقت الذي يريده، ولكن الله يستجيب لك كما يريد لا كما تريد، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد، فهل تحكم على الله ﷻ؟!! حاشا لله.

إذا كنت لا أستطيع أن أحكم على والدي، فأقول له: أريد كذا فيقول لي: انتظر حتى أرى حالي وأعطيك، فهل أحكم على ملك الملوك ﷻ؟!! فأنا أدعو وهو يستجيب، ولكن متى؟ كما يشاء: ﴿ **لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ** ﴾ (٢٣الأنبياء).

فإذا لم يجد الإجابة يحزن من الصالحين وبعضهم يأخذ موقفاً، وبعضهم يهجرنا، وبعضهم يخاصمنا، لماذا؟ لأنه طلب شيئاً ولم يتحقق، فهل نملك إلا الدعاء؟! لكن من بيده الأمر كله هو الله ﷻ.

ونحن كما قال الله لحضرة النبي: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (١٨٨الأعراف)

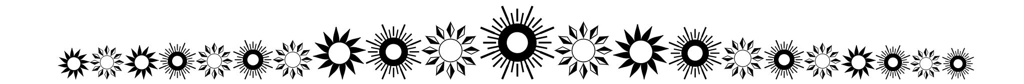
فكيف نملك لغيرنا؟! لا نملك إلا الدعاء، وعلى الإنسان أن يداوي نفسه ويطهرها من العجلة، وطبيعة الإنسان التي فطره الله عليها: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (٧٢الأحزاب) دائماً ظالم، ولذلك دائماً عنده سوء ظنٍ بالآخرين، وهذه غاية الظلم، ويتلذذ أحياناً بظلم الآخرين.

وجهول لأنه لا يعرف ما ينفعه وما يضره، فلا بد أن أُرَبِّي النفس على العدل، وأطهرها من الظلم، وأقول لها إن الحبيب وهو لا يزال يرضع كان الله يدرِّبه على العدل، حتى في رضع الثدي، فكان يرضع من ثدي فتعطيه مرضعته الثدي الآخر فلا يرضي أن يقربه، لأن الله أعلمه أن له أخٌ في الرضاعة، فيأخذ واحداً ويترك الثاني، لماذا؟ لأنه يتوخَّى العدالة فلا يأخذ حق أخيه، ولا بد أن أستزيد من العلم، قال ﷺ:

{ إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا ، فَلا بُورِكَ فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ } [٣٩]

٣٩ معجم الطبراني عن عائشة رضي الله عنها

فلا بد للإنسان أن يتزود من العلم كل يوم ليطهر النفس .... فباختصار تطهير النفس: هو تخليصها من الصفات الجبليّةِ الطبيعية التي خُلقت بها، وخُلقت بها لكي يجاهد الإنسان، ويظهر آثار هذا الجهاد فيستحق المكافأة من رب العباد، وإلا يستوي الكل يوم التناد، وإلا فما الفرق بين هذا وذاك؟ وقد قال ﷻ: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٩٥النساء).



١٦– الإلهام

ما الإلهام؟ وما علاماته؟

وما السبيل للوصول إليه؟ وكيف أعرف أنني من أهل الإلهام؟

الإلهام هو أن الله ﷻ بعد أن يصفو قلب الإنسان، وتطهُر نفسه، يُلقي الله ﷻ عليه إما في قلبه مباشرة من حضرة الله إن كان قد وصل إلى هذه المنزلة الكريمة، أو عن طريق ملك إسمه ملك الإلهام، فلكل مؤمن ملكٌ يُلهمه،

هذا الملَك يُذَكِّر الإنسان مثلاً بأن هذا اليوم يوم جمعة وصلاة الجمعة على وشك، أو يذكِّرك بأن عليك لله عمل كذا، وأنت نسيت هذا العمل، أو يذكّرك أثناء النوم أن الفجر قد اقترب وهيا قُم من النوم وتجهَّز لصلاة الفجر ... فعمل الخير الذي تعمله كله الذي يذكّرك به ملك الإلهام الذي جعله الله سبحانه وتعالى معك على قلبك.

فكلنا والحمد لله معنا الإلهام الذي يُلهمنا به الله، وهذا ما يقول فيه الله في كتاب الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف) من الذي يُذكِّره؟ ملك الإلهام الذي معه.

إذا ارتقى قليلاً في عالم الإلهام عندما يقرأ في كتاب الله، أو يسمع آيات من كتاب الله فيُلهمه الله ﷻ في صدره وفي قلبه وفي فؤاده معاني طيبة في هذه الكلمات، كيف أعرف أن هذا إلهام؟ أعرض هذه المعاني على الشريعة، فإذا كانت هذه المعاني لا تخالف الشريعة فهذا إلهام من الله.

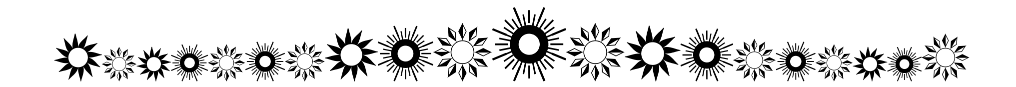
وإذا كانت هذه المعاني مخالفة للشريعة أعرف أنها وسوسة من الشيطان، فأضرب بها عرض الحائط وأستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

إذاً الإلهام في باب العمل والأوامر شرطه أن يؤدي إلى خير أو برٍّ أو طاعة لله، فإذا كان يؤدي إلى معصية أو إلى فعل قبيح، فيكون من النفس، أو من الشيطان، فأبتعد عنه واستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

الإلهام في عالم المعاني، إذا كان آيات من القرآن، أو أحاديث للنبي العدنان، فشرطه أن يوافق شرع الله عز وجل، ولا يعارض الشريعة لا في قليل ولا في كثير، قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: **(إذا تعارض كشفك مع الشريعة فاضرب به عرض الحائط وقل: إن الله ﷻ ضمن لي العصمة باتباع الشرع، ولم يضمنها لي في الكشف ولا في الإلهام)**.

والإلهام الذي نحتاجه كلنا جماعة المؤمنين أن يُلهمني الله ﷻ بحل مشكلة بين إثنين أو بين جماعتين، وأن يُلهمني الله ﷻ بعمل نافع لنفسي أو لمن حولي، وأن يُلهمني بعمل خير للمسلمين أجمعين .. فهذا كله عبارة عن إلهام من الله مادام في عمل الخير.

أما إذا كان في شرٍّ فإما أن يكون من وسوسة الشيطان، وإما أن يكون نزغة من النفس، فيستعيذ المرء من الشيطان الرجيم، ويترك وساوس النفس، نسأل الله ﷻ الإلهام النافع في كل الأحوال.



١٧- حاجز النفس

ما الحاجز الذي يعيق المريد عن الله؟

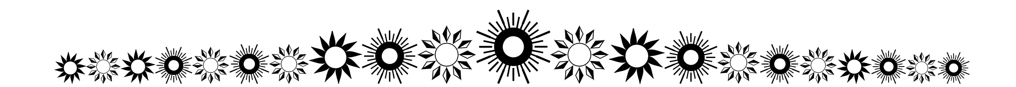
الحاجز الذي يحجز المريد عن الله هي النفس:

بينك وبين الله نفسك!

فاخلع نفسك تكن أنت وربك، فهذا هو الحاجز الأساسي:

مني أسافر لا من كوني الداني	أفردت ربي لا حور وولدان

إذا سافر الإنسان من نفسه، وجد نفسه بين يدي ربه، فالنفس هي الحاجز الأكبر الذي يحجز المريدين عن رب العالمين ﷻ.



١٨- العلم اللدني

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) ما العلم اللدني؟ وكيف نصل إليه؟

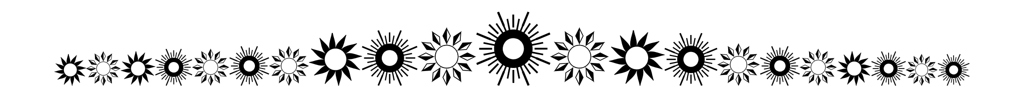
العلم اللدني الذي يفاض من الله ﷻ مباشرة على قلب العبد الذي تحقق بمقام العبودية، لأنه وصل إلى مقام عظيم في تقوى الله ﷻ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾ (٦٥الكهف) تجمل بمقام العبودية وأصبح عبدًا لله، حرًا مما سواه.

فما مقام العبودية؟ أن يشعر الإنسان دومًا بأنه فقير إلى مولاه، جاهل يحتاج أن يُعلِّمه العليم، ذليل يحتاج أن يعزه العزيز، ضعيف يحتاج إلى أن يقوّه القوي، لا حول له ولا طول له يحتاج إلى مدد من حول الله وطول الله، وبدون مدد الله لا يستطيع أن يطيع الله، وبدون حفظه وصيانته لا يستطيع أن يمنع نفسه عن معصية الله.

فيري نفسه بغير مولاه لا يستطيع أن يفعل قليلاً ولا كثيراً، ولا أن يمنع نفسه حتى عن أقل سفاسف الأمور، لأن الأمور بيد من يقول للشيء كن فيكون.

إذا تحقق بمقام العبودية، جاءته العلوم الوهبية مباشرة من الحضرة الإلهية؛ من حضرة اللدنية، لأن هناك أناس يصل إليها علوم من الملكوت، تلهمهم الملائكة ببعض العلوم الملكوتية .. وهناك أناس يفاض عليهم علوم من أسرار الصفات الإلهية عندما ينظرون بعين القلب المضية إلى آيات الله الكونية، فكلما ينظر لآية من آيات الله توضح له ما فيها من أسرار الله جل في علاه.

وهناك أناس يستقوا العلوم من اللوح المحفوظ، وهناك أناس يستقوا العلوم من العرش، وهناك أناس يستقوا العلوم من أرواح النبيين والمرسلين السابقين؛ تأتي له أرواح الأنبياء وتلهمه بالحكمة العلية، والعلوم الإلهية، لكن أعلاهم وأجلهم قدرًا الذي تأتيه العلوم مباشرًة: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) من حضرة اللدنية، ومن الحضرة الذاتية التي لا تباح إلا للواحد بعد الواحد من أهل الخصوصية، لأنها خاصة بالحضرة المحمدية: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦النمل) وكذلك لا ينالها إلا الوارث بعد الوارث، وكمل الورثة هم الذين يحصلون على هذه العلوم الوهبية ... وهذه العلوم لا عد لها ولا حد لها، لكن ما نحتاجه معشر السالكين توضيح السبيل الذي نريد أن نسلكه لنصل إلى بر الأمان، وشاطئ الجودي عند رب العالمين، فهم يلهمهم الله بما يلائم أهل عصرهم من علوم المكاشفة، التي بها ينطوي المريد، وينال بغيته من الحميد المجيد ﷻ.



١٩–مقام التجريد

ما مقام التجريد؟ وهل من دليل من القرآن والسنة يؤكد هذا المقام؟

مقام التجريد هو المقام الذي يصل الإنسان فيه إلى تمام الثقة بمولاه، وحُسن التوكل على الله، فلا يرى الأشياء إلا بالله، ولا يرى الأفعال إلا من الله، ولا يرى الأحوال إلا بإمداد من الله جل في علاه.

وهذا المقام واضحٌ جداً عندما طلب رسول الله ﷺ من أصحابه البررة الكرام أن يتبرَّع كلٌ منهم بما تجود به نفسه، فسيدنا عمر في هذا اليوم يقول: وافق عندي مالاً، فجئتُ بنصفه، فقال لي ﷺ:

{ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } [٤٠]

فلم يُنكر عليه ولم يعترض عليه، كما قال قبل ذلك عندما كان سعد بن أبي وقاص في مرضٍ شديد وليس له إلا إبنة واحدة،

[٤٠] جامع الترمذي وسنن أبي داود

فقال: { **يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَلَغَنِي مَا تَرَى مِنَ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي، قَالَ: لَا ، قَالَ: قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ، قَالَ: لَا ، الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ** } [٤١]

فكان في إجابة النبي أمران، الأمر الأول: أنه سيُشفى من هذا المرض وسيكون له ورثة غير هذه البنت الوحيدة، وقد حدث، فالنبي قال: (ورثتك) والنبي ﷺ ما ينطق عن الهوى، والأمر الثاني: أنه كلَّفه بألاَّ يتصدق إلا بالثُلث، لكن عندما جاء أبو بكر، ورأى النبي فيه حُسن توكله على الله، وتفويضه الأمور لمولاه، وأنه لن تتغير شعرةً منه ظاهرةً أو باطنةً بما أعطاه، أقرَّه على ذلك.

وهذا مقام التجريد الذي كان فيه سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه، وهو أن يتجرد الإنسان من كل ما له، ويجعله في أبواب الخير التي يفتحها الله ﷻ له، وهذا ما يقول الله ﷻ فيه في كتابه: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ** ﴾ (١٦٢الأنعام) وماذا نملك؟ لا شيء، إنا وما نملك وما حولنا وأزواجنا وأولادنا وأموالنا لله: ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ (١٥٦البقرة).

---

٤١ البخاري ومسلم

٢٠- الحجب

ما الحُجب؟ وكيف ترتفع الحُجب عن القلب؟ وهل هناك حُجبٌ بصرية مثل الحُجب القلبية؟ بمعني: هل البصر يشهد مشاهد مثلما يشهد القلب مشاهد؟

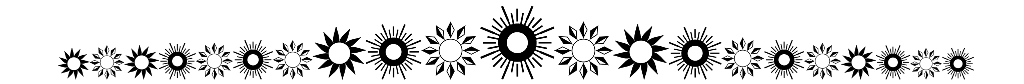
الحُجب هي الموانع التي تمنع الإنسان عن رؤية حقيقة الجمال الإلهي في الأكوان، أو الستائر التي تنزل على عين البصيرة فلا تستطيع رؤية ذات الحبيب ﷺ مع أنها منيرة ... أو الران – يعني الغطاء – الذي ينزل على نفخة القُدُس، فيجعلها تُحجَب عن جمالات حضرة القدوس ﷻ.

فكل ما يحجب عن أنوار الله، أو جمال رسول الله، أو جمال أسماء الله وصفات الله، أو الجمال الذاتي لحضرة الله، فهذه نسميها حُجب.

وهذه غيوب لا تُرى لمن في قلبه عيوب، ولا تُرى بعين البصر، لأن عين البصر لا ترى إلا المحسوسات الملموسات، والغيوب لا يطلع عليها إلا القلوب، ولا يراها عبدٌ محجوب.

لأنها لو كانت تُرى بالأبصار لرآها كل المبصرين، لكن لا يطلع عليها إلا من انفتحت له أنوار البصيرة ببركة وإذن من سيد الأولين والآخرين ﷺ.

سيدنا عبد الله بن أم مكتوم ﷺ عندما نزل قول الله ﷻ: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ (٧٢الإسراء) ذهب إلى رسول الله وهو حزينٌ كاسف البال وقال: أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى يا رسول الله؟ فنزل قول الله ﷻ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤٦الحج) ففرح واستبشر بفضل الله وإكرام الله وعطاء الله جل في علاه.



٢١- الملامتية

من هم الملامتية أو أهل الملامتية؟

الملامتية قومٌ من السادة الصوفية لا يريدون أن يطلع على عملهم إلا رب البرية ﷻ، فإذا عملوا عملاً لله وصادف أن اطلع عليه نفرٌ من خلق الله حاولوا أن يتملصوا منه، ويتخلصوا منه أمامهم.

وهذه الحالة إسمها حالة الفتوة، فهؤلاء أهل الفتوة، وهم الملامتية.

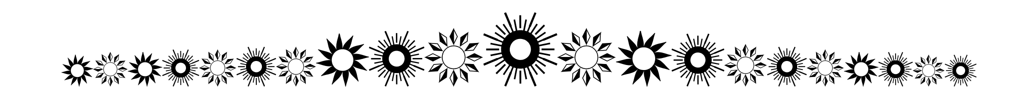
واحد منهم تبرَّع بمبلغ من المال لعمل خيري، فأراد قوم أن يحُثوا الآخرين فقالوا: إن فلان تبرَّع بكذا، فجاء مسرعاً وقال: أنا كنت قد أخذتُ هذا المبلغ من أمي، وأُمي قالت لي: أعده لي مرةً ثانية، لأنه لا يريد أن يعرف الناس ماذا فعل، لأن هذا بينه وبين الله، وهذا سلوكٌ شديد.

واحد منهم كان ذاهباً لليبيا في أيام رمضان وبالنهار، ففوجئ بآلاف من الناس محتشدة حوله جاءوا لاستقباله، فأحسَّ بأن نفسه تحركت، فطلب من أحدهم قليل من الماء – و-هو صائم لكن يُباح له الفطر من أجل السفر – وقال أمامهم: بسم الله الرحمن الرحيم ورفع الوعاء على فمه، ففوجئ بالموكب كله وقد انفض، وهو يريد ذلك، لأنه لا يريد أن يعرف أحد ما بداخله أو ما يريد أن يعمله إلا مولاه ﷻ، وهذا هو المشهد العالى لكُمَّل الصالحين، الذين نتعشم أن نكون منهم أجمعين.

فكل إنسان يعمل شيء ويريد أن يُعلن ذلك، ويقال: أن فلان عمل كذا وكذا، وهذا لا ينفع بين الصالحين أبداً، لأن هؤلاء أهل الملامتية وأهل الفتوة الذين يريدون أن يكون عملهم خالصاً لله.

ومثلهم أيضاً سيدنا على زين العابدين بن الإمام الحسين رضي الله عنهم أجمعين، لما غسَّلوه بعد موته في المدينة وجدوا في ظهره علامة كبيرة كمن كان يشتغل عتالاً، أي يحمِّل على ظهره، فتعجبوا، لأنه كان رجلاً مرفهَّاً، وعنده خدم وعنده أولادٌ، وبعد مدة من الزمن وجدوا أن ثلاثين عائلة في المدينة تكشَّفوا، ولم يستطيعوا المعيشة، فذهبوا إليهم وسألوهم كيف كنتم تعيشون؟ فقالوا جميعاً: كان يأتينا رجلاً كل شهر بعد منتصف الليل، ويطرق الباب، وعندما نقول: من؟ فلا نجده، ونجد جوال دقيق وقدر به سمن وصُرَّة بها نقود تكفينا الشهر، ولا يأتينا إلا بعد شهر، فعلموا أن هذا هو سيدنا علي زين العابدين.

متى عرفوا ما حدث؟ بعد أن مات، وحتى أولاده لم يعرفوا، ولا زوجته، ولا حتى خدمه، لماذا؟ لأنه لا يريد أن يعرف ذلك غير مولاه ﷻ: ﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾ (٦١الصافات).



٢٢- السُّكر والخمر

من عبارات الصوفية السُكر والخمر، نرجوا تعريف السُكر والخمر عند الصوفية؟

هذه ألفاظ تتشابه في المعنى، لكن تختلف في الشكل، فالسُكر في الخمر الحسية يجعل الإنسان يفقد وعيه، أو على الأقل يغيب عقله.

كذلك إذا انشغل الإنسان بأي أمرٍ دنيوي زائد عن الحد، فهذا يكون كحالة السُكر، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه: **(الدنيا خمرة الشيطان، مَن شرب منها سكر سكرةً لم يفق منها إلا بعد الموت)** الإنسان الذي استعبدته الدنيا فاشتغل بها فقط، فكأنه فاقد عقله.

وأشار الصوفية في كلمات السُكر إلى بعض الأفراد الذين زادت عندهم محبة الله، أو محبة حبيب الله ومصطفاه، حتى أنه لشدة محبته وكثرة صبابته غاب عما حوله، فلا يعيش إلا في نطاق محبوبه وهو الله ﷻ، أو رسول الله ﷺ.

فيكون قد غاب عن الدنيا ليعيش في الآخرة، أو ليعيش في رحاب الحبيب، أو ليعيش في القدس الأعلى وهذا يكون بروحه أو بقلبه، لكن الجسم قائم بما ينبغي عليه في الدنيا كما ينبغي.

وأضرب لذلك مثلاً دنيوياً: امرأة العزيز زُليخة عندما خاض أهل البلدة من الوجهاء في سيرتها مع يوسف، ويوسف كان يُعتبر بالنسبة لها عبداً عندها، فماذا فعلت؟ دعتهم وأعطت كل واحدةٍ منهن طبقاً فيه تفاح وسكين، وقالت له: ﴿ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ فماذا حدث؟ ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣١يوسف) وماذا تكون هذه الحالة؟ أليست حالة سُكر؟ فقد سكروا من رؤية جمال يوسف الحسّي، حتى أنهن قطّعن أيديهن ونزل منها الدم ولم يشعُرن، فهذا سُكرٌ حسّي.

فما بال بمن يتمتع بالجمال المحمدي؟! فماذا يكون هذا السّكر؟! وهذا ما حدث مع سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه، فقد كان ماشياً مع رسول الله ﷺ في الهجرة، فَجَعَلَ مَرَّةً يَمْشِي أَمَامَهُ، وَمَرَّةً خَلْفَهُ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِهِ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

{مَا هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ؟ مَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ فِعْالِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَذْكُرُ الرَّصْدَ، فَأَكُونُ أَمَامَكَ، وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ، فَأَكُونُ خَلْفَكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِكَ لا آمَنُ عَلَيْكَ }[٤٢]، وعبَّر عن هذا حسَّان بن ثابت وعن حب الصِدّيق فقال فيه:

---

٤٢ تاريخ دمشق لابن عساكر ودلائل النبوة للبيهقي

أحبك حباً لو يُفاض يسيره على	الناس مات الناس من شدة الحب
وما أنا موفٍ بالذي أنت أهله	لأنك في أعلى المراتب من قلبي

فالحب – وهو حبٌ معنوي – إذا وصل لسيدنا رسول الله أو لحضرة الله لهذه الدرجة نسميها حالة سُكر، كمن غاب عن وعيه، وكمن غاب عن فكره، لانشغال قلبه بالكلية لصاحب الحضرة البهية، أو بالحضرة الإلهية.

أما الخمر فالصالحين لما عبَّروا عن عشقهم وحبهم لربهم ولنبيهم لم يجدوا ألفاظاً تلائم ذلك يستطيع أن يفهمها الخلق إلا ألفاظ المحبين العاديين، والألفاظ الحسِّية التي يعرفها الناس، لأن الألفاظ المعنوية لا يدركها الخلق، فقرَّبوا الحقيقة وأعطوها نفس المصطلحات الحسية، لكن مقصودهم معنوي وعالي وقلبي.

فالخمر ما يُسكر الإنسان، وما الذي يُسكر الإنسان المقبل على حضرة الرحمن؟ هناك أُناس إذا رأى أحدهم نور رسول الله يغيب عن الوجود كأنه شرب خمراً معتقاً، ولا يشعر بمن حوله، كما قال الإمام أبو العزائم:

من خمر نور جمالك	ومن رحيق وصالك
شربتُ صرفاً فهمتُ	وهام أهل كمالك

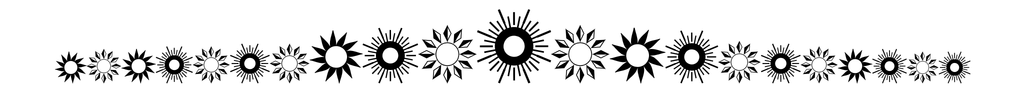
عندما يرى نور رسول الله يهيم وينسى الدنيا ومن عليها، كمن شرب الخمرة المحسوسة، وهذا تشبيه بليغ أو كناية عن الحال الذي هم فيه.

ومنهم من يُسقيه الحبيب ﷺ من يده كأساً يقول فيه الله: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١الإنسان)

من يشرب هذا الكأس يغيب:

سقاني رسول الله كأساً مزمزماً	وصيَّرني طه إماماً مقدماً
فقبلتُ لما وصلتُ يمينه	وبشرني بعد الشهود بكلما

والكأس المزمزم هذا رحيق من حضرة الله ﷻ، إذا سُقي منه المريد لان قلبه، وهام لبُّه، وأصبح يرى بعين اليقين ما غاب عن عالم الطين الذي نحن فيه أجمعين، وهذا أسموه خمراً.



٢٣- الذوق

يقول البعض من ذاق عرف، ما الذوق؟ وهل يتذوق الإنسان المعاني الراقية بالعقل، أم بالقلب؟

الذوق هو الإحساس بالمعاني الراقية بالقلب المملوء بنور الإيمان, والذوق فوق العلم؛ لأن العلم يُحصَّل عن طريق الأذن بالسماع، أو عن طريق العين بالقراءة، لكن الذوق يُحصَّل عن طريق القلب.

والقلب إذا صفا ووفى واستنار بنور الحبيب المصطفى يأتيه دائمًا وأبدًا فيوضات وإلهامات من عالم الغيب الإلهي تجعله عندما يستمع إلى الكلام – أي كلام – يأتيه تفسيره المناسب له من حضرة العليم العلام ﷻ.

فالذوق بالقلوب، ولذلك قيل: (قد يكون على ذوق رجل أُمِّي, وقد يُحرم من الذوق عالم كبير أزهري) معه علوم الشريعة وعلوم التفسير ولكن لا يتذوق معانيها، والآخر رجل أمي ولكنه يتذوق المعاني، لأن الذوق منحة من الله تفاض على قلوب أحبابه ﷻ .. ويروي في هذا المجال أن الإمام أبا العزائم رضي الله عنه وأرضاه كان أحد تلاميذه يغني قصائده في الأزهر، وذكر قصيدة أولها:

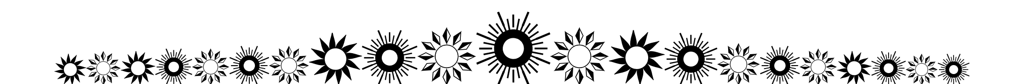
أنا سدرة المنتهى والعرش والكرسي	أنا القلم واللوح المعلى على نفسي

فسمع هذا الكلام عالم من علماء الأزهر، فقال له من أين أتيت بهذا الكلام؟! الذي قال هذا الكلام رجل كافر، فهم يسارعون في القذف، فقال له: أنا لا أعرف شيئًا, اذهب لشيخي؛ فذهب لزيارة الإمام أبي العزائم ﷺ وأرضاه، لكنه كان ذاهبًا إليه معترضًا، والرجل كان أنيقًا، أي ملابسه نظيفة، وحذاؤه لامع، ويهتم بمظهره، فعندما رآه الإمام أبو العزائم داخلاً عليه قال في قصيدة: (إن قلت إني عرش فالعرش مني جميل) وقال في قصيدة أخرى: (فالعرش موطئ قدمي) فاستغرب الرجل وقال له: ما هذا الذي تقوله؟!

فقال له: اقرأ معي قول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ (١٣الجاثية)

فهل قال الله تعالى: سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا إلا العرش؟ لا، هل قال الله تعالى سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا إلا الكرسي؟ لا، إذًا كل ما في الأكوان غير مكوِّن الأكوان مسخر للإنسان، فخضع الرجل، فقال له الإمام أبوالعزائم ﷺ: لو نظفت قلبك كما نظفت حذاءك لفقهت هذا الكلام.

فلابد من نظافة القلب؛ لكي يتذوق الإنسان المعاني الربانية في الآيات القرآنية وفي الأحاديث النبوية، فلا بد من القلب السليم فهو الذي يتذوق المعاني العلية من الله ﷻ في هذه المجالات.



٢٤- بداوة النفس

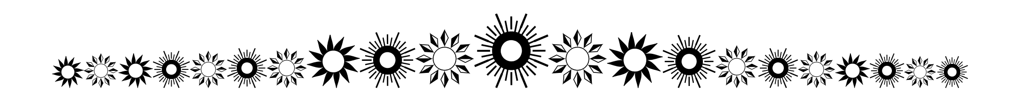
ما بداوة النفس؟

بداوة النفس تعني الإيحاءات الباطنية الداخلية التي توعز بها النفس للإنسان وتظهر في صدر الإنسان.

فصدر الإنسان يتلقي من ثلاث جهات:

- إما من الرحمن، وهذا يكون توجيهًا بالخير أو فعل البر وعمل الصالحات، وهو خاطر إلهي.
- أو وسوسة للتفريق بين اثنين محبين، أو لغيبة بين المسلمين، أو نميمة لإيقاع الفرقة بين جيران أو غيرهم، وهذه تكون من الشيطان.
- أو بداوة النفس أي هواجس النفس، وهذه تكون شيئًا شهوانيًا، كشهوة أكل وشهوة شرب وشهوة لبس وشهوة جنس، فهذه كلها من النفس.

فالإنسان الذي يكرمه الله ﷻ ويجعله من عباد الله الصالحين، يحفظه من لمم النفس وبداوتها، ومن وساوس الشيطان، ويجعله لا يتلقى إلا من حضرة الرحمن ﷻ، ويسارع لتنفيذ ما يرد على قلبه من إلهامات من حضرة الله جل في علاه.



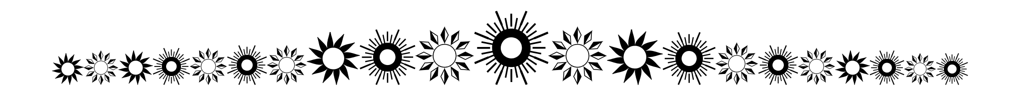
٢٥- البث

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٨٦يوسف) ما البث؟

البث علم روحاني، أو شأن روحاني، وهو أن الرجل الرباني يعطيه الله ﷻ من القدرة الإلهية ما به يبث – أي يقذف – في قلوب أحبائه والصالحين من أحبابه الخطرات الطيبة، التي تُطيّب حياتهم، وتجعلهم يقبلون على ربهم ﷻ.

﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي ﴾ الذي بث لأبنائه، ومع ذلك جاء الحسد لأخيهم، فغطى على هذا البث ولم يسعفهم من هذا الخلق الذميم، وحسدوا يوسف، وهموا بقتله، وعندما فشلوا بقتله باعوه بثمن بخس، لكن الذي أكرمه الله فقط بهذا البث هو يوسف الصديق عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

فالبث هو العطاء النوراني الروحاني من المرشد الرباني للمريد السعيد، الذي أصبح عنده استعداد لتلقي هذه الروحانيات، قد يكون منامًا، وقد يكون يقظة إلهامًا، في أي موقف من المواقف كأن يكون على المنبر أو يتحدث مع شخص في جماعة؛ فيجد إلهامًا أتي له على الفور ينقذه من هذا الموقف الذي هو فيه، ويوضح له الحجة، ويجعل له الحجة على محدثه ومن حوله، ما هذا؟! هذا هو البث الروحاني الإلهامي من العبد القائم بالله لله إلى أحبابه ببركة رسول الله، ﷺ.



٢٦- الجمع والفرق

ما الجمع؟ وما الفرق؟ وما جمع الجمع؟ وما فرق الفرق؟

هذا السؤال لا يجوز فيه التفصيل إلا لأهله، لكن سنجيب عنه على قدر المستطاع.

الجمع أن يجمع الله ﷻ بمعونته وتوفيقه الحقائق الإلهية التي فيَّ على اتجاه واحد نحو الحضرة المحمدية، ولا يجعل إحداها تتفرق، لا في الدنيا الدنية، ولا في أشياء مرضيّة، ولا في أهواء كونية؛ يجمعها على رسول الله ﷺ.

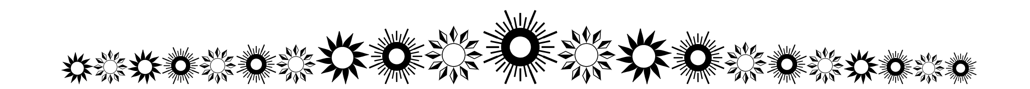
ثم بعد ذلك يفنى العبد في حبيب الله ومصطفاه عن نفسه وذاته، فيُجمع على حضرة الله جل في علاه، وهذا ما يسمي بجمع الجمع، لأنه جُمِعَ على حضرة الله بعد أن كان مجموعًا على حضرة رسول الله.

فإذا جُمع على حضرة الله ﷻ وظل مجذوبًا على الدوام، فلن ينتفع به أحد من الخلق، لأنه في حالة جمع واستغراق، لكن إذا أراد الله ﷻ نفع الخلق به؛ يرده إلى بشريته مع الاحتفاظ بالجمعية الإلهية في روحانيته، فيكون مجموعًا على الله وفي نفس الوقت مع خلق الله، يتعامل معهم كأنه واحد منهم أو أحدهم، ولا يعرفه إلا خاصة الخاصة من عباد الله، هذا ما يسمي بالفرق أو فرق الفرق.

وهذا ما يسمي بأبي العينين، وصاحب المشهدين، يشهد حضرة الله، ويشهد حضرة رسول الله، وفي نفس الوقت لا يغيب عنه مشهد الخلق؛ لأنه طبيب رباني لا بد أن يعطي لكل إنسان ما يلائمه من العطاء القرآني ومن الشراب الصمداني، ولو أعطي أحد ما لا يلائمه يعاتب ويحاسب ويلام، فيعطي لكل واحد ما يلائمه لماذا؟ لأنه أعطاه الله ﷻ ذاك وذاك، وهذا الذي كان فيه سيدنا رسول الله ﷺ، وعلى أثره الورثة والمتقون والصالحون إلى يوم الدين.

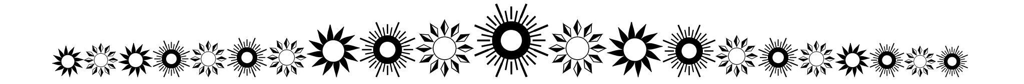
فكان سيدنا رسول الله يكون مع أصحابه، وفي لحظة ينزل الوحي ولا أحد منهم يرى شيئًا، أو يسمع شيئًا، وعندما ينفصل الوحي يقول لهم أنه نزل الوحي وأمرني بكذا وكذا، فيكون في حالة الجمع عند نزول الوحي وعندما يذهب الوحي يكون في حالة الفرق.

ويكون في جمع الجمع عند نزول الوحي، وهو يتحدث معهم لا هذا يلهيه عن ذاك ولا هذا يمنعه عن ذاك، فيكون الاثنان في وقت واحد، كيف ذلك؟! الجهازان يعملان في وقت واحد، الجهاز الباطني والجهاز الظاهري يعملان مع بعضهما لا هذا يمنع هذا، ولا هذا يحجب هذا، وهذا المطلب الأعظم الذي يقيم فيه الله ﷻ كمّل ورثة الحبيب المصطفي ﷺ، ورضي الله تبارك وتعالي عنهم أجمعين.



٢٧- الإصطلام

ما الإصطلام؟



الإصطلام هو الشوق الشديد الذي يجعل صاحبه لا ينشغل بغير محبوبه طرفة عين ولا أقل، فلو نام يفكر فيه، ولو مشى يكون مشغول به، في كل أحواله مشغول بمحبوبه، فالمحبوب هو الله ﷻ، أو رسول الله ﷺ، والإصطلام هو الشوق الشديد، والحب الذي لا ينتهي، وليس له أمل ولا وقت.

٢٨- العشق والمحبة

ما العشق؟ وما الفرق بين العشق والمحبة؟ ويقول البعض: أنه لا يجوز القول بعشق الله أو عشق رسول الله، فهل هناك دليل من القرآن السنة على العشق؟

هذه الأسئلة لا بد لها من كتاب من كتب مصطلحات الصوفية، فيوجد كتب مصطلحات الصوفية مثل ابن عربي، أو القيشاني، أو الإمام أبوالعزائم، ويوجد كتاب مصطلحات الصوفية للدكتور حسن الشرقاوي، فهناك كتب كثيرة فيها مصطلحات الصوفية يمكن الرجوع إليها.

ومصطلحات الصوفية:

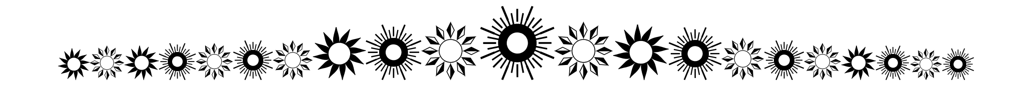
ليس لها عبارة واحدة يسطرها كل من يتحدث عن الصوفية، لأن هذه أذواق وأشواق ومواجيد، والوجد يختلف من إنسان لإنسان، والحال يختلف من إنسان لإنسان، فكلها حالات فردية وليست لها تعميم جماعي، ليس قانون مثل القوانين العلمية يطبقها الجميع بل هي حالات إنسانية فردية.

فالعشق أن الإنسان يميل بالكلية لإنسان مثله، وهذا إذا كان عشق إنساني، أو إلى الحبيب الأعظم ﷺ لما يرى فيه من أوصاف خالقه وباريه، فليس يحبه للحم والشحم والدم، بل لأوصاف الله التي ظهرت في حبيب الله، أو عشق لذات الله لنعم الله التي لا تعد ولا تحصى التي أحاطها بنا الله ﷻ، قال ﷺ في ذلك:

{ أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي } [٤٣]

فهذا دليل على حب الله ورسوله، فالحديث يأمرنا بذلك، والأدلة لا تعد ولا تحد بين أصحاب رسول الله ﷺ وحبهم الشديد لرسول الله، وحبهم الزائد لحضرة الله جل في علاه

الفرق بين العشق والمحبة ..الميل القلبي، والعشق الميل القلبي إذا تحول إلى جذوة في الفؤاد، أو دافع أكثر يدفعه لتحقيق المراد، لأن المحبة تكون في البداية، فإذا زادت المحبة يريد أن يعبر عن شعوره نحو محبوبه إن كان بعبادة، أو كان بمواجيد يتحدث بها، أو كان بصلاة وتسليم على الحبيب ﷺ، أو بأي عمل يناسب هذا المقام



٤٣ جامع الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما

٢٩- مقام الفناء

ما معني قول الحلاج (عجبت منك ومني يا منية المتمني، أدنيتي منك حتى ظننت أنك أني، وغبت في الوجد حتى أفنيتني بك عني)؟

الحلاج كان من أئمة الصالحين، وقد دخل في مقام الفناء، ومقام الفناء أن يفني الإنسان عن شهواته الدنيوية، وحظوظه الكونية، ولا يبقى له إلا شهوته في الإتصال بالحبيب، وحبه لله ﷻ، لأن الله ﷻ من كل عبد يحبه ولي وقريب، وهذه مذكورة في الآيات القرآنية: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ (١٢٢الأنعام) أي مات عن حظوظه وأهوائه وشهواته، فأصبحت النفس لا تميل لهذا ولا لذاك من لذات الدنيا الفانية التي يتلذذ بها الأقوام.

يوجد أناس عندما يشمون رائحة طعام معين، فإن النفس تشتهيه، أما هؤلاء يضع أمامهم هذا الطعام فيستوي عندهم مثل غيره، لأنهم لا ينظرون إلا للذي يقول للشيء كن فيكون، فماذا يأكلون؟ تشبهًا بالحبيب، وعملاً بالسُنَّة، وكما يقول الطب: { حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ }[٤٤]

[٤٤] سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي ﷺ

الأكل بالنسبة لهم كالدواء، فالجوع مرض ويداوي هذا المرض بلقيمات يقمن صلبه، وهذه اللقيمات تحتوي على القيمة الغذائية التي يحتاجها كل جسم الإنسان، لا يأكل تلذذاً ولكن كالذي يأخذ الدواء، فيأكل مرغمًا لأخذ الدواء لحياة الأجسام، لأن رغبته كلها في القرب من الله وفي حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وهو

عندما يأكل يكون مشتغلًا في المشاهد الإلهية: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ (٢٤عبس) ينظر بعين القلب إلى دورة الطعام التي دارها حتى وصل إليه: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس).

العوام يجلسون على المائدة فينظرون ما هذا الصنف؟ وما هذا؟ أما الخاصة فينظرون كيف وصل إليه هذا الطعام؟ وكم مرحلة مر بها منذ أن كوَّنه الله حتى وصل إلى يده؟ كيف وضعت هذه الحبة في الأرض، وكيف جاءها الماء من السماء؟ وهيأ الله لها من يزرعها، ومن يحصدها، ومن يطحنها، ومن يعجنها، ومن يخبزها، ومن يوصلها إلى ماضغيها، فهذه نظرات الصالحين للطعام، ليس لشهوة الطعام وإنما يروا فيه عطاء الله ﷻ لهم في هذا الطعام، فإذا ذهبت هذه الشهوات من عنده، فأصبح له شهوة واحدة يقول فيها ﷺ:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[٤٥]

فيكون هواه تبعًا لرسول الله، وهنا يبدِّل الله ﷻ الله ظاهره وباطنه، يُنوِّر الله ﷻ باطنه، وينوِّر الله بنور اتباع شرع الحبيب ظاهره، فيكون ظاهره نور، وباطنه نور: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (٣٥النور).

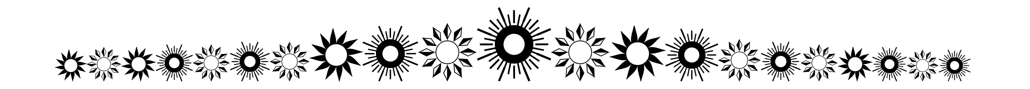
إذا لم يكرم الله ﷻ هذا العبد فيرده إلى مقام الفرق الذي تحدثنا عنه سابقاً، ربما يغيب في حضرة الربوبية،

ويهيم في حضرة الإلوهية، وينطق بألفاظ عمية على الحاضرين، وتغيب حتى عن أولي الألباب من الذاكرين، وهذه الألفاظ يتهيأ لهم أنه يدَّعي أنه هو الله، لكنها ألفاظ تجري على لسانه بأمر الله، لمن أراد الله ﷻ لهم القرب منه ورضاه، لكن الإنسان إنسان وإن علا، والرب رب وإن تنزل.

---

٤٥ معجم السقر وشرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

ومهما علا الإنسان في المراتب العلية فلا يترك مرتبة الإنسانية، ومهما تنزل الله ﷻ في رتبه الإلهية لا يحل في البشرية، فالله ﷻ رب والعبد عبد، فليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا، فالعبد الذي لم يحصل له مقام الفرق يكون فتنة لمن حوله، لأن الألفاظ الغريبة التي ينطق بها لا يفقهها إلا من كان في مثل حاله، والذي يفسرها بعقله يضل، والذي يفسرها بفكره يذل، والذي يتركها على هواه ربما يحدث له خلل، كالكلام الذي سمعناه للحلاج رحمة الله تبارك وتعالي عليه.



٣٠- الخلوة مع الله

ما الخلوة؟ وما شروطها؟ وما أرقي مقاماتها؟ وهل يمكن للإنسان أن يكون في خلوة وهو في جلوه؟

☼☼

كان السابقون يصنعون لأنفسهم خلوة إما في بيته أو في الجبل، وكانوا يجهزونها على هيئة خلوة حضرة النبي في غار حراء، فلا تسع إلا فرداً واحداً فقط، سواء كان واقفاً أوجالساً أو نائماً، ولا يوجد بها فتحات لكي تكون مظلمة تمامًا، يدخل فيها بعد أن يعطي له شيخه ورد، ويسير عليه إلى أن يأتي له مرة أخرى فيعطي له ورد آخر.

فلما أتى الإمام أبو العزائم جدَّد أحوال الصوفية، ورجعها إلى الأحوال النبوية، فقال: نفترض أني جلست في هذه الغرفة ومعي شرائط من الفكر والنفس، وجلست والنفس ظلت تعيد الشرائط، فيكون بذلك خلوة أم جلوة؟ ستكون جلوة، أو جلست والفكر ظل يأتي لي بالمواضيع التي أنا مشغول بها، ماذا أعمل فيها؟ وماذا أصنع بها؟ أتكون بذلك خلوة؟! لا.

فما الخلوة؟ قال: الخلوة خلو القلب مما سوى الله ﷻ، تجاهد حتى يخلو القلب مما سوى الله، فإذا خلى القلب مما سوى الله كان:

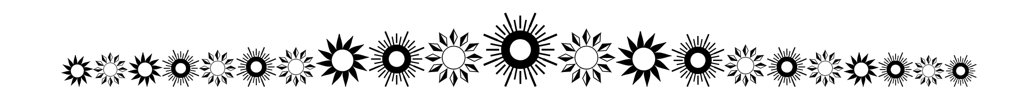
إذا صفا القلب من وهم وشبهات	يشاهد الغيب مسروداً بآيات
نَفَسٌ بقلب سليم رفعة ورضا	وألف عام بلا قلب كلحظات

فيخلو القلب مما سوى الله ﷻ، ولا يعينه على ذلك إلا استحضار صورة المرشد الرباني، فقد قيل:

(صورة المرشد تمنع واردات الحس عن القلب فيكون الحس تحت سلطان

القلب، والقلب يتلقى من الرب ﷻ) فإذا وصل إلى هذا الحال فيكون بذلك وهو معنا في خلوة، وهو يسير في الطريق، أو وهو نائم يكون في خلوة، في كل أحواله في خلوة، لأنه أخلى قلبه لربه، وأصبح الساكن فيه هو جلال الله وكبريائه ﷻ، وهذا لا يغيب عن ذكر الله طرفة عين.

هذه هي الخلوة التي أمرنا بها الإمام أبوالعزائم، فإذا مكثت في بيتي في غرفة منفرداً ولا أريد أن أتحدث مع أحد، فهذه لا تسمى خلوة بل تسمى عزلة عن الناس لكي أبتعد عنهم، أو أكتفي شرهم، أو لكي لا أغير من خيرهم، لكن ليست بخلوة، بل الخلوة أن القلب لا يكون فيه إلا الله ﷻ.



٣١- الفناء والحلول والإتحاد

ما الفناء؟ وما الفرق بينه وبين الحلول والاتحاد؟

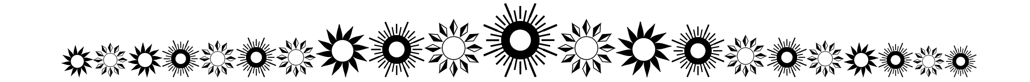
التناسخ الموجود في الهند الذي يقولون فيه أن الإنسان عندما يموت روحه عندها تنتقل إلى جسم آخر، وبعد هذا الجسم تنتقل إلى جسم آخر، فهذا لا يجوز، وهذه ليس بصورة فريدة بل هي صور متعددة.

أما الاتحاد فهذا أمر داخل في وحدة الوجود التي فسرناها وبيناها تفصيلًا، أنه أصبح - حاشا لله - هو والله شيء واحد.

يوجد ما يُسمى بوحدة الشهود، لكن لا يوجد ما يسمى بوحدة الوجود، فوحدة الشهود أن لا يشهد إلا الله مسيّرًا للأشياء، وقائم لكل شيء، لكن هل يشهد أن الله نزل فيه واتحد به؟ لا، حاشا لله ﷻ، وكما قال الشيخ ابن عربي:

(لا يقول بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، ولا يقول بالحلول إلا من هو معلول)

فهذا كلام ابن العربي الذي يتهمونه بهذه التهم الذي هو منها بريء ﷺ .

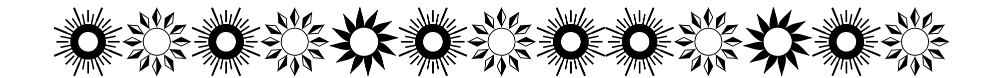


الباب الثالث

إزالة اللبس و كشف الغموض

الباب الثالث

إزالة اللبس و كشف الغموض



١- أقوال ملفقة للبسطامي

حكى ابن الجوزي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: إن لله عبادًا لو بصقوا على جهنم لأطفئوها، لقد وددت لو قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم، فسأله رجل: لم ذلك يا أبا يزيد؟ فقال: إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخنوا فأكون رحمة للخلق، ثم قال اللهم إن كان في سابق علمك أن تعذب أحدا من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع مع غيري، وقال: وما النار والله إن رأيتها لأطفأنها بطرف مقعدتي، نرجوا من فضيلتكم التوضيح؟

أما المقولة الأولى (لو رأيت النار لبصقت عليها) فهذه مدسوسة على البسطامي لأنه كان من أهل الأدب العالي مع الله، ولا بد أن تزن الكلام، لا يليق برجل حبيب لله، وولي لله أن يقول قولًا يتنافى مع الأدب مع حضرة الله وحضرة رسول الله ﷺ.

أما قوله: (لو رأتني جهنم لانطفأت) فهذه لكل مؤمن، وهذا حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه:

{ تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهَبِي } [٤٦]

ونار الآخرة تتكلم، وعندها غيظ: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ (٨الملك) فنار الآخرة ليست كنار الدنيا، نار الدنيا تحرق المؤمن و الكافر، أما نار الآخرة فلا تحرق إلا الكافر، ولولا أن الله خاطب نار الدنيا عندما أُلقي فيها سيدنا إبراهيم لأحرقته، فقال لها: ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٦٩الأنبياء)، فهذا ليس لأبي يزيد فقط، بل لكل مؤمن، فكل مؤمن يدخل النار لكي ينظر أو يشفع، فعندما يدخل النار تنطفئ من نور المؤمن الذي يدخلها.

الأولياء والصالحون درجاتهم عند الله بقدر ما نالوا قسطًا من رحمة الرحمة المهداة سيدنا رسول الله ﷺ، لذلك علامة الولاية كيف تعرفها عند الإنسان؟

إذا رأيت عنده رحمة وشفقة لخلق الله, فلو وجد شخصًا هاربًا من طاعة الله، يرده رداً جميلاً, أو لو وجد شخصًا أذنب يُرغبه ولا يُرهبه ويأخذ بيده إلى الله بطريقة إسلامية يقول فيها ﷺ: { **وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا** }[٤٧].

□

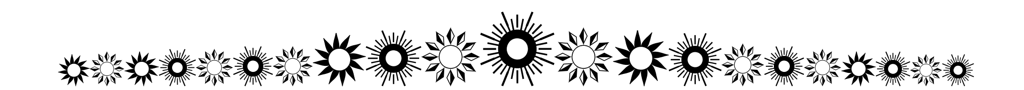
٤٦ معجم الطبراني والبيهقي
٤٧ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

فيكون عندهم رحمة بالخلق أجمعين، حتى بالعصاة والمذنبين من شدة حنانهم ورحمتهم، وهذا القول لا ينفرد به أبو يزيد فقط، بل كان لأكثر من رجل من الصالحين، أن يسمن جسمه يوم القيامة حتى يملأ به جهنم ولا يدخلها أحد من خلق الله، وهذا من فرط الرحمة والشفقة لعباد الله ﷻ، لأن النار مع أنها نار إلا أن

بها رحمة: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ (ق٣٠) يعني هل ستأتي بآخرين؟! كفى هؤلاء، فهي لا تريد آخرين غير هؤلاء، وهذا من شفقة النار!!

فهذا ما فهمه الصالحون من هذه الآية بسر العناية الإلهية.

فكونه أنه نطق بهذا الكلام من فرط رحمته وشفقته وحنانته ورؤيته لفرط رحمة الله ﷻ، لأن أبو يزيد البسطامي بذاته عندما عاين سعة رحمة الله ﷻ قال: ((يا رب لو عاين الخلق سعة رحمتك ما عبدوك، قال: يا أبا يزيد ولو عاينوا حبي لك لقتلوك فلا تقول ولا نقول)) لأن هذا سر بينك وبين الذي يقول للشيء كن فيكون.



٢- الخواطر

هناك من العلماء المقربين قالوا: (هناك من الصالحين من يعرف الخاطر قبل أن يأتيه)

فكيف هذا؟

الخواطر التي تنزل على الصالحين أنواع: فهناك خاطرٌ من النفس الملكوتية وهي بداخل الإنسان، وهناك خاطرٌ من الملك الذي يقول فيه ﷺ فيما معناه:

{ لكل إنسانٍ ملكٌ يُسدِّده، وشيطانٌ يوسوس له }

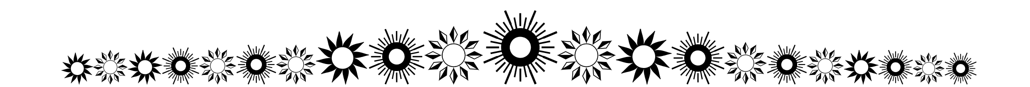
وهناك خواطرٌ تأتيه من ملك الملوك ﷻ مباشرةً، فالذي رقى وارتقى حتى وصل إلى تلقِّي الخواطر من ملك الملوك ﷻ عندما يأتيه به الملك يكون قد سبق هذا الملك وعرف هذا الخاطر قبل أن يأتي به الملك، لأن الملك لا بد أن يبلغه بهذه الخواطر: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (٤٣فاطر).

ولكنه قبل أن يأتي به الملك قد عرفه من ملك الملوك ﷻ، وإلى ذلك يقول الله ﷻ في حبيبه ومصطفاه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦النمل)

وأين جبريل هنا؟ جبريل ليس هنا، ولكن ولا تعجل بالقرآن الذي عرفته: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ (١١٤طه) فلا تعجَّل إلا إذا جاء جبريل بالإذن، ولذلك روى الإمام القشيري ﷺ في تفسيره (لطائف الإشارات) في تفسير أول سورة مريم: أن جبريل لما نزل قال لرسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ك﴾ قال: علمتُ، قال: ﴿هي﴾ قال: علمتُ، قال: ﴿عين﴾ قال: علمتُ، قال: ﴿ص﴾ قال: علمتُ، قال: عجباً لك يا رسول الله علمتَ ولم أعلم وأنا الذي نزلتُ به، فقال: يا أخي يا جبريل: ألم تنزل بقول الجليل: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦النمل)؟ فكان يتلقاه من الله، لكن لا يؤذن بالإخبار عنه ونطقه إلا بعد نزول أمين الوحي جبريل بإذنٍ من الله ﷻ.

إذاً النزول الأول له خصوصية، والنزول الذي يأتي به جبريل لجميع الأمة المحمدية، فكأن هذا الخطاب فيه خصوصية وهو يأتي من الحضرة الإلهية، وفيه عمومية وهذا لا بد أن يأتي برسالة من رب البرية إلى الحضرة المحمدية، وهو نفس الكلام، ولكن فيه معاني خاصة للحبيب المصطفى من ربه، ومعاني عامة لأمة حبيبه ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكذلك الأمر، فهناك رجالٌ من رجالات الله يقول بعضهم: **(إن لله عباداً لا يُحدث في كونه شيئاً إلا بعد أن يستشيرهم)** وإن كان هذا الكلام خاص، فهؤلاء ينزل عليهم العطاءات الإلهية مباشرة، لكن لا يؤمر بالتحدث بها حتى يأتيه ملك الإلهام، وهنا الإذن بأن يُبلِّغ، لكن ما يأتيه قبل الإلهام فهذا لخاصة نفسه، لا يُبلغ به غيره، ولا يفتح به فاه، وإنما يعمل به في نفسه، لأنه شيء خاصٌ به، وإذا أراد الله أن يعم هذا الخير فيأمر ملك الإلهام أن يذكره به ليبيح به لمن حوله، نسأل الله ﷻ أن يعلمنا ذلك أجمعين.



٣-كتاب الطبقات الكبرى للشعراني

ما رأي فضيلتكم في كتاب (الطبقات الكبرى) للشيخ عبد الوهاب الشعراني, لأن البعض يرى أن به الكثير من الضلالات؟

المعتاد أن أتباع الصالحين كثير منهم يبالغ في كرامات شيخه, ويظن أن هذا واجب عليه، ويظن أنه نوعًا من المساهمة في نشر دعوة الله ورسوله على يد شيخه, والشيخ عبد الوهاب الشعراني ﷺ صاحب كتاب (الطبقات الكبرى) يذكر فيه مقتطفات من أحول الصالحين وأقوالهم التي نتعلم منها، من أول سيدنا أبوبكر الصديق إلى عصره، فيها معظم الصالحين الذين تواجدوا خلال هذه الأزمنة.

وكانت الكتب في أيامه تكتب بخط اليد فلا يوجد مطابع، وكان هناك أناس يدسون كلام غير كلامه في كتبه، يحكي بنفسه فيقول: أخرجت كتاب عن محي الدين بن العربي أبرؤه مما نسب إليه، وكان حكيمًا، فعندما يكتب النسخة الأولى بخطه يطوف على علماء الأزهر لكي ينظرون إلى النسخة، ويجعلهم يوقعون عليها.

وبعد فترة من الزمن قالوا له: الكتاب الذي أخرجته وكان إسمه (الكبريت الأحمر في عقائد الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي) فيه كذا وكذا، فقال لهم: هذه النسخة الأصلية، وهذه توقيعاتكم عليها، انظروا؛ أيوجد شيء فيها مما هو منسوب في النسخ الأخرى؟ فقالوا: لا، فقال: طالما دسوا عليَّ في حياتي

أفلا يدسون علي الشيخ محي الدين وهو منتقل وغيره؟!! فكان الدس موجود، لأن الكتب كانت تكتب باليد.

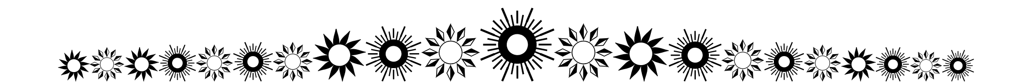
والآن بعض المغرضين الذين يعيدون طباعة الكتب يحذفون ما لا يرغبون فيه، ويطبعوه طباعه راقية لكي يوزعوه يحذفون الجزء الذي ينغصهم ويضايقهم ولا يتقبلونه, لكن كما يقولون: أن الحرامي دائماً يترك بصمة تدل على أنه حرامي.

أنا ذات يوم أتيت بكتب لأولادي تتناسب معهم، كتب علميه ترتبط بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية، كتاب عن السمع في القرآن والسنة والطب، وكتاب عن حاسة الشم، وهكذا، ومن ضمن هذه الكتب كتاب (الكبائر) للشيخ الذهبي لكي يعرفوه، فإحدى بناتي بعدما قرأت الكتاب قالت لي: يوجد بابين موجودين في الفهرس وغير موجودين في نص الكتاب، وهما باب الحب في الله، وباب معاداة أولياء الله، حذفوها من المتن ونسوا أن يحذفوها من الفهرس فأصبحت كاشفة عليهم.

فكتاب الشيخ عبد الوهاب الشعراني (الطبقات الكبرى) قد يكون دُسَّ فيه ما لا يكتبه من أحباب الصالحين، لكي يرفعوا في نظرهم قدر مشايخهم، على سبيل المثال أتباع سيدي أحمد البدي يضيفون له أشياءأو أحباب سيدي إبراهيم الدسوقي كذلك.

قيض الله في عصرنا رجلًا من الصالحين إسمه الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، وهو من رجال الأزهر الشريف المعاصرين، وقد توفي منذ فترة قصيرة، هذا الرجل نقى الكتاب ونقحه وطبعه طبعة ليس بها هذه العثرات التي يشنع بها أعداء الصالحين.

ولذلك الذي يريد أن يشترى كتاب (الطبقات الكبرى) يشتري الطبعة المكتوب عليها تحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود.



٤- كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي

ما رأي فضيلتكم في كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزي؟

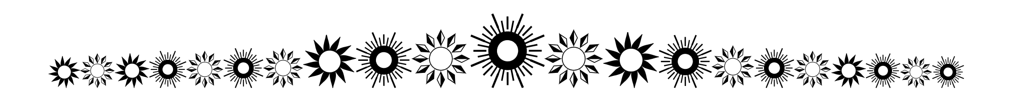
الشيخ ابن الجوزي كان واعظًا له تأثيره العظيم في مجال الوعظ ...

لكنه كان تلميذ الشيخ ابن تيمية، فهو من البداية لا يتقبل الصوفية، ولا أحوال الصوفية، وعندما ألف كتابه (تلبيس إبليس) ركز فيه على قصص وهمية قد يكون سمعها من بعض الأدعياء، ليشنع بها على أحوال الصادقين من الصوفية ...

فهذه الكتابات مغرضة ليست علمية، ولا تتبع المنهج العلمي الذي ينبغي أن يؤسس عليه أي عالم تقي نقي زكي، لأن الإنسان إذا أراد أن يدرس قضية لا بد أن يتبرأ من الهوى، ومن الميل، ويجرد أدوات بحثه، ويبحث القضية على أنه لا سابق علم له بها، ولا يحاول أن يثبت صحة رأي مسبق عنده في دراستها.

فإذا كنت أريد أن أثبت أن رأي هو الصواب فتكون بذلك ليست دراسة علمية، فالدراسة العلمية دراسة للموضوع، ولا يوجد عندي رأي مسبق له، ولا ميل لرأي، ودحض أي رأي آخر,

هذا النهج العلمي لم يطبقه ابن الجوزي، فهو أخذ موقف من الصوفية، فانسحب هذا الموقف على كل ما أخذه في (تلبيس إبليس) لأنه يريد أن ينال منهم، وأن يشنع عليهم، وأن يشوه صورتهم لكل من يقرأ هذا الكتاب، ولذلك نحن دائمًا ننصح الشباب أن لا تقرأ مثل هذه الكتب.



٥- التفاسير الصوفية

يؤخذ على التفاسير الصوفية أنها أحاسيس شخصية، فإنها تختلف حسب المذاقات، ومعطيات الأشخاص، ولا تتفق مع معيار عام شامل؟

كل التفاسير الصوفية وغير الصوفية تعبر عن الرأي الشخصي لهذا الإنسان المفسر في الآيات الربانية، فهل رأيه في الآيات – حاشا لله – هو رأي الله؟! هل تفسيره ما كان يريده أن يقوله رسول الله؟! لا ... فكل فرد يقول رأيه, ولذلك الشيخ الشعراوي عندما قالوا له: تفسيرك، فقال لهم، ليس بتفسير بل هي خواطر تأتيني، وغيري يقول خواطر, فهذه تسمى خواطري نحو القرآن الكريم.

لذلك نجد تفاسير ليس لها عدد، وتغلب عليها ثقافة الإنسان المفسر السابقة، إذا كان مهتماً بالنحو فنجده في تفسيره مهتماً بالنحو، هذه الكلمة مبتدأ، وهذه الكلمة خبر وهكذا، أما إن كان يغلب عليه البلاغة فنجده يركز في تفسيره على البلاغة، هذه صورة تشبيهيه، وهذه كنايه، وهذه استعارة وهكذا، وإن كان يميل للقصص والحكايات فنجد تفسيره كله حكايات.

وهذه الكتب موجودة، فمثلًا كتاب الزمخشري نجده كله بلاغة لأنه كان يحب البلاغة، أو تفسير الخازن نجده كله حكايات وروايات لأنه كان يحب القصص والحكايات والروايات.

إذا كان المفسر له رأي خاص فيما يسمونه علم الكلام أو العقائد فتجد ذلك يسيطر عليه، ولذلك تجد أن الزمخشري يميل إلى المعتزلة، فكل تفسيره يتبنى آراء المعتزلة، وهكذا.

فكل آراء المفسرين عبارة عن خاطرة نفسية أو قلبية أو فكرية, إذا كان دارساً ويسيطر عليه الدراسات التي قرأها فهذه الخواطر أتت نتيجة الفكر، وإذا كان مقتنعًا بفكر ويريد إثباته في تفسيره فهذه تكون خواطر نفسية.

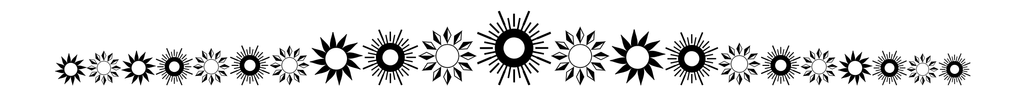
وإذا كان رجلاً تقياً نقساً ولا يطلب إلا تفسير القرآن بما يرضي الله على حسب مستوى الحاضرين بين يديه، فهذه تسمي خواطر قلبية، يتلقاها مباشرة من الذات العلية.

فكل فرد له منهجه ورأيه في التفسير، ولا يوجد أحد يقول رأيي هذا هو الصواب وغيره خطأ، فنقول له: أنت الخطأ، فأنت قل رأيك وكل شخص يقول رأيه, ولو كان الأمر يحتاج إلى تفسير واحد ليجمع عليه المفسرون لكان فسره رسول الله، ولا أحد يفسر بعد ذلك، ولذلك تركه، لأن كل عصر يحتاج لتفسير، وكل فئة يحتاجون لتفسير.

فالعصر الذي نحن فيه الآن عصر علم، فنجد كتب تفسير مصور للأطفال، وهو يأتي بالآيات الكونية، ويعرض فيلمها، ويضع الآية القرآنية والتفسير البسيط لها..

فمثلاً: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ (٣٨يس) فيأتي بفيلم للشمس وهي تجري، يعرضه على الأطفال، ومعه تفسير بسيط, وهذا ما يحتاجه أطفالنا في هذا الزمان، وهل السابقين كان يوجد عندهم هذه الأشياء؟

لا، ولذلك قال الله لحضرة النبي ﷺ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة).كيف ذلك؟ ...... يلهم الله أهل كل عصر، وأهل كل مصر بالتفسير الذي يلائم من يعيشون معهم بما يلائم أحوالهم وعلومهم وأفهامهم...



٦- مشاهد الخاصة

هل هناك صلة بين الحقيقة المحمدية والمشاهد الذاتية؟

هناك مشاهد للحقيقة المحمدية وهي مشاهد خاصة، وهناك مشاهد للأسماء الإلهية وهي مشاهد خاصة، وهناك مشاهد الإسم الذاتي وهي مشاهد خاصة، وهناك مشاهد الهُوية وهي مشاهد خاصة، وهناك مشاهد حضرة كنز العماء وهي مشاهد أخص، وهناك مشاهد حضرة الذات .. مشاهد لا عدَّ لها ولا حدَّ لها يرتقي فيها العارفون، ولكنهم لا يعرفون كيفية التعبير عما شاهدوه للمريدين، فكيف يفسرون ما شاهدوه؟! وكيف يوصلوه لهم حتى برموز وليس بألفاظ للمريدين؟!.

فالعارفون يصلون إلى حال يصف شيئاً يراه، ونحن لم نصل إلى مثل هذا الحال، والناس تقف عند العبارات، فأنا لم أصل إلى هذه المشاهدات فمالي وما لهذه العبارات؟! هذا يحتاج لمن ذاق هذه العبارات بعد أن تمتع بهذه المشاهدات لكي يُفسِّر أحوال هؤلاء الأكابر عندما عبرَّوا عن هذه العبارات.

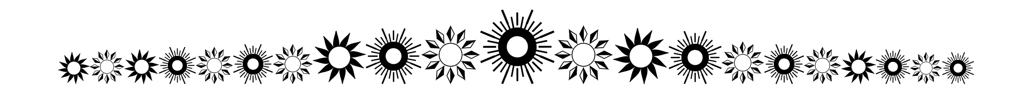
كلٌ يُعبِّر على قدره بما أشهده الله ﷻ من نور جماله وكمال وصله، لكن هذه الأشياء لا يستطيع أحدٌ أن يعُدها ولا يحدها لأنها ليس لها نهاية.

كل المشكلة والمعضلة في هذا الأمر أن كثيراً ممن يدَّعون الصلاح يحاولوا أن يشُدوا الناس ليظنوا أنهم صالحين ويتكلمون في هذه المصطلحات بعبارات، وهم لم يتوصلوا إلى حقيقة هذه المشاهدات، فهذا ما يخلط على الناس.

لكن لو أنه قدَّم نفسه لحضرة الله، وذبح نفسه على مذبح القدرة، ولم يعد له هوى ولا حظ ولا رغبة في مشيخة ولا سُمعة ولا ظهور، فعلى الفور يتولاه مولاه، فلا يخرج من فمه إلا ما يليق بالحاضرين حوله من عباد الله، فهذا الطعام الذي ينزل لهم طازج من حضرة الله جلَّ في عُلاه، وهو ليس له شأنٌ به، فهو مجرد سفرجي يُقدِّم الطعام الذي يُقدمه له المطبخ ... ولستُ أنا صانعه، ولا أنا طاهيه، فأنا مجرد سفرجي، فالمطبخ الإلهي يجهِّز المائدة، وأنا آخذ من هذه المائدة وأقدمه لهؤلاء فقط، ولا أُقدمه لأحدٍ آخر، ولا أستطيع أن آتي بطعامٍ آخر لأقدمه لهؤلاء، فأنا ملتزم.

فهذا هو الفارق بين العارفين والجاهلين الظاهرين على أنهم عارفين، ولذلك يسمونهم قُطَّاع طريق الله على عباد الله أجمعين، فهذه هي الحقيقة أنهم يضللون الناس، والناس يحسنون الظن فيهم وهم مساكين ليس معهم شيء ولا يعرفون شيء.

فلماذا تقطع الطريق على عباد الله؟! إما أن تعرف، أو تتركهم لمن يعرف، وأنت لا تعرف فقل لهم: ابحثوا عن غيري فتكون بذلك رجلاً أميناً، وبسر هذه الأمانة سيكرمك رب العالمين ﷻ.



٧- سماع المدائح النبوية والتغني بها

ما حكم سماع القصائد، والمدائح النبوية، أو التغني بها؟

يكفي أن نساء الأنصار بنات بني النجار استقبلن حضرة النبي وكن ينشدن (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع) فقال لهن حضرة النبي:

{ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكُنَّ } [٤٨]

أثنى على هذا الأمر، وكان ﷺ يأمر بوضع منبر في مسجده لحسان بن ثابت يقف عليه ليقول قصائده، ويقول له:

{ اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ } [٤٩]

والنبي ﷺ كان عندما يعمل مع أصحابه في بناء مسجده، أو في حفر الخندق كان يتغنى ويردد حوله المهاجرون والأنصار، وكان يقول ﷺ:

---

٤٨ دلائل النبوة للبيهقي وابن ماجة عن أنس رضي الله عنه
٤٩ مسند أحمد وابن حبان عن البراء بن عازب رضي الله عنه

{ اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ } [٥٠]

وهم كانوا يردون ويقولون: ((لأن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل))

وكان ﷺ إذا سافر ومعه النساء يركبن الجِمال، والجمال تحب سماع الأناشيد من صوت شجي، فكان من

بين أصحاب رسول الله ﷺ أنجشة، وكان ذا صوت عذب، عندما يتغنى تسرع الجمال، حتى كان رسول الله ﷺ يخاف على النساء أن يقعن، وكانت النساء لكل واحدة هودج فيقول له:

{ وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ ارْفُقْ بِالْقَوَارِيرِ } [٥١]

فكانت الجمال تجري عند سماع صوته، وهو ما يسمى الحداء، وكان ﷺ في معاركه الحربية يذهبون ومعهم طبول الحرب ويتغنون بالأناشيد الحماسية، فكل هذه أدلة ثابتة و معتمدة قديمًا وحديثًا، وكل من نهى عن ذلك فإنه لا يعلم حقيقة ذلك.

المنهي عنه في الغناء إذا كان بألفاظ فاحشة، أو بألفاظ ماجنة،أو بألفاظ تجعل الإنسان عندما يسمعها يصاب باشمئزاز أو بحياء شديد، أو كان الغناء في وقت فريضة من فرائض الله،

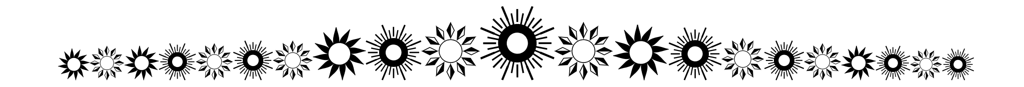
---

٥٠ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه
٥١ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

ويمنع المغني والمستمعين من أداء الصلاة في وقتها، أو يصحب الغناء أمور لا يرضاها الدين كرقص نساءٍ مع رجال، أو نساء بين رجال .. هذه هي الأمور المحرمة.

لكن الغناء الديني الذي فيه تأسي بسيد الأولين والآخرين ﷺ فإن الدين يحبذه، لأن القلوب تتحرك إذا سمعت هذه الكلمات من رجل موهوب بالصوت الحسن.

سيدنا داود عندما كان يترنم بمناجاته لله ﷻ وهي ما تسمي المزامير، فمن شدة تواجده كانت الجبال والطيور والحيوانات كلها تلتف حوله ويعملون حلقة ذكر معه ويرددوا معه: ﴿ **يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ** ﴾ (١٠ سبأ).



٨- الذكر بالعدد

ما فائدة الذكر بأسماء الله ألف مرة أو مائة ألف مرة أو أكثر؟

الذكر بالعدد لا يستوجب المدد، وإنما يستوجب حسنات تُكتب للإنسان، ويرى أثرها في الجنات، لكن ذكر الله الذي يصل به العبد إلى القرب من مولاه الذي يستغرق فيه في حضرة الله، حتى أنه ربما لا يدري بنفسه، فكيف يعد؟! الذي لا يدري بنفسه ولا يرى نفسه هل يعد؟!!.ويري الصديقون وكُمَّل المقربين أن الله ﷻ يحيطنا بنعمه، ولا يعدها علينا، أفينبغي أن نعد ذكره الذي أعاننا عليه على حضرته؟! ونطلب الأجر في مقام عظمته؟! هل هو عدَّ علينا النعم لكي نعد عليه الذكر؟!!

والذكر الذي ينال القبول، ويحوز الرضا من الله، هل علمناه حتى نعده؟!! فالذي يذكر يذكر الله، والذي يذكر الله يقول فيه حبيب الله ومصطفاه ﷺ: { **واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ** } [٥٢]

فإذا كان القلب منغمس في الدنيا،أو في الشهوات، أو في الحظوظ، ومشغول، فلا يقبل الله منه هذا الذكر!

لأن الله يريد الذكر في حال الحضور مع من يقول للشيء كن فيكون:

اذكر الله إن نسيت سواه	قل بقلب في الذكر يا الله

٥٢ جامع الترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه

إذا نسيت كل شيء وذكرت، فهذا هو الذكر: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (٢٤الكهف).

قبل عصر الإمام أبي العزائم ﷺ كان هناك من الصالحين المجدين في العبادات، هؤلاء المجدين كانوا يجعلون لهم أوراداً من الأسماء والصفات، فيوجد منهم من يذكر الله بسبعة أسماء، فينتقل من إسم إلى إسم وهم السادة الخلوتية، وهناك الذين يذكرون بثلاثة عشرة إسم، فينتقل من إسم إلى إسم بإذن شيخه، وهم السادة البيومية والخليلية، فأتي الإمام أبو العزائم ﷺ أرضاه وقال كل الأسماء الحسنى للتخلق, وذكره أن يتخلق بهذا الاسم، فلو ذكر إسم (الكريم) مائة ألف مرة، وهو رجل بخيل، أيكون بذلك ذكر هذا الاسم؟! لا، فما ذكر إسم (الكريم)؟ أن ينفق ما يملك لله ﷻ.

إذا كان هو غليظ في المعاملات، إن كان مع زوجته، أو مع أبنائه، أو مع جيرانه، أو غيرهم، وهو يذكر إسم (الرحيم) ملايين المرات، فماذا أخذ من إسم (الرحيم)؟ لم يأخذ شيء، فذكر إسم (الرحيم) فعل، أرحم إبني، وأرحم بنتي، وأرحم زوجتي، وأرحم الذين حولي، وأرحم نفسي، فالذكر هو التخلق بهذا الاسم.

رجل شديد في الخصومة، ويحاولون أن يصلحوه على شخص فلا يوافق ويرفض، فما ذكرك في هذا الموقف؟ إسم الله (العفو)، فهل ذكر اسم (العفو)؟ لا، فالذكر ليس بالقول، بل الذكر بالحال، فأنت عفو تعفو عن من ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك.

الله ﷻ إسمه (اللطيف) فإذا أردت أن تذكر إسم (اللطيف) فلا بد أنت تكون أنت لطيف في كل أحوالك، حتى مع الجمادات تكون لطيف، حتى مع فتح وغلق الباب تكون لطيف ... في كل أمر من الأمور لطيف وهذا هو ذكر إسم الله اللطيف.

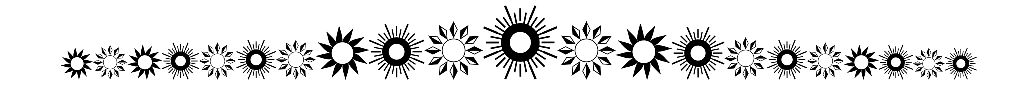
فما الإسم الذي نتعلق به لكي نصل به إلى القرب من الله؟ هو إسم (الله) فهو الإسم الوحيد للتعلق، وهذا الذي قال فيه الله لحبيبه ومصطفاه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ (٩١الأنعام).

وإذا أردنا أن ندعوا، فندعوا بأي إسم من أسماء الله الحسنى:

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ (١١٠الإسراء) فعندما أدعو أقول: يا رزاق ارزقني، يا شافي اشفني، يا معافي عافني .. فأذهب للأسماء الحسنى الموافقة للدعاء, لكن الذي يريد الله فقط، ولا يريد مصالح دنيوية ولا أخروية ولا كونية، فعليه بما قال الله لرسول الله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ (٩١الأنعام).

وقال لنا في أكثر من آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (٤١الأحزاب) فهو الإسم الخاص بالذكر، وهذا هو الإسم الوحيد الذي لو حذفت أي حرف من حروفه لا ينتقص من هذا الإسم شيء، فلو حذفت الألف أصبح (لله): ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (٢٨٤البقرة) ولو حذفت اللام الأولى أصبح (له): ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (١٣الأنعام) ولو حذفت اللام الثانية أصبح (هُ): ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣الحديد) لو حذفت أي حرف فيكون الباقي تام، ولا يوجد أحد من الأولين ولا الآخرين سمي بهذا الاسم، حتى فرعون قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ (٢٤النازعات) ولم يقل (الله) لأن هذا الإسم خاص بحضرة الإلوهية.

وهذا هو الإسم الذي نذكره، كيف نذكره؟ نذكره في حالة استغراق، إلى أن تنكشف الحجب، ويتحقق القرب من حضرة الكريم الخلاق ﷻ، لا يوجد مائة ألف، أو سبعين ألف، أو مليون، ولا شيء من هذا القبيل الذي كان في الأيام السوالف، لكن لكل عصر دولة ورجال.



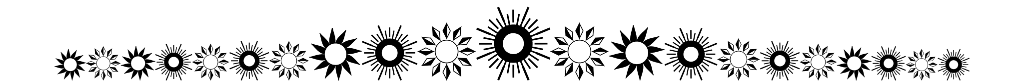
٩- الذكر بـ (هو)

يؤخذ على الصوفية الذكر بأسماء لله غير المفهومة مثل (هو)؟

(هو) إسم مفهوم، وهو ضمير غائب، لكن إذا كان ضمير متعلق بالعلي الكبير فلا يكون غائب.

لكن البعض يذكر ببعض الأسماء غير الحقيقية، كبعض أدعياء التصوف الذين ينتقصون ذكر الأسماء بسبب حركاتهم التي تصاحب ذكرها، نحن نشترط للذكر وحركات الذكر أن يكون القول بلفظ صريح بلسان عربي فصيح (الله).

لكن بعض المنتسبين للصوفية، وخاصة الذين يذكرون على آلات موسيقية، حتى لا توجد حلقات بينهم، فكل فرد يذكر على حده، ومنهم الذي يظن أنه حدث له حال وجد، فبعض هذه الحالات يظن أنه غاب عن الوعي، أو أنه يمثل أنه غاب عن الوعي على حسب حالته،وبعضهم يصنع بفمه مثل فم الجمل ويخرج رغوة ليبين أنه رجل مجذوب، ويخرج الألفاظ بعبارات غير واضحات، مع أنها أسماء الله ﷻ!! وهذه لا ينبغي أن تكون بين الصوفية الصادقين، لأن أحرص ما نحرص عليه أن يكون اللفظ صريح وفصيح، كما ورد في القرآن، وكما ورد عن النبي العدنان ﷺ ولذلك نحن نقول جميعًا (الله، الله)، فمثل هؤلاء أقوالهم هذه تتنافى مع الصوفية الصحيحة، التي هي على المنهج الكريم، منهج الرءوف الرحيم ﷺ.



١٠- ذكر الحضور

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (٢٤الكهف)..

فمتى نسي رسول الله ربه حتى يذكره؟

هذا السؤال أجبناه قبل ذلك، والإمام إبو العزائم ﷺ وأرضاه أجاب عن هذا السؤال في بيتٍ من الحكمة، قال فيه رضي الله عنه:

اذكر الله إن نسيت سواه	قل بقلبٍ في الذكر يا ألله

ما معني هذا الكلام؟ إذا ذكر الإنسان الله والبال مشغولٌ، والقلب سارح، فهذا الذكر غير مقبول، قال فيه ﷺ:

{ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ }[53]

يعني قلب مشغول، ومتى يقبل الله ذكره؟ إذا كان القلب حاضراً، ولا يغيب عن حضرته، ولا ينشغل بالدنيا والأهواء والشهوات أثناء الذكر لله ﷻ.

٥٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

فإذا نسي الإنسان الأكوان، وغاب في محبة الرحمن، وذَكَرَ الله ﷻ وهو حاضرٌ بين يدي حضرته، فلا يتأجج في قلبه إلا عظموت حضرته وقال: (الله) والقلب مشغولٌ بالله، فهذا هو الذكر.

فالذكر الحقيقي الذي فيه القبول، وفيه الرفعة، وفيه المقامات العالية، إذا نسيت كل شيء غير الله عند ذكرك لله ﷻ، هذا الذكر الذي ذكره العارفون، وهذا الذي قال فيه الإمام الجنيد رضي الله عنه:

ذكرتك لا أنِّي نسيتك لحظةً	وأهون الذكر ذكر لساني

فذكر اللسان هو البداية، لكن ذكر القلب هو الذي فيه العناية، وفيه الرعاية، وفيه الولاية، وأما ذكر الروح ففيه التجليات وفيه الفتوح، وذكر السرُّ فيه الإكرام، وفيه البر، وفيه المودة التي لا تنقطع من الله ﷻ لمن يذكر الله على هذه الحالات الطيبة.

فالذكر الأكبر هو أن الإنسان يذكر الله في حضورٍ مع مولاه، فهناك ذكر في حالة الغيبة، يعني أنا أذكر الله ولكن لا أرى شيئاً ولا أشعر بأي بشيء، لكن هناك من لا يذكر الله إلا ويحضر قلبه، ويتمتع بالنظر – على قدره – إلى وجه مولاه، وهذا شيء آخر، فالذكر ذكران ذكر القلب وذكر اللسان:

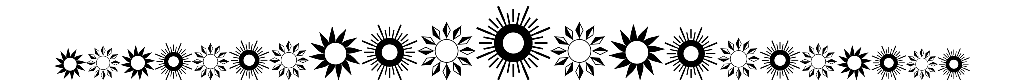
الذكر ذكران، ذكر القلب ولساني	هما مقام شهودي دار رضواني
فذكر فؤادي رؤية الوجه ظاهرا	وباسم الذي أهواه ذكر لساني

اللسان يذكر ويردد اللفظ، ولكن القلب يرى ما لايراه الناظرون من أنوار أو أسرار أو جمال رب العالمين على حسب مقامه وقدره.

فمنهم من يشاهد الأنوار: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٣٥النور) ومنهم من يشاهد نور الأسماء والصفات، ومنهم من يشاهد ملكوت رب العالمين، ومنهم من يشاهد أنوار حضرة العزّة، ومنهم من يشاهد الأنوار الذاتية، وكل واحد على حسب قربه من ربه، وهذا اسمه ذكر الحضور، وهو ذكرٌ مع مشاهدات.

الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول: قَوِي عليَّ الذكر يوماً، فرأيت كل شيء حولي نوراً، قال: فأخذني حصر البول، وكان في صحراء، قال: فوجدتُ ذرات الرمال كلها نوراً تذكر الله، فكيف أتبوَّلُ عليها؟! فدعوت الله ﷻ أن يحجبني عن هذا المشهد، فقيل لي: لو دعوتنا بكل أسمائنا وأنبيائنا ورُسلنا ما حجبناك، ولكن ادعنا أن نقويك، قال: فدعوت الله أن يقويني، فأشهدني المشهدين ونظرتُ بالعينين.

فأصبح هذا المقام الأكمل في هذا المقام، فعين الرأس ترى الرمل، وعين القلب ترى النور الذي في هذا الرمل، وأُذن الرأس لا تسمع شيئاً من الرمل، ولكن أُذن القلب تسمع ذكر الرمل لخالق الرمل عز وجل، وهذا مقام عالٍ نسأل الله ﷻ أن يبلغنا إياه أجمعين.



١١- سلطان الحقيقة

يقول القشيري: (الاستهلاك بالكلية يكون لمن استولي عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً) ...نرجو التوضيح؟

نضرب مثال لتوضيح الحقيقة: قيس ليلى المشهور، عندما اشتغل بحب ليلى وسيطرت عليه، أصبح لا يرى إلا ليلى، ولا يسمع إلا صوت ليلى، حتى عندما ذهب إلى ديارها قال:

أمر على الديار ديار ليلى	أقبّل ذا الجدار وذا الجدار

فهو لا يرى الجدار، ولكن لا يرى إلا ليلى:

وما حب الديار شغفن قلبي	ولكن حب من سكن الديار

ولم تكن ليلى جميلة، فقالوا له أن ليلى التي أنت مشغول بها ليست بجميلة، فقال لهم: أنتم رأيتموها بعينكم أم بعيني أنا؟ قالوا له: بل بعيننا، فقال: لو رأيتموها بعيني لترون ما أنا فيه.

إذًا لو انشغل المحب بالحبيب بالكلية أو كما نقول في العامية: ذاب في الحب، فإذا ذاب في الحب فلن يسمع إلا صوت حبيبه، ولا يتمتع إلا بالنظر إلى حبيبه، وهذا مقام العشق الإلهي.

حتى في الأغاني الشعبية يقربون لنا هذه الحقيقة، فعندما غنَّى المطرب وقال: (كامل الأوصاف فتني) أحد العارفين هاج عندما سمع هذه العبارة لأن كامل الأوصاف في نظره سيدنا رسول الله ﷺ ....

فالصالحون أخذوا هذه الأبيات على أنفسهم، وقال: (بتلوموني ليه، لو شفتم عينيه، حلوين أد إيه، هتقولوا انشغالي، وسهر الليالي، مش كتير عليه) فهو يعبر على قدره، والناس أخذوها معاني حسية، لكن الصالحين

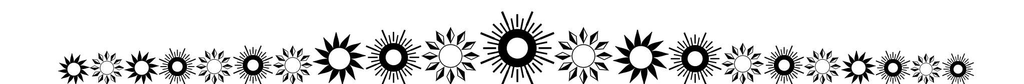
يأخذوها معاني معنوية، عشق في الذات العلية، وفي الحقيقة المحمدية.

فالذي يعشق الحقيقة المحمدية،ويعشق الذات المحمدية عشق كامل، لا يرى إلا جمال حبيبه، ولا يسمع إلا حبيبه، ولا يتملى إلا بحبيبه، وهذا ما يسمى بمقام الإصطلام، اصطلم أي زاد عن الحد في العشق لحبيبه، إن كان سيدنا رسول الله ﷺ، أو حضرة الله تبارك وتعالى، وهذا هو الحال الذي يوصل الصالحين الكمل إلى مقام الوراثة الكلية للحضرة المحمدية.

ما المقصود بوارث له؟ أي هو هو، مات في هواه، ومات في غرامه، ونسى نفسه، وانسلخ من نفسه، وانسلخ من حسه، ولم ير غير حبيبه، وهذه يقول فيها الإمام أبوالعزائم ﷺ:

فتارة أنا عبد ذاته محقت	وتارة أنا مخمور أراك أنا

مخمور بخمر المحبة، أي نسي نفسه تمامًا، فأصبح لا يرى إلا حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه، وهذا مقام عال لا بد منه لمن أراد أن يكون وارثًا كليًا للحضرة المحمدية.



١٢- حسين مني

قال صلى الله عليه وسلم: { حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ }[٥٤]...

فهل كل العارفين من ذرية الحسين؟

سيدنا رسول الله ﷺ من البداية ملتزمٌ بقول الله: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١٣الحجرات) هل قال:

أتقاكم أم قال: ذريتي؟

قال: أتقاكم، ولكننا نكرِّمهم لأن الله كرَّمهم، ونحن نكرِّم من كرَّمه الله.

ليس كل العارفين والصالحين قديماً أو حديثاً ممن ينتسبون إلى آل بيت النبي.

صحيح أن آل بيت النبي منهم العارفون ومنهم الصالحون، ولكن أحياناً يكون منهم من الآخرين، فهل نكرِّمه مع ما هو فيه؟! هذا نُكرمه بأن نهديه ونوصيه ونأخذ بيده إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، فنكون بذلك قد أحسنا إلى حضرة النبي فيه...

٥٤ جامع الترمذي وابن ماجة عن يعلي بن مرة رضي الله عنه

فالإحسان لذرية النبي أن نقربه إلى الاستقامة إذا كان بعيداً عن الاستقامة، لكن لا أُعظمه مع ما هو فيه، لكن على مدى الزمان، مثلاً سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ وكان حسنياً من ذرية الحسن، أعطى الخلافة لتلميذه أبو العباس المرسي، وأبو العباس المرسي كان من الأنصار من قبيلة الخزرج، فليس حسنياً ولا

حُسينياً، وقال: خليفتي عليكم أبو العباس المرسي، وغيره وغيره والتاريخ مليء بهذه النماذج وهذه الأمثلة، لكنها كلها عبارات معنوية، فحديث:

{ حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ } [55]

الناس تقف عند المعاني الحسيّة، فحُسين هنا معناها مقام! فحُسين منه ﷺ لأنه قال: **{ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ }** [56]

ومعنى قوله: (وأنا من حُسين):

لأن سيدنا الحُسين كان أشبه الناس برسول الله ﷺ خِلقةً وخُلقاً وهدياً وكمالاً وسماحةً في كل الأمور، فكان أكمل الناس في هديه برسول الله ﷺ.

٥٥ جامع الترمذي وابن ماجة عن يعلي بن مرة رضي الله عنه
٥٦ معجم الطبراني عن جابر رضي الله عنه

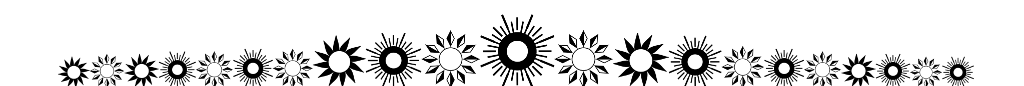
فسيدنا رسول الله هو الميزان:

فكل من على هذه الأخلاق الكريمة وهذه الأوصاف العظيمة، نذهب عنده لنتعلم منه أخلاق رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، لأن الحسين انتهى، وكل من يأتي بعده وفيه هذه الأخلاق الكريمة وهذه الأوصاف العظيمة وهذه الهمة العالية فنذهب له ونتعلم منه.

(أنا من حُسين): ... يعني نتعلم ممن يتشبَّه بالحُسين، والحُسين خير من تشبه بالنبي ﷺ، طبعاً الخِلْقة لا يستطيع أحدٌ أن يتشبَّه بها، فأصبح ما بقيَ لنا هو المعني كالخُلق الكريم، والوصف الطيب، والأعمال الصالحة، والهمة العظيمة في طاعة الله ﷻ وعبادته، والمنافحة الشديدة في إظهار ما يُحبه الله، وفي التمسك بالمبادئ والقيم التي جاء بها رسول الله، لأنه مات في سبيل مبدأ من مباديء الإسلام.

فمن وجدنا فيه هذه المعاني نذهب إليه ونتعلم عنده، لأنه سيُظهر لنا علوم النبي، وأخلاق النبي، وأنوار النبي، وأحوال حضرة النبي، لأنه تشبَّه التشبُّه الذي أمرنا أن نتشبَّه به حضرة النبي ﷺ.

فأصبح الحُسين هنا ميزان للرجال الذين نذهب إليهم لنستشِّف منهم ونستمِّد منهم أحوال حضرة النبي ﷺ في كل زمانٍ ومكان.



١٣- أهل السُنَّة والجماعة

هناك صراع بين الناس في معرفة أهل السُنَّة والجماعة، كيف نوثِّق صحة المفاهيم عند للناس؟

نحن علينا بما عليه أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً.

الذي حمل لواء الإسلام والفقه في الدين في الفترة القديمة كلها المذاهب الأربعة، المذهب المالكي والمذهب الحنفي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي، وهؤلاء الذين احتفظ بالتدريس فيهم الأزهر الشريف، وهم أصبحوا مرجع الفتوى لأهل الوسطية وأهل السنة والجماعة.

جدَّ في هذا العصر وقبله بقليل فكرٌ آخر مناوئ لهؤلاء الأربعة، فهذا لا يُعتدُّ به وليس لنا دخلٌ به لقوله ﷺ:

{ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ } [٥٧]، وروى: **{ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ }** [٥٨]

---

٥٧ جامع الترمذي وابن ماجة عن عمربن الخطاب رضي الله عنه

٥٨ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

من يشذ عن هذه الجماعة يكون في النار، فمثلاً: الأئمة الأربعة كلهم يُقِرّون بالصلاة في المساجد التي فيها أضرحة، ودليلهم على ذلك أن مسجد رسول الله ﷺ فيه غيره أبو بكر وعمر، ولم يُنه عن الصلاة فيه، وأن الكعبة المشرفة فيها في الحجر قبر سيدنا إسماعيل وقبر السيدة هاجر، وفيها كما ورد ما بين الحجر وزمزم والمقام قبر أكثر من سبعين نبياً، ولم يمنعنا الله عن الطواف أو الصلاة في هذه الأماكن المباركة، بالإضافة إلى أن الله ﷻ هو الذي شرَّع فعل ذلك، والنبي ﷺ أقرَّ ذلك.

فأهل الكهف عندما خرجوا من مدينتهم وذهبوا إلى كهفهم، وعاشوا فيه ثلاثة مائة سنة شمسية، وثلاثة مائة وتسعة سنة قمرية، وهذا إعجاز الله بحسبة ربانية قرآنية، وأهل الكهف اكتُشفوا حالياً في بلد إسمها الرقيم، وبينها وبين عمان عاصمة الأردن حوالي سبعة كيلومترات.

وكان الله ﷻ يُقلِّبهم يميناً وشمالاً، وهذه آية ربانية حتى لا تُصيبهم قرحة الفراش: ﴿ **وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ** ﴾ (١٨الكهف) وهذا يعني أنهم كانوا أحياءً، فلو كانوا أمواتاً لما احتاجوا إلى تقليب، ولكن يقلبهم ليتعرضوا للشمس، وقد اكتشفوا أن الشمس تدخل على هذا الكهف

ومشى وراءهم كلبهم، فوقف على باب الكهف وهم دخلوا: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ (١٨الكهف) سبحان الله، ولأنه مشى وراءهم أخذ حُكمهم، ناموا فنام مثلهم، قاموا فقام مثلهم، وسيدخلون الجنة وسيدخل معهم، ولذلك قال الرجل الصالح:

لقد فاز كلبٌ بحب آل كهفٍ	فكيف لا أفوز بحب آل النبي؟

بعد هذه السنوات أحياهم الله، وكان معهم دنانير، فقالوا لأحدهم: انزل إلى السوق لتشتري لنا طعاماً نأكله، فذهب إلى السوق وأعطى البائع هذه الدنانير، فنظر البائع لها وقال: ما هذه الدنانير، إن صورة الملك التي عليها مرَّ عليه ثلاث مائة سنة، ونحن في عصر ملك آخر، والملك الذي كان في عصرهم كان ملكاً ظالماً، والملك الموجود الآن ملكٌ عادل.

فعرَّف الناس وأهل السوق فوصل الخبر للملك، وهم كانوا يبحثون عنهم ولم يجدوهم مع أنهم كانوا بجوارهم في هذا الكهف، وانظر إلى عناية الله حيث كان الملك الظالم يبحث عنهم في كل مكان بجنوده ولم يجدهم، وكانوا في مملكته ولم يذهبوا بعيداً لمكان آخر!!.

راحوا واطلعوا عليهم ورآهم الملك، فقبض الله أرواحهم إليه وماتوا، لأن ملكهم الظالم الذي كان في عصرهم كان يُنكر البعث بعد الموت، فكانت إماتتهم وإحياؤهم ليعرف الناس بكيفية البعث: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩الأعراف).

قالوا لأنفسهم: ماذا نفعل بهؤلاء الذين ماتوا؟ ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ (٢١الكهف) ولم يعترض عليهم الله على ذلك.

وسيدنا رسول الله ﷺ لما وقَّع صُلح الحديبية اتفق مع أهل مكة أن من يأتيه من مكة مسلم يعيده لهم، ومن يأتي الكفار من المدينة وقد ترك الإسلام فلا يعيدوه، وهذه الإتفاقية أغضبت سيدنا عمر، ولكن سيدنا رسول الله كان نظره راقي، فمن يترك الإسلام ماذا نفعل به؟! ومن يأتي للإسلام لا بد أن يجعل الله له مخرجاً: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ (٢الطلاق).

ولذلك وهم لا يزالون في الحديبية، وكان من يوقِّع من قريش على المعاهدة سُهيل بن عمرو، وله إبنٌ إسمه أبو جُندل فجاء فأسلم، وكان لا يزال مقيداً بالقيود، فقال سهيل: هذا أول رجل تعيده لنا، فقال النبي: لم نكتب العقد بعد!، قال: لا، أعده لي، فاستعطفه النبي فرفض، لأنه كان كافراً، فقال النبي لأبي جندل:

{ يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا }[59]

بعد فترة أسلم رجل إسمه أبو بصير، وذهب إلى المدينة، فأرسلوا خلفه من يُعيده من المدينة، وكانا رجلين، فسلَّمه لهما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحملا الرجل على جمل، ونزلوا يستريحون في الطريق، وكان مع أحدهم سيف، فقال له أبو بصير: أنا أرى سيفك هذا سيف جيد فأريد أن أراه، فناوله الرجل السيف فضربه به وقتله، وهرب الآخر، وذهب أبو بصير إلى مكان على ساحل البحر الأحمر وبنى لنفسه سكناً هناك، ولحق به أبو جندل، وكان كل من يأتي من المدينة يذهب إليه ويعيش معه حتى صاروا ثلاثمائة رجل.

فكانت كل تجارة قادمة من مكة للشام يأخذوها، والتجارة الواردة من الشام إلى مكة يأخذوها، إلى أن أرسل أهل مكة إلى رسول الله وقالوا له: يا محمد تنازلنا عن هذا الشرط وخذ هؤلاء القوم يعيشوا معك في المدينة!!.

---

٥٩ مسند احمد عن المسور بن مخرمة ﷺ

فلما أرسلت قريش إلى النَّبِيِّ ﷺ فِي أمرهم كتب إلى أبي بصير وأبي جندل ليقدما عَلَيْهِ فيمن معهما فقرأ أبو جندل كتاب رسول الله ﷺ وَأَبُو بصير مريض، فمات، فدفنه أَبُو جندل وصلى عَلَيْهِ، وبنى عَلَي قبره مسجداً[٦٠].

ووصل الخبر إلى رسول الله ولم يعترض على ذلك، فلم يأمرهم بإخراجه من المسجد، ولم يأمرهم بعدم الصلاة في المسجد، فكان ذلك إقراراً من حضرته ﷺ بإجازة ذلك، أما حديث شد الرحال الذي يتمسك به البعض، فهم يتمسكون بجزئية معينة، فالحديث يقول: { **لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ، مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الأقصَى** }[٦١]

يعني لا تشد الرحال للمساجد إلا لثلاثة، وهناك رواية أخرى: { **لا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يَنْبَغِي فِيهِ الصَّلاةُ، غَيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَمَسْجِدِي هَذَا** }[٦٢]

---

٦٠ أسد الغابة عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه
٦١ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٦٢ طرح التثريب للعراقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

لكن شدُّ الرحال غير ممنوع أبداً، فلا مانع أن أشد الرحال لطلب العلم في أي بلد، ولا مانع أن أشد الرحال لزيارة أهلي وأقاربي، أو أشد الرحال لزيارة مريض، أو أشد الرحال لعمل خير في أي زمان أو مكان، ولا مانع أن أشد الرحال لزيارة الإمام الحُسين، لأني لم أذهب للمسجد للصلاة فيه، فأنا أعرف أن هذا المسجد مثل غيره، فهم لم يفهموا القضية ولن يفهموها بهذه الكيفية، وبعضهم يتمسك بحديث:

{ لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا }[٦٣]

هؤلاء كانوا يعبدونها ويسجدون لها، فهل منا أحدٌ يسجد لقبر؟ لا، الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه كان هو والشيخ عبد العزيز البشري شيخ الأزهر في زيارة لمقام السيد البدوي، وكان الشيخ محمد عبده أيامها يلبس جبَّة سمراء، وعمامة سمراء، وأثناء جلوسهم في الضريح جاءت امرأة توزّع طعام، فأعطتهم من ضمن من أخذوا، فالشيخ محمد عبده قال لها وأشار لضريح السيد البدوي: أهذا إلهك؟ فصرخت وقالت له: إلهي وإلهك وإله السيد البدوي الله ﷻ، وإذا كنت قسيس ما الذي جاء بك إلى هنا؟! والشيخ عبد العزيز البشري كان يحب المداعبة، فقال له: كفَّرْتها فكفَّرَتك.

فهل يوجد أحدٌ من العوام في الأمة الإسلامية كلها يقول: نويتُ أُصلي ركعتين للإمام الحُسين؟! لا، هل يتجه للقبلة أم للضريح؟ للقبلة:

□

٦٣ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

{ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا } [٦٤]

ما دُمتُ أُصلي لله فهل يوجد موضعٌ منهيٌ فيه عن الصلاة؟ لا، إلا المواضع التي فيها نجاسة، أو التي نهى عنها رسول الله ﷺ.

لكن إذا صليت لله، وتوجهتُ للقبلة والنية لله، فهل هناك شيء؟! لا، فهذه أمور وضعها المتشددون لعدم فقههم في الدين، وهذه قضية أصلها سياسي، قاتل الله السياسة إذا دخلت في الدين، ولكنهم يعرفون ونحن نعرف والعالم الإسلامي كله يعرف أن الدين نأخذه من المنهج الوسطي الذي يُدَّرِسه الأزهر الذي أُخذ عن الأئمة الأربعة الفقهاء في الدين.

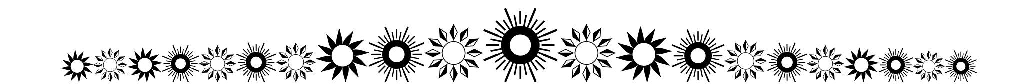
هل كان محمد بن عبد الوهاب معهم؟ لا، فلماذا نأخذ عنه؟! وهل نترك الأئمة الأربعة ونأخذ من محمد بن عبد الوهاب؟!

البعض يقول إن سيدنا عمر قطع الشجرة التي كانت عليها البيعة حتى لا يعبدها الناس، وما المانع، لأن الناس كانوا حديثي عهدٍ بالجاهلية، وكانوا لا يزالون قريبين من عبادة الأصنام، وإن كانت رواية قطع الشجرة مشكوك فيها، فالرواية الصحيحة لها أن عاصفة شديدة أقلعتها، لكن أمور الدين الآن استقرّت، فأين المسلم الذي يعبد قبراً الآن؟! حتى أجهل الجُهَّال لا يوجد منهم أحد، فالكل والحمد لله عندهم علم يقين وخاصة في توحيد رب العالمين ﷻ.

٦٤ البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

ويقول البعض: وإذا دعا وطلب من الولي أليس هذا شرك؟ هذا ليس شرك، ولكن هذا خطأ في اللفظ، فالشرك لا يدخل الإنسان فيه إلا إذا خرج من الذي دخل فيه بالإيمان وهو: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله).

لكن لو أخطأ الإنسان في كلمة أو في عبارة فلا يكون مشركاً، لأن الله أعلم بالنوايا، وأقول له من الأفضل أن تطلب من الله، الأفضل أن تسأل الله وإذا أحببت أن تتوسل بالإمام الحُسين في طلبك من الله فلا مانع، وإذا أحببت أن تتوسل بحضرة النبي فلا مانع، أو تتوسل بكتاب الله فلا مانع، لكن تسأل الله ﷻ، ولكن لا أكفِّره، فالعوام الذين ينطقون بهذا الكلام ينطقونه عفوياً لأن إيمانهم نراه في الصلاة، لأنه يصلي لله، فلا أقول له: أنت مشرك، فهذه مصيبة، فلا يصِّح ذلك شرعاً ولا عقلاً ولا عُرفاً.



١٤- الأقطاب الأربعة

ما حقيقة قول بعض الصوفية أن الكون يدَّاركه الأقطاب الأربعة؟

هذا الكلام أجبناه من قبل، وقلنا أنه كلام ظاهر البطلان، لأن كلامنا كله نحتاج للبرهنة على صدقه أن يسبقه قال الله، أو قال رسول الله، فهل هناك في كتاب الله ما يدل على ذلك؟! أو هل هناك في سنة رسول الله ما يشير على ذلك؟! لا.

في عصور الدولة العثمانية، والدولة العثمانية احتلت العالم العربي حوالي خمسمائة سنة تقريباً، وانتشر فيها الجهل في كل ربوع الأمة الإسلامية، وكان الذي يُعلِّم الناس قليلاً هم السادة الصوفية، ولكن الجهل كان منتشراً، وفي هذه الأيام الصوفية كان لهم شأنٌ، فاتفق بعضهم وقالوا: إن ما يمسك الكون المدَّارَك بالكون الأربعة الأقطاب سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدي أحمد الرفاعي، وكل واحد منهم يمسك الكون مائة سنة، ويتبادلون مع بعضهم!!.

من أين أتوا بذلك؟!! ليست موجودة في التاريخ، وليست موجودة في القرآن، ولا في السُنَّة، ولا يهضمها العقل، وأهم شيء في ديننا أن يوافق العقل.

وهؤلاء نسألهم: قبل أن يظهر هؤلاء الأقطاب، من الذي كان مدارك بالكون قبلهم؟! وهل الله سبحانه وتعالى ليس عنده أحدٌ غير هؤلاء الأربعة حتى يجعله مدرك بالكون بعدهم؟!! فكل زمان فيه أولياء، وفيه أتقياء، وفيه أنقياء.

وماذا يعني المدرَّك بالكون؟ يعني هم بالنيابة عن إسرافيل وميكائيل وجبرائيل وعزرائيل والملائكة، حاشا لله ﷻ.

فهذا كلام بسطوه للجُهَّال ليزيد اعتقاد الناس في هؤلاء، وينضموا لهذه الطُرق الصوفية، لكن هذا لا يجوز بهذه الجهالة العمياء التي تنافي شريعة السماء، وتنافي السنة السمحاء التي أتى بها سيد الأنبياء، وتنافي طريق الصالحين الصادقين الذين ينشرون الهُدى والنور عن رب العالين ﷻ.

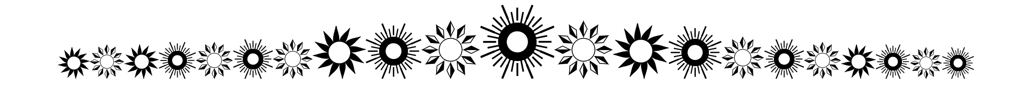
وأذكر في هذا المجال: أن الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان يُفسِّر القرآن في المسجد الكبير في الخرطوم، وذات مرة وهو يُفسِّر آية من كتاب الله، قال له أحد الحاضرين: هذا الكلام كلامُ من يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي عبد القادر الجيلاني؟ فقال له الإمام: انتظر يا بني، ثم أكمل وجاء ببيانٍ أعلى وعلومٍ أرقى، فقال له: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي محي الدين بن عربي؟ قال له: انتظر يابني، ثم جاء ببيان آخر للآية أيضاً أرقى وأعلى من ذي قبل،

فقال له: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي أبو الحسن الشاذلي؟ فقال له الإمام: يا بنيَّ من الذي أعطى الجيلاني؟ قال: الله، قال: ومن الذي أعطى ابن عربي؟ قال: الله، قال: ومن الذي أعطى الشاذلي؟ قال: الله، قال الإمام: إن الذي أعطى الجيلاني والذي أعطى ابن عربي والذي أعطى الشاذلي هو الذي أعطاني.

وهل عطاء الله حكر أو حِجر على أحد؟ لا، لكن: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد) فكما أعطى الأولين أعطى الآخرين، وهو الذي قال هذا: ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ (الواقعة) صحيح أنهم قليل، ولكن لماذا قليل؟ للنسبة، لأن الأولين مع حضرة النبي كان عددهم مائة ألف فكانت نسبتهم كبيرة في وسطهم، لكن الموجودون حالياً عددهم حوال اثنين مليار، فنسبتهم قليلة في وسطهم، لكنهم موجودون.

إذاً فتح الله وعطاء الله وإكرام الله لأهل كل زمان وأهل كل مكان فضلاً من حضرة الرحمن عز وجل، فلا يوجد زمان إلا ويُوجد فيه عطاء وأتقياء، ولا توجد دولة مسلمة إن كانت ناطقة بالعربية أو غير العربية إلا وفيها صدِّيقين وأولياء، وهذه سُنَّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ (٤إبراهيم) لا بد أن يكون في كل بلد أُناس صدِّيقين وأولياء بألسنة أهل البلد، وعندهم الكشف وعندهم الولاية وعندهم العناية، وذلك فضل الله، والفضل مستمر إلى أن يرث الله ﷻ الأرض وما عليها، إذاً هذه المقولة لا دليل عليها من القرآن ولا من السُنة، بل هو كلامٌ لا يمُّت حتى للصالحين ولا للصوفية الصادقين بصلة، وكلامٌ عفا عليه الزمن وينبغي أن نُلقي به في سلَّة المهملات، أو نجعله مع الأموات ولا نحييه بالنطق به على ألستنا أبداً.



١٥- تأثير النجوم والكواكب على النباتات

هل للنجوم والكواكب تأثير على اللون والطعم بالنسبة للنباتات؟

هذا الأمر يحتاج إلى دراسة واسعة في علم النبات لم يصل إليها المختصون في كل الجامعات العالمية إلى الآن إلى خبر يقين، لكن الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه له كتاب اسمه (النور المبين في علوم اليقين ونيل السعادتين) كان يتكلم فيه عن سياحة المريد، فالمريد لا بد أن يكون له سياحة في نفسه، وسياحة في الآفاق، وسياحة في مخلوقات حضرة الخلاق ﷻ.

سياحة بروحه إذا صفت ووفت، وبقلبه إذا أنار واستنار، إن كان في عالم النبات، أو في عالم الحيوان، أو في عالم الأفلاك، أو في عالم الإنسان ظاهره وخافيه.

فالإمام أبو العزائم عندما تحدث عن سياحته في عالم النبات أباح شذرة من علوم المكاشفة التي كاشفه الله بها، وهذا الكلام يقال لأهل اليقين، لكن أهل الدنيا يريدون البراهين والأدلة الحسية التي تثبتها الأجهزة الموجودة عندهم.

النبات يتغذى من الأرض، وعناصر الغذاء واحدة، ويتنسم الهواء، والهواء واحد، ويشرب الماء، والماء له طبيعة واحدة، والهواء والماء ليس لهما طعم ولا لون ولا رائحة، والأرض كذلك، لكن مثلاً: أين عرق السكر في الأرض الذي يُغذي القصب بالسكر؟! وهل يوجد في مكان ولا يوجد في آخر؟! ما الذي يُعطي المانجو طعمها؟! وما الذي يعطي التفاح طعمه؟! وما الذي يعطي التين حلاوته؟! وما الذي يعطي البلح حلاوته؟! ....الأرض واحدة لكن لماذا يكون هذا له طعم، وهذا له شكل، وهذا له لون، وهذا له رائحة، وهذا له

غلاف يحميه؟! أين مصنع الأغلفة الذي يغلف هذه الأشياء، هل يوجد مصنع أغلفة في الوجود يستطيع أن يصنع للمانجو مثلاً أغلفة كالأغلفة الربانية الموجودة فيها؟! لا يوجد، لا في اليابان ولا في أمريكا ولا غيرها، لا يوجد إلا مصانع حضرة الرحمن ﷻ.

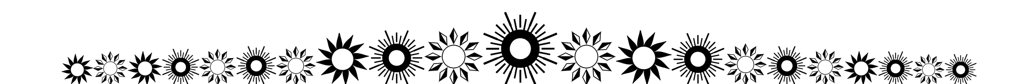
فكما أخبر الله في القرآن، فالنبات هو النبات، وأحياناً يكون صنفاً واحداً، فهذه نخلة وبجوارها نخلة أخرى، ولكن هذه لها طعم وهذه لها طعم آخر، فالطعم لو كان من الأرض لكان الطعم واحداً، ولو كان من الهواء لكان الطعم واحد، ولو كان من الماء لكان الطعم واحد، لكن هذا شيء وهذا شيء: ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ (٤الرعد).

شجرة العنب شجرة واحدة، ولكن القطف قد يكون غير القطف الآخر، فتجد هذا له طعمه ولونه وهذا غير هذا، كيف ذلك؟!!.

فقال الإمام أبو العزائم رضي الله وأرضاه: إن النجوم لها علاقة بتغذية النباتات والفواكه والخضروات والمزروعات بطعومها وألوانها ورائحتها ولكن هذا أمر حتى نكتشفه علمياً نحتاج إلى أجهزة استكشاف عن بعد، ونظريات علمية، ولكنه أخبر عن ذلك عن طريق علم المكاشفة، وهذا أمر لا يروى إلا لأهل اليقين، أما المتشككين فلا نحكي لهم ذلك، لأنهم يحتاجون إلى أدلة عقلية، وبراهين حسية.

وطبعا نحن ننبه إلى أن ما قلناه لا ينفى مطلقاُ ما وضعه الله من الصفات الوراثية وعلم الجينات فى البذرة والنبات مما يؤثر جذرياً فى الصفات والخصائص ولكن تأثير النجوم والأفلاك كان من وراء الإدراك وإن كانت أحدث النظريات العلمية فى السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة بدأت تظهر أن كم الآشعة التى اكتشفت أخيرا بأجهزة القياس الحديثة جدا جدا والتى تؤثر على الأرض بكل ما فيها قادمة من الفضاء

السحيق والنجوم والكواكب لهى فوق كل ما كان يتخيله العلماء منذ سنوات قليلة، بل وكل يوم تتطور النظريات العلمية مع ما يصل تباعا من قياسات السفن الفضائية التى بلغت اعماقا سحيقة على أطراف المجموعة الشمسية ومازات تنطلق...



١٦- التوبة ومراتب الولاية

ما من أحدٍ إلا وتتداخل فيه مداخل النفس البشرية التي تأمره بالمعصية، أو حبائل الشيطان وكيده له، هل اقتراف الذنب والمعصية يحول بين العاصي وبين بلوغ مراتب الولاية؟ أو أن يكون مراداً، أو مطلوباً؟

الله ﷻ يعلم بعلمه الرباني أننا بشرٌ، وأننا رُكِّب فينا أصلاً النفس، والنفس داعيةٌ للمعاصي: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (٥٣يوسف) لم يقل آمرة، ولكن (أمَّارة) يعني بالمضارع المستمر، وبصيغة المبالغة، فلا تترك الإنسان، وتُلح في سبيل المعاصي، لأنها أمارة بالسوء، ولذلك فتح الله باب التوبة للتائبين، وكل ما يرجوه الله ﷻ من العبد أنه عند ارتكابه للذنب يسارع فوراً للتوبة.

وبداية المؤمن لا يخطط للذنب، فكونه يجلس مع نفسه، ويُخطط لفعل ذنب، ويدبره، ويستمر في تدبير هذا الأمر شهراً أو شهوراً أو أكثر أو أقل، فهذا يتنافى مع صريح الإيمان، قال ﷺ:

{ لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِن } [٦٥]

٦٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وأين الإيمان هنا؟ أخذ أجازة في هذه الفترة، لأن الإيمان لو كان موجوداً سيمنعه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾ ما الذي يذكّرهم؟ الإيمان: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف).

كونه سيخطط فترة طويلة، وضميره لا يؤنبه، ونفسه لا توبخّه، ولا نفسه المطمئنة ستمنعه، فيكون الإيمان في هذه الفترة قد أخذ أجازة طويلة.

إذاً المؤمن لا يُخطط تخطيطاً طويلاً للوقوع في الذنب، وإنما يقع في الذنب فجأة، يعني فجاة يجد نفسه مع فتاة في موقعٍ ما، وهُيئت الأسباب، فتتحوَّل النفس وتُسوِّل له الوقوع في المعصية، لكنه لم يُهيئ لنفسه، ولم يُخطط لنفسه كيفية جلب هذه الفتاة، أو الإتفاق على الإلتقاء معها في موضع كذا ومكان كذا، إنما المؤمن عنده من الإيمان ما يمنعه عن ذلك.

وقد يكون في موضع وفجأة يجد نفسه في مكان فيه مالٌ، ولا رقيب ولا حارس، فتُسوّل له نفسه الأخذ من هذا المال، فيقع في هذا الذنب فجأة.

وأثناء الذنب يشعر بالندم، وبالأسف، وبالخجل ممن يطلع عليه ويراه .... لأنه يعلم علم اليقين أن الله ﷻ يطلع عليه ويراه في كل الأحوال، فلا يغيب عنه طرفة عينٍ ولا أُقل.

فيسارع فوراً عند ارتكاب الذنب إلى المتاب، فيقول: تبتُ إلى الله ورجعتُ إلى الله، ويرجع إلى الله ويعزم على الإقلاع عن هذا الذنب، ويعاهد الله على أن لا يرجع إلى هذا الذنب مرةً أُخرى، وهذا حال المؤمن مع الذنب.

فإذا كان المؤمن على هذه الحالة فيكون ممن قال فيه ابن عطاء الله السكندري ﷺ: (رُبَّ معصيةٍ أورثت ذُلاً وانكساراً، خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزّاً واستكبارا).

هذه المعصية ...:

جعلته يحس بالذل، ويحس بالتطامن، ويحس بالغُبن، ويحس بعدم رضاء الله عنه، وانكسرت نفسه، وانكسار النفس هو المطلوب، لقول الله ﷻ لموسى عندما قال: يا رب أين أجدك؟ قال:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي } [66]

فهذا هو الذي يجبره الله ﷻ بإنكساره، ويقول الإمام أبو العزائم ﷺ في ذلك:

اسمعوا فالذنب سرُّ الإقتراب	من هو المعلوم في حلِّ الغياب؟
يكسر الذنب القلوب بوَقعِه	كَسْره قربٌ إلى نور الكتاب

يعني كسر الذنب هو الذي يُقرِّب الإنسان إلى حضرة الله ﷻ، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ } [67]

□

٦٦ ذكره الغزالي في البداية
٦٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

هو يريد أُناساً يضرعون له على الدوام، ويشعرون دائماً في حضرته بالإنكسار والفتور والضعف والذلة والقصور والتقصير.

علم أصحاب النبي هذه الحالة، فكانوا مع إقبالهم الشديد على الطاعات إلا أنهم يحاسبون أنفسهم على القصور الذي يعتورهم في هذه الطاعات، فيسارعون إلى التوبة بعد الطاعة: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ (الذاريات) مم يستغفرون؟ هل كانوا يسرقون أو يقتلون أو يغتابون؟! لا، كانوا يستغفرون من التقصير الذي رأوه في عبادة الله، أي أنهم لم يعبدوا الله العبادة التي

يستحقها سبحانه وتعالى من الإخلاص والصدق والخشوع والحضور، فيقولون: مهما عبدناك فنحن مقصرين، فهذا حال المؤمن دوماً بين يدي الله ﷻ، ولذلك المؤمن دائماً يتوب إلى مولاه، فإن لم يتُب من المعصية، يتوب من التقصير في الطاعات، حتى الطائع يتوب من التقصير لأنه يرى أنه مقصِّر.

الغيْن

فإن لم يتُب من التقصير في الطاعات فيتوب من اللحظة التي مرَّت عليه وهو في غفلة، فكل لحظة مرت عليه في غير ذكر الله يعتبرها ذنبٌ يتوب منه إلى الله ﷻ، دائماً المؤمن في توبة، قال ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ } [٦٨]

والغين يعني الغطاء أو الستارة، فما الغين الذي يأتي على قلب رسول الله؟! أو الستارة التي تأتي عليه؟! الشيخ أبو الحسن الشاذلي ؓ وأرضاه يقول: احترتُ في هذا الحديث، فرأيتُ النبي ﷺ في المنام فقال لي: غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك.

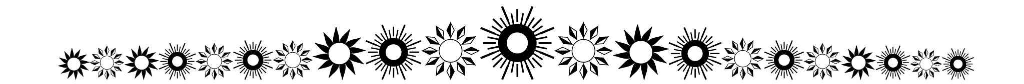
لأن الغين الذي يأتي على قلوبنا هو غين الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء، لكن ما الغين الذي كان يأتي على قلب رسول الله؟ سيدنا رسول الله كان في كل نَفَسٍ يرتقى مع الله، فكلما ارتقى إلى مقام يرى أن المقام الذي كان فيه كان فيه حجابٌ عن حضرة الله، فيتوب إلى الله ﷻ من هذا المقام، لكن لا يتوب من ذنوب لأنه لا يوجد له ذنوب أصلاً: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح)

---

٦٨ صحيح مسلم وأبي داود عن الأغر المزني ؓ

فلا يوجد له ذنوب، لأنه لم يقع في ذنوب، ولكنه قال ذلك ليستغفر لنا: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (١٩محمد).

إذاً المؤمن يتوب إلى الله دائماً، إما من الذنوب، وإما من التقصير في الطاعات، وإما من الغفلة عن ذكر الله طرفة عينٍ أو أقل، وإما من التقصير في متابعة الحبيب في أي نَفَسٍ من أنفاسه، وفي أي عملٍ من أعماله، وفي أي لحظة من لحظاته، فدائماً المؤمن يقف عند قول الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ (٢٢٢البقرة) وليس التائبين ولكن التوابين، يعني باستمرار يتوب إلى الله ﷻ على حسب حاله ومقاله مع الله ﷻ.



١٧- مصطلح الطريق

ما معنى كلمة طريقة أو طرق؟

وهل يجب أن يكون للمسلم طريقة يصل بها إلى الله ﷻ؟

لا يوجد في الإسلام ما يسمى بالطرق بل هو طريق واحد يقول فيه الله ﷻ:

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (١٥٣الأنعام)

فالطريق الذي أتى به رسول الله هو شرع الله الذي من يعمل به يصل إلى رضوان الله، وينال محبة الله واصطفاء الله جل في علاه.

فإلى ماذا يشير تنوع الطرق؟

لا يوجد أحد من المسلمين السابقين أو المعاصرين يستطيع أن يعمل بكل ما أتى به سيد الأولين والآخرين، فكل شخص يريد أن ينال رضا الله فيبحث له على قدره عن باب واحد يجتهد فيه لكي يرضي به الله جل في علاه، لكن من الذي يستطيع أن يأخذ كل الأبواب؟!! لا يوجد.

فهناك الذي يختار باب الصيام ويجتهد فيه:

لكنه باب واسع، فيوجد من يصوم يومي الإثنين والخميس، ويوجد من يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ويوجد من يصوم يوم ويفطر يوم ...

وكل هذا وارد عن رسول الله ﷺ.

وهناك من يختار قيام الليل:

لأن الله وصى به في كتابه، والرسول حرص عليه في سنته وهديه, وأيضًا يختلف القيام، فيوجد من يقوم الليل بتلاوة القرآن، ويوجد من يقوم الليل بالصلاة لله ﷻ، ويوجد من يقوم الليل بمدارسة العلم ويشرح للمسلمين العلم ...

وأنتم تعلمون أن الإمام الشافعي ﵁ عندما زار الإمام أحمد أبن حنبل، وكان الإمام أحمد يربي أولاده بنين وبنات ويفقههم في الدين، فقال لإبنته: ما رأيك في الشافعي؟ فقالت له: يوجد فيه ثلاث صفات لا توجد في الصالحين، فقال لها: ما هذه الصفات؟ وكان الضيف كعادتهم يجهزون له أبريق وطست لكي يقوم في الليل ويتوضأ ويتهجد لله ﷻ، فقالت له: نحن أتينا له بإبريق وطست فلم يتوضأ لقيام الليل, وصلى الفجر بدون وضوء, وعندما أحضرنا له الطعام أكل وشبع والصالحون أكلهم قليل.

والعلماء الإجلاء كانوا متثبتين، أي لابد أن يتثبت في الأمر، فالذي ضيع المسلمين في هذا العصر عدم التثبت، فمثلًا يأتي شخص يقول لشخص آخر فلان يقول عليك كذا، فيسرع في الأمر ويأخذ موقف من الشخص الأخر ويخاصمه ويهجره!!

لكن هل تحققت؟! هل تثبت في هذا الكلام؟! كما قال الله في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (٦الحجرات) وفي قراءة أخرى: ﴿ فتثبتوا ﴾ لا بد أن تتثبت أولًا، فالصالحين كانوا يسيرون على هذا الهدي.

فقال لها نسأله بنفسه!

فقال له: إبنتي تقول كذا، فما ردك؟ فقال: أما الأولى فإني لم أنم وبقيت على وضوء من العشاء حتى صليت الفجر, وأما قيامي فقد حللت في هذه الليلة مائة مسألة كلها تهم المسلمين، أما الثالثة فقال أكلت وشبعت لأن الحلال في هذه الدنيا قليل، فإذا وجد المرء هذا الطعام فتكون فرصة لكي يملأ بطنه من الحلال، فقد قيل: (من ملأ بطنه من زاد الصالحين ملأ الله قلبه إيمانًا وحكمة).

فبماذا قام الليل؟ بحل المسائل الفقهية التي يحتاجها المسلمين، فهذه أنفع للمسلمين أم صلاة ألف ركعة؟ صلاة ألف ركعة له وحده، لكن حل المسائل أنفع للمسلمين، ودائمًا العمل المتعدي للغير يكون أنفع عند الله وأقوم في تقرير المرء عند مولاه جل في علاه.

فيوجد من يقوم الليل في حل المسائل الفقهية، ويوجد من يقوم الليل في السهر لحراسة الحدود، أو لحراسة الأفراد والمجتمعات، وهذه الليلة فيها أفضل من عبادة ألف سنة في طاعة الله ﷻ، فالقيام أنواع، ومن الذي يستطيع أن يقوم بهذه الأنواع كلها؟! لا يوجد أحد.

وهناك الذي يريد أن يُرضي الله بذكر الله، سمع قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (٤١الأحزاب) فقال أنا أذكر الله، فاشتغل بالليل والنهار في ذكر مولاه، والذكر أنواع، فيوجد من يشتغل بالاستغفار، ويوجد من يشتغل بـ (لا إله إلا الله) ويوجد من يشتغل بـ (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ويوجد من يشتغل بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ويوجد من يشتغل بقراءة القرآن وهو أعلى ذكر، ويوجد من يشتغل بالصلاة على حضرة النبي ﷺ، والتاريخ مملوء برجال وصلوا لرضا الله في كل باب من هذه الأبواب، هل يستطيع الإنسان أن يجمع هذه الأبواب ويقوم بها كلها مرة واحدة؟ لا.

وهناك من يصل إلى الله بالصلح بين المتخاصمين من عباد الله، فكلما يرى إثنين متخاصمين لا يستريح إلا إذا أصلح بينهم، وهذا يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟، قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ } [٦٩]

فالذي يستطيع أن يصلح بين إثنين متخاصمين في ليلة، ولو في ربع ساعة أفضل من صلاة ألف ركعة لله ﷻ، لأن هذا عمل ينفع المسلمين والمسلمات.

وهناك من يصل إلى الله ويُرضي الله بخدمة المؤمنين، فيبحث عن الفقراء ليخدمهم، أو يرى العاجزين ويقضي لهم حاجاتهم، أو يبحث عن الذين لا يستطيعون أن يصلوا إلى المسئولين فيشفع لهم ويوصلهم، وهذه عبادة يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ: **{ مَنْ سَعَى لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ ، أَوْ لَمْ تُقْضَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ : بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ }** [٧٠]

وفي رواية أخرى:

---

٦٩ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه

٧٠ فوائد بن شجاع عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ مَنْ قَضَى لأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلا شَفَعْتُ لَهُ } [٧١]

وقال في رواية أخرى صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنَ اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ } [٧٢]

فمثلًا هناك جار لي وهو لا يستطيع التحرك ويريد شيء من الصيدلية أو غيرها فذهبت لقضاء حاجته، فهذه تكون أفضل من اعتكاف عشرة سنين!! فانظروا كم نضيع من عبادات بأعمال سهلة؟!.

وانظروا للعبادات التي كان يقوم بها سيدنا أبوبكر وسيدنا عمر رضوان الله تبارك وتعالى عنهما:

فسيدنا أبوبكر كان قيامه يتحسس في المدينة يبحث عن المنقطعين الذين لا زائر لهم ولا أنيس فيزورهم ويأنس بهم ويقضي حاجاتهم، فهذا هو قيام ليله، وسار بعد ذلك على أثره سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

فما أكثر الطرق لله ﷻ، وكلها من شريعة الله، ومن كتاب الله ومن سُنة رسول الله ... فالذي سار في طريق من هذه الطرق وأخلص وصدق تأتي له عطاءات إلهية، وفتوحات ربانية، ونرى أثرها هنا في دار الدنيا الدنية، فنرى أن الله وسع عليه مع أن رزقه محدود لأنه معه البركة من الله،

---

٧١ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما
٧٢ معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

أو نرى أولاده وقد أصبحوا في الدنيا وجهاء وبررة وأتقياء، وهذا بفضل الله ليس بشطارة ولا مهارة، أو نرى أنه أصبح له هيبة عندما يدخل على الرؤساء ليقضي مصالح الفقراء ولا أحد يعترض عليه ولا يطرده لأنه ذاهب إلى وجه الله، وأمثال ذلك كثيرة، نرى أن الله قد فتح عليه بعلم من عنده إلهامي، أو أعطاه كشاف نوراني رباني في قلبه يعرف به كما قال الحبيب في شأنه وشأن أمثاله:

{ احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ } [٧٣]

رأيت هذا الرجل، ورأيت المواهب التي عليه، فأريد أن أكون مثله، فأسأله كيف وصلت إلى هذا الفضل الإلهي؟ فيقول لي: طريقي كذا، وهي طريقة واحدة أخذها من رسول الله ﷺ.

هذا هو أساس الطرق، واحد من عباد الله سار في طريق رسمه شرع الله، وتأسى فيه برسول الله، ففتح عليه الله، وأُعجب به قوم أرادوا أن يفتح الله عليهم كما فتح عليه، فذهبوا إليه، فقالوا له: ما الطريق الذي سرت عليه حتى فتح الله به عليك؟ فقال: هذا هو الطريق الذي سرت عليه.

وكل فرد له مشرب كما قال الله: ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ (٦٠البقرة) فالذي وصل إلى فضل الله بالذكر فيقول لهم: هذا طريقي، فنجد أتباعه يسيرون بالذكر، والذي وصل إلى الله بالصيام، فيقول لهم: هذا طريقي بالصيام، والذي وصل إلى الله بقيام الليل، فيقول لهم، طريقي بقيام الليل.

---

٧٣ جامع البيان للطبري عن ثوبان رضي الله عنه

فالاختلاف ليس في المقصد، ولكن الاختلاف في الوسيلة التي توصل إلى المقصد، وهذه الوسائل كلها موجودة في شرع الله، ولا يوجد أحد من الأولين ولا الآخرين يستطيع أن يجمعها إلا واحد فقط وهو سيدنا رسول الله ﷺ.

فبذلك هل يكون هناك خلاف جوهري بين الطرق؟

لا، بل هو طريق واحد لأن نهايته:

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ (٨العلق)

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (٤٢النجم) نهايته الله ﷻ.

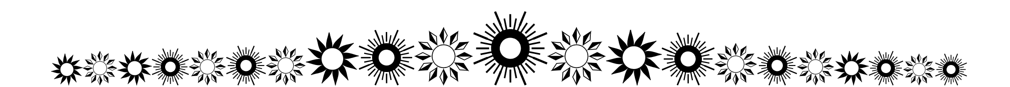
والوسيلة تختلف، فمثلاً نحن جماعة ونريد أن نذهب إلى القاهرة، فتجد شخص يقول سأسافر في القطار، وشخص آخر يريد أن يذهب في الأتوبيس، وشخص آخر يريد أن يذهب في ميكروباص، وشخص يريد أن يأخذ سيارة خاصة، فهل اختلاف الوسائل هذا له دخل في الوجهة الذاهبين إليها؟ لا، فكلنا ذاهبين

إلى وجهة واحدة.

فالذي يفرق بين الطرق ليس مدرك لهذه الأمور، لأنه ليس هناك فرق في الوجهة، لكن الخلاف في الوسيلة،

والوسيلة الباب فيها واسع:

وكلهم من رسول الله ملتمس	رشفاً من البحر أو غرفاً من الديم



١٨- توقير الأشياخ

بعض الصوفية يقدسون مشايخهم ويرفعونهم لمكانة عالية، ويرون أنهم لا يُخطئون، وأنهم فوق الحالة البشرية، فما رد فضيلتكم؟

هذا الأمر أنا أراه ملتبساً عند بعض الناس نتيجة بعض الشكوك في صدره.

اقتضت إرادة الله ﷻ أن الإنسان في أي مجال إن كان في عملٍ دنيوي، أو إن كان في لهو، أو إن كان في لعب، أو في أي عمل مهم؛ لا بد له من إنسان صاحب خبره سابقه في هذا المجال يتعلم منه ويأخذ خبرته ليمشي في هذا المجال.

وإلا أخبروني هل فينا أو في الأولين والآخرين أحدٌ يستطيع أن يقرأ القرآن من نفسه بدون معلم؟! لا بد وأن يُخطئ، لذلك لا بد له من معلم للقرآن، وهل يوجد منا من يفهم أحكام شرع الله كالصلاة والصيام والزكاة والحج بدون عالمٍ يوضحها له؟ لا، وإلا سيخطئ لأنه يجتهد فيها بفكره، وهذا الإجتهاد لا ينفع في شرع الله الذي ورد عن أحكم الحاكمين عز وجل، فلا بد من عالم بالدين.

أنا أريد أن أتعلم أي صنعة كالنجارة، إن كانت نجارة أثاث، أو نجارة باب وشباك أو نجارة أعمال مسلحة، أو أي نجارة، هل ينفع أن أتعلمها من نفسي بدون معلم؟! لا، فأي مهنة لا بد لي فيها من معلم، حتى لعب الكرة، لا تنفع بدون مدرب، وهكذا سُنَّة الله لا بد من معلم يعلم الإنسان.

فأنا أريد أن أصل إلى الفتح الذي وصفه الله في كتاب الله لمن يعمل بما عمل به الصالحون والصحابة المباركون متابعة لسيد الأولين والآخرين، فهؤلاء القوم عندما تقرأ عنهم تجد أن الله فتح عليهم، فبعضهم

كان له إكرامات، وبعضهم كان له دراسة نورانية، وبعضهم كان له رؤيات منامية صادقة، وبعضهم كان له علمٌ يُلهمه به الله، وأريد أن أصل إلى هذه الحالة.

إذاً لا بد من معلم تعلَّم وعمِل وجاءه الفتح فأقول له: علمني كما تعلمت لكي يفتح الله عليَّ كما فتح عليك.

يقول البعض القرآن موجود والسُنَة موجودة، وهذانقول له: أيضاً الصيدلية موجودة، فالقرآن الصيدلية: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسراء) فهو صيدلية، والسُنَّة أيضاً صيدلية، لكن هل يصح أن أكشف على نفسي وأشتري العلاج من الصيدلية بدون طبيب؟! لا، فكذلك الأمر لا بد لي من طبيب عالم عامل، فتح الله عليه، ورأيت عليه علامات الفتح، فأذهب إليه ليُعلمني السر الذي أوصله لهذا الفتح من كتاب الله ومن سُنَّة رسول الله ﷺ.

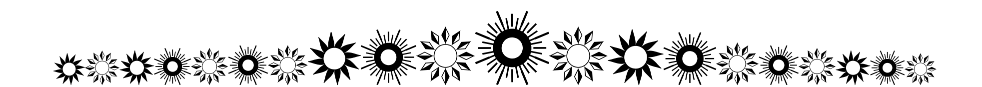
من الذي علمنا ذلك؟ الله، لأنه هو الذي طلب من موسى الكليم أن يذهب إلى عبد يُعلِّمه مما علمه الله، وموسى نبي الله وكليم الله لكن الله أمره إذا كان يريد العلم اللدني أن يذهب إلى هذا الرجل ليتعلم منه، وكانت المسافة بينهما بعيدة، فذهب إليه ماشياً ليتعلم منه كما أمره الله.

فذهب إليه وعلَّمَنا الأدب: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٦٦الكهف) فما الأدب الذي أتعامل به مع العالم؟ أدب موسى مع العبد، فلو أخذتُ بأدب موسى مع العبد فهل أكون قد خالفتُ كتاب الله؟ لا، أو خرجتُ عن شرع الله؟ حاشا لله، وهذا هو الأدب الذي نريده.

إذا كان هناك البعض يخرج عن هذا النهج فهذه ليست حُجَّة، وليس بعالم، وليس رجلاً يعرف أين الصواب، ولا يصِّح أن أقتدي به، لكن مادام عندي الحُجة في كتاب الله فأنا أتعلم من هذا العالم.

وكيف يكون الأدب معه؟ أدب موسى مع العبد، وأدب الصحابة مع حضرة النبي، وأدب التلاميذ المجيدين مع الأشياخ العلماء العاملين، وكان في عصر حضرة النبي وما بعده أيضاً مشايخ من أصحابه ولهم تلاميذهم، فسيدنا عليٍّ بن أبي طالب كان له تلاميذ يعلمهم، وسيدنا عبد الله بن مسعود كان له تلاميذ يعلمهم، وسيدنا عبد الله بن عباس كان له تلاميذ يعلمهم، كل واحد منهم كان له تلاميذ يعلمهم بما فتح الله ﷻ به عليه.

وما الأدب الواجب هنا؟ أنني أتأدب معهم كما كان الصحابة يتأدبون مع الصحابة، وكما كان موسى يتأدب مع العبد، وإذا كان هناك أحدٌ يزيد عن ذلك فلا يحق له ذلك، ونعاتبه على ذلك، ولا نقتدي به في ذلك، لأن هذا هو الميزان الذي أنزله لنا رب العزّة عَزَّ وَجَلَّ.



١٩- الكرم الإلهي

ما الفرق بين الوصول لله، والفرق بين الوصول لجنة الله؟

وهل العبادات تكفي للوصول لله؟

لا يوجد شيء اسمه الوصول إلى الله، لأن الله لا يحُده زمان، ولا يحيطه مكان، ولكن الوصول إلى فضل الله، والوصول إلى إكرامات الله، وإلى عطاءات الله، وإلى منح الله، هذا الوصول الذي تحدث عنه الصالحون من عباد الله.

والوصول إلى عطاءات الله وإكرامات الله غير الوصول إلى الجنة التي جهَّز الله ﷻ فيها النعيم، لماذا؟ لأن الجنة نعيمها حسِيٌّ مثل النعيم الدنيوي مع عُلوُّ المقام والمقدار، حور وقصور وجنات وأنهار وثمار .. كلها نعيمٌ حسِّي.

لكن النعيم الإلهي نعيمٌ معنوي، فتوحات ومكاشفات ومواجهات ومؤانسات وملاطفات، فهذا هو الفرق بين الإثنين.

ونعيم الجنة، ونعيم القُرب من حضرة الله لا يُنال بالعمل، قال ﷺ:

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : وَلا أَنَا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[٧٤]

فدخول الجنة برحمة الله، ودخول معية القرب من حضرة الله بفضل الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ باختيار من عنده: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٤الجمعة).

---

٧٤ معجم الطبراني عن طارق بن شريك رضي الله عنه

٢٠- الإنتفاع بالأولياء المنتقلين

ما حاجة المسلم للأولياء المنتقلين؟ وهل يربي الشيخ المنتقل من برزخه؟

حاجة المسلم للأولياء المنتقلين أن يطالع سيرهم, وطريق تربيتهم لأنفسهم وترويضهم لها حتى وصلوا إلى فتح الله, وطرق تربيتهم لمريديهم وأحبابهم حتى وصلوا إلى فتح الله، هذا الذي نحتاجه، والذي يقول فيه الإمام الجنيد رضي الله عنه:

(حكايات الصالحين جند من جنود الله، فهي تجذب المريد إلى فضل الله، وإلى إكرام الله، وإلى عطاياه)

فالذي يطالع سيرتهم؛ تقوى عزيمته, قالوا هل عندك من دليل؟ قال نعم:﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٠هود).

فنقرأ سيرهم على قدرنا...

فهي التي تقوي العزيمة وتدفع الإنسان أن يسير في طريق الله ﷻ, ولذلك لا غنى لأي مريد عن مطالعة أحوال الصالحين.

البعض يهتم بالكرامات فقط, لكن الكرامات المكتوبة في الكتب معظمها فيها زيادات وضعها المريدون المغالون في المحبة لشيخهم, ويظن ذلك تعبيرًا لحب شيخه.

لكن كما قمنا بعمل كتب كنماذج للصالحين, ركّزنا فيها على أمرين, تربية الرجل الصالح لنفسه وتهذيبها

حتى بلغ المراد, وتربيته لأبنائه والطرق التي اتبعها معهم حتى يوصلهم للمراد, هذا بالنسبة للصالحين السابقين.

أما زيارتهم واستحضار سيرتهم والتأسي بهم, فنحن نعلم أن الموضع الذي فيه جسد الرجل الصالح روضة من رياض الجنة, لقوله ﷺ:

{ الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ } [٧٥]

وقبر الرجل الصالح روضة من رياض الجنة, فيكون مجاب فيها الدعاء, فعندما يذهب الإنسان إلى هذه الأماكن فلحكمة عالية جعلها الله تخفف الهموم، وتزيل الأحزان عن الإنسان, وقد يدعو هناك فيستجيب الله له الدعاء ويحقق له الرجاء؛ إكرامًا لهؤلاء الصالحين, رضوان الله تبارك تعالي عليهم أجمعين.

---

٧٥ معجم الطبراني عن أبي هريرة ﷺ

هل المكان يكون له إكرام؟ نعم ودليل ذلك ما حدث مع سيدنا زكريا والسيدة مريم عليهما السلام.

فسيدنا زكريا كان هو الذي يكفل مريم, وصنع لها خلوة في المسجد الأقصى عالية لا يصل إلى هذه الخلوة إلا بسلم، وهذا السلم كان من خشب، وكان هو الذي معه مفتاح الخلوة, فكان يضع السلم ويفتح لكي يعطي لها ما تريده لأنه هو المتكفل بها ويغلق الباب، ويغير مكان السلم، ولا أحد يستطيع أن يصل لها، فدخل عليها عددا من المرات فيجد فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء:﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا** ﴾ (٣٧آل عمران) قال لها: هل أتى أحد إلى هنا؟ قالت: لا، قال: فمن أين أتيتِ بهذا؟

﴿ **قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ (٣٧آل عمران)

فعلم أن هذا المكان مكان مبارك: ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ** ﴾ (٣٨آل عمران) وبعد ذلك: ﴿ **فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ** ﴾ (٣٩آل عمران)

أجاب الله له هذا الدعاء.لكن التربية الروحانية تحتاج إلى جليس وأنيس يجالسه الإنسان، حيّ قائم ويكاشفهم، أو أشكوا إليه ما في نفسي فيوجهني، فلا بد أن يكون حيّ موجود أقامه الله وأذن له سيدنا رسول الله ﷺ،

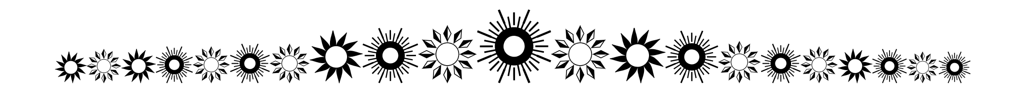
فمن الذي يستطيع أن يتربي علي أيدي الصالحين الذين في البرزخ؟ من وصل إلى درجة الكشف، وعندما يدخل إلى الضريح يرى روح الرجل الصالح ويخاطبه.

لكن إذا لم يصل أحد منا إلى هذه الدرجة فكيف نتعلم منه؟! أنا لا أرى إلا الحديد الذي حول الضريح، فما الذي أتعلمه منه؟ حتى لو أتي لي في المنام مرة أو مرتين، أهذه تكفي للتعليم؟! لا، فالتعليم لا بد له من الاستمرارية، والتربية الروحانية كما قال الإمام أبوالعزائم **(الله حيّ قائم ولا يصل إليه واصل إلا بحي قائم)**.

فالصالحون بأنفسهم، لو درسنا سيرهم أجمعين لم يصلوا إلى الله إلا بشيخ، سيدي أبوالحسن الشاذلي كان شيخه سيدي عبد السلام بن مشيش, وسيدي عبدالقادر الجيلاني كان شيخه سيدي حماد الدباس, وسيدي أحمد البدوي كان شيخه سيدي نعيم بن بري, وسيدي أحمد الرفاعي كان شيخه سيدي منصور

الباز البطائحي، والإمام الغزالي كان شيخه الشيخ يوسف النساج .. كل واحد منهم كان له شيخ أخذ بيده إلى أن أوصله إلى الله، فلم يصل أحد منهم بغير شيخ.

كل رجل من الصالحين السابقين واللاحقين لا بد له من شيخ يأخذ بيده ويوصله إلى المنح الإلهية والعطاءات الربانية؛ لأن هذه حكمة الله وسنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.



٢١- علوم الأنبياء وعلوم الأولياء

ما الفرق بين علوم الأنبياء وعلوم الأولياء؟

علوم الأنبياء تكون وحى من الله ﷻ، أي لا بد أن يوحى إليه إما من الله مباشرة، أو عن طرق الوحي، وأمين الوحي سيدنا جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، ولذلك علومه ليس بها شك وليس فيها تردد، ومن يردها فيكون بذلك كافر عند الله ﷻ.

أما علوم الصالحين والأولياء تكون إما عن طريق ملك الإلهام، يلهمه بمعنىً في الآية، أو معنىً في الحديث، وإما فهم يرزقه به مولاه ﷻ، فقد قيل للإمام عليّ: هل اختصكم سيدنا رسول الله ﷺ بشيء أهل البيت؟ قال: (لا، إلا فهم يجده العبد في كتاب الله) هذا الفهم لنا الأخذ به والعمل به، ولنا تركه وأن لا نعمل به، لأنه ليس بوحي، فنحن مخيرون فيه؛ لأن هذا ليس فيه إلزام.

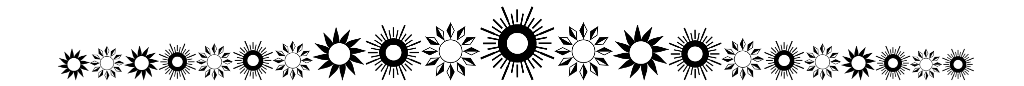
إذاً علوم الأنبياء يُلزَم بها أتباعُ الأنبياء، لأنها وحي من السماء, أما علوم الأولياء فهي إلهامية أو فهم في آيات الله القرآنية والأحاديث النبوية.

وأصل هذا الفهم شيئين إما أن يُرزق فهم خاص لنفسه في الآيات والأحاديث، وهذا لا يبيحه لغيره، وإذا أباح شيئًا قليلًا منه فتكون خصوصية له، ونحن لسنا بمطالبين بها.

وإما فهم يرزقه له الله بحسب الجالسين والسامعين، فتكون قضية هم مشغولون بها، وتأتيهم الإجابة من رب العالمين على لسانه، وهذه العلوم لا بد أن توزن بالشريعة، وكل علم يخالف الشريعة نضرب به عرض الحائط، وبعد ذلك لنا أن نأخذ به، ولنا أن لا نأخذ به، ولذلك لا نلزم الأمة جميعًا به، حتى لو ألزمنا لا نلزم إلا أنفسنا فقط.

لكن علوم الأنبياء يلزم الأمة كلها العمل بها واتّباعها، فمن رد حديثًا صحيحًا لرسول الله ﷺ يكون قد كفر، لكنه لو رد حكمة قالها أحد الصالحين؛ فليس في ذلك شيء، ربما لم يتحملها عقله، فلم يعقلها، ولم يفهمها لأنه كما قال الإمام مالك رضي الله عنه وأرضاه: **(ما جاءنا عن رسول الله ﷺ فعلي العين والرأس وما جاءنا عن أصحابه فهم رجال ونحن رجال)** أي نأخذ به أو لا نأخذ به، فهناك فارق كبير بين علوم الأنبياء وعلوم الأولياء.

والشيخ أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه ضرب مثالًا لطيفًا، عندما سئل عن الفارق بين علوم الأنبياء وعلوم الأولياء، قال: **(علوم الأنبياء مثل جرّة مملوءة بالماء رشحت منها قطرة هي علوم الأولياء)** فعلوم الأنبياء ليس لها حد ولا عد لها؛ لأنها من الله عز وجل.



٢٢- بين الأنبياء والصالحين في القرب من الله ﷻ

يقول أحد الصالحين: ((جزت بحرًا وقف الأنبياء بساحله)) نرجواالتوضيح؟

بعض المعترضين يأخذ هذه العبارة أنها سوء أدب مع الأنبياء والمرسلين، لكنه لو تأنَّى نال ما تمنى، كما قيل في الحكمة.

قال: أنا ظللت أعوامًا في البحر، وتعبت إلى أن وصلت الشاطئ الآخر، وعندما وصلت وجدت الأنبياء والمرسلين، مع أني تركتهم على الشاطئ الأول، فكيف ومتى عبروا؟! أي أن ما قطعه بجهاده هم أخذوه بفضل الله ﷻ.

فهذا هو الفارق بين بذل المجهود، وعين الجود، فهو بذل المجهود، ورأى أن من أخذوا من عين الجود سبقوه بما آتاهم الله ﷻ من هذا الفضل و الكرم والجود.

فعلى كل شخص أن يسأل الخبراء في ميدانهم، كلنا نتفق، لكن المشكلة أن كل شخص يريد أن يفتي في كل شيء، لابد أن يسأل الخبير في هذا المجال.

الشيخ محمد عبده، رحمة الله عليه، عندما ذهب إلى فرنسا وقالوا هل القرآن فيه كل شيء؟ قال لهم: نعم:

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (٤٩الكهف)

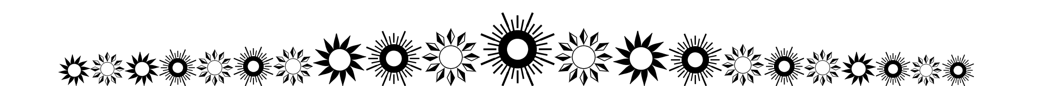
فقالوا له: نحن نريد أن نعرف جوال الدقيق، كم رغيفًا يُخبز منه؟ فأخذهم وذهب بهم إلى مخبز، فقال أين العجان الذي يصنع الخبز؟ فأتوا به، فقال له: نحن نريد أن نعرف جوال الدقيق يخبز منه كم رغيف؟ فقال لهم: كذا، فقالوا: نحن نريد من القرآن، فقال

لهم: القرآن قال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧الأنبياء) وهذا أهل الذكر في هذا الفن!!.هذا هو العلم الإلهي، أن أسأل كل صاحب شأن في شأنه، هل هناك عالم مهما كان شأنه في علم الفقه، يستطيع أن يفتي في الحالات المرضية دون الرجوع إلى الأطباء؟ لا، فلا بد من رأي الأطباء، فإذا أتي رجل مريض يقول: أنا أفطر أم أصوم؟ فأقول له: هذا يقرره طبيبك ليس أنا، فأنا أقول لك الحلال والحرام

فلو رجعنا للتخصصات، وكل من لا يعرف شيئًا، ما دام في غير تخصصه، يرجعه لأهل التخصص ويسألهم، فبذلك تكون الأمور مستقرة تمامًا بتمام.

بالإضافة إلى ذلك المشكلة التي جدَّت في عصرنا، أن جعلوا التصوف مادة من مواد الدراسة الفلسفية في الكليات الجامعية، وأصبح يدرس دراسة شكلية وليست دراسة عملية، والتصوف مبني على الأذواق فالدكتور الذي يقرأ الكتب ويتكلم عن التصوف، ماذا يدري عن هذه الأحوال؟! وما الذي ذاقه منها؟! فيُحكِّم فيها عقله، لكن الأحوال الصوفية يحكِّم الإنسان فيها قلبه وذوقه.

فهذا الذي زاد المشاكل في هذا الزمان، أنهم حكموا العقل فيما لا يحكم فيه العقل، بل الذوق الرفيع والحال الصحيح والمتابعة لسيدنا رسول الله ﷺ.



٢٣- إسراءات الصالحين

يُؤخذ على الصوفية الإسراءات والمعاريج، ويقصدون بها حضور روح الولي إلى العالم العُلوي وجولاتها هناك، والإتيان منها بشتَّى العلوم والأسرار، فما قول فضيلتكم؟

ما الذي يُنكره أي إنسان على أي إنسانٍ صفت نفسه، وارتقى قلبه، وساحت روحه وهو نائمٌ في الأكوان، أو في ملكوت حضرة الرحمن ﷻ؟! هل يوجد من يُنكر مثل هذه الأحوال؟! فإسراء ومعراج العارفين يكون مناماً:

تجذب الروح الهياكل	في الصفا أعلى المنازل
إن أداروا الراح صرفاً	أسكرت عالٍ وسافل

والذي يحدث للعارفين مناماً قد يحدث للكُمَّل يقظةً، فتنسلخ الروح من الجسم، وهو بيننا، وتذهب إلى عوالم الملكوت الأعلى لتشاهد من جمالات الله وكمالات الله وقدرة الله ما يستطيع تحمُله من نور حضرة الله ﷻ وبهاه.

لكن ما يفرق بين رؤية كل من الأولياء والأنبياء أن إسراء الأولياء ومعراجهم قد يكون مناماً، أو قد يكون يقظةً بأرواحهم، أما الحبيب ﷺ فكان بالروح والجسم، وهذه هي الخصوصية التي تميَّز بها خير البرية ﷺ.

ألم ير عمر وهو على منبره في المدينة جيشه في بلاد فارس؟! وبينه وبين المعركة أربعة آلاف كيلومتراً، هل رأى بعين البصر أم بعين البصيرة؟ رأى بعين البصيرة، لأن البصر له حدود، هذه الحدود واضحة في الوجود فلا يستطيع أن يرى خلف الجدار، ولا يستطيع أن يرى ما وراء الجبال، ولا يستطيع أن يرى ما في السماء

إذا كانت مغطاةً بالسُحب، لكن عين البصيرة لا شأن لها بذلك.

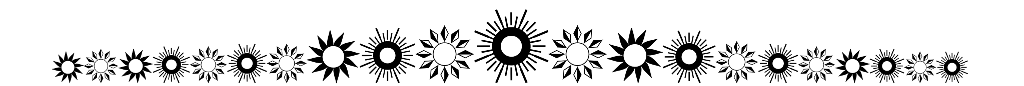
فالإسراء والمعراج بالروح مناماً أو يقظةً بدون الجسم لا حرج فيه، وهذا المعراج والإسراء هو الذي أشار إليه حضرة النبي ﷺ عندما سأل حارثة:

{ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، قَالَ: أَصْبَحْتُ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا وَأَسْهَرتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي قَدْ أُبْرِزَ لِلْحِسَابِ، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عُوَاءَ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ لَهُ: عَبْدٌ نَوَّرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، إِذْ عَرَفْتَ فَالْزَمْ } [٧٦]

---

٧٦ مصنف ابن أبي شيبة

وهذا هو المعراج، رأى أهل الجنة وهم يتزاورون فيها، ورأى أهل النار وهم يتعاوون ويصطرخون فيها، فهل رأى بالعين الحسية أم بالعين الباطنية؟ رأى بالعين الباطنية، وهذا دليلٌ على أنه معراجٌ بين أصحاب الحبيب ﷺ.



٢٤- الهواتف

يُؤخذ على الصوفية أنهم تأتيهم هواتف عُلوية مثل سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو من الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، سواءٌ كان مناماً أو يقظةً أو في حالة بينهما بواسطة الأُذن، فما قول فضيلتكم؟

هذا الكلام أو هذا السؤال يحتاج إلى دليل، لأن المتعارف عليه أن النداءات التي تأتي للصوفية تكون إلهاماً عن طريق الملك الموكل بإلهام الإنسان، فيقذف في روعه ويشعر كأنه سمع صوتاً يقول له كذا، من أين هذا الصوت؟ ترجمة لكلمات ملك الإلهام الذي يقول فيه الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَمَعَهُ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ }[٧٧]

لكل إنسانٍ مَلكٌ يُسدده، وشيطانٌ يوسوس له، المَلَك الذي يُسدده يلهمه، أي يكون الإنسان ليس على باله هذا النوع من الخير، وإذا بهذا المَلَك يقذف في روعه هذا الخير، فيحسُّ لشدة حضوره أو استحضاره كأن شخصاً يناديه ليفعل ذلك، ومن هذا الشخص؟ المَلَك الموكل بإلهام هذا الإنسان.

٧٧ سنن الدارمي ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

في هذه الزحمة التي استمعنا إليها تتدخل الشياطين لتُغوي السالكين، وتُغرِّر بالصادقين، لتبعدهم عن رب العالمين ﷻ.

فبعضهم يدَّعي أنه يسمع كلاماً في أُذنه، ومن الذي يوشوش في الأُذن؟ الشيطان، لكن الرحمن لا يوشوش

في هذه الأُذن، الرحمن ﷻ يُلهم أُذن القلب، وليست الأُذن الظاهرة، فمن يقول لك: أنا سمعتُ بأذني هذه هاتفٌ يقول كذا، فاعلم أن الشيطان يضحك عليه.

فإذا لم يستطع الشيطان أن يُغريه عن طريق المعاصي والسيئات، يدخل له عن طريق الصالحات أولاً لُيُذلِّه له، ويُخضعه له، ويُملي عليه ما يريد أن يفعله به في إبعاده عن حضرة الله ﷻ.

ولذلك هذه الأمور كلها لا بد أن تُعرض على عارفٍ خبير، لا يستمع الإنسان منها بنفسه، وينكفأ على نفسه، وربما يتباهى على من حوله أنه تأتيه الهواتف المنامية، أو الهواتف في عالم اليقظة، لكن يجب أولاً أن تُعرض هذه الأمور.

الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه عندما كان في الخلوة ورأى نوراً يمتد من العرش إلى الأرض، وسمع: عبدي عبد القادر، قال: لبيك سيدي — سمع بأذنه – قال: إني أبحتُ لك المحرمات، قال: اخسأ يا ملعون، فوجد النور وقد تحوَّل إلى دخان، ثم قال: كيف عرفتني؟ قال: إن الله لم يُحرِّم شيئاً على لسان نبي ثم يُبيحه لولي، قال: لقد نجوت مني يا عبد القادر بعلمك وفقهك، ولقد خَرَّجتُ قبلك سبعين رجلاً من أهل الطريق بهذه الكيفية.

أعرفتم ماذا يفعل الشيطان؟ يقول: أبحتُ لك المحرمات، فيظن أنه قد أخذ تفويضاً أن المحرمات كلها مباحة له، أو يقول له: رُفع عنك التكليف، فيقول: أنا لم أعد مُكلفاً بصلاة ولا بصومٍ ولا بشيء، فيقول لكم حوله: أنتم المكلفون وأنا رُفع عني التكليف!!، لكن كل هذه الأمور تحتاج إلى: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ (٥٩الفرقان).

فهلاوس النفس، وهواجس الشيطان هي التي تحوم حول الصادقين حتى تقطعهم عن حضرة الرحمن، وعن النبي العدنان، لا يستطيع الإنسان بنفسه أن يتغلب عليها، فيحتاج إلى رجلٍ من أهل الإيقان وصل واتصل وأُذن، حتى يكشف الله له به عن ذلك.

الشيخ أبو عساكر، وكان رجلاً معاصراً، كان داخلاً ذات اليوم القبلة فوجد في القبلة مكتوب بالنور: (لا إله إلا الله أبو عسكر ولي الله) فقال: يا ملعون وهل هذه تُرى بالعين؟!

لأنه يعرف أن من يراها بهذه العين ليست حقيقة، وبماذا تكون الحقيقة؟ تكون بعين البصيرة، ولذلك عندما يقول أحد: أنا رأيتُ كذا، فنقول له: كيف ذلك؟ أغمض عينيك فهل ترى ما رأيت أم لا؟ فإذا كنت ترى وأنت مُغمض فيكون هذا بعين البصيرة، وإذا كنت ترى وأنت تفتح عينيك فيكون هذا شراك وضعه لك الشيطان، وأنت الآن في خطر.

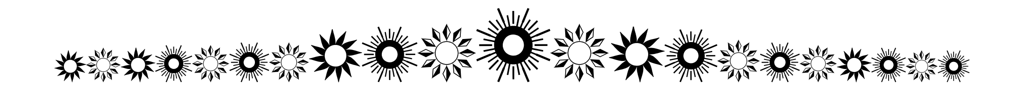
لا بد أن ينتبه الإنسان لكل هذه الأمور، ويعرضها على إمام من أئمة الطريق حتى يحدث له التوفيق.

أحد تلاميذ الشيخ الجنيد ﵁ انقطع فترة، فقال لإخوانه: اذهبوا لأخيكم لتعرفوا لماذا لم يعد يأتي؟ فذهبوا إليه وسألوه: لماذا لم تعد تأتينا؟ فقال لهم: أنا في غير حاجة للشيخ، فكل ليلة أنام في الجنة، فماذا أفعل بالشيخ بعد ذلك؟ فقالوا ذلك للشيخ، فقال لهم الشيخ: اسألوه وكيف تكون هذه الجنة؟ فقال: جماعة تأتيني كل ليلة يأخذوني فأحضر حلقة ذكر، فأشعر وكأني في الجنة على الفور، فقال لهم: قولوا له: عندما تدخل حلقة الذكر هذه فقل: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، فجاءوه وأخذوه وحملوه وأقاموا الذكر، فقال: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ففوجئ بالضرب عليه من كل مكان، حتى أنه فقد الوعي، ولم يستيقظ حتى لسعته حرارة الشمس، فنظر فوجد نفسه في مزبلة بغداد فعرف أن من كان يحمله هم جن، وهم يريدون بذلك وبأي كيفية أن يسيطروا على المريد.

الصادقين كالإمام الجنيد رأى إبليس قادماً ولونه أصفر ومريض، فقال له: مالذي أتعبك؟ فقال له: القوم

الجالسين في مسجد الشُنزية، ومسجد الشُنزية كان للإمام الجنيد والمريدين وكان بجوار المقابر، فذهب الشيخ قبل الفجر بساعة ودخل فوجد في المسجد أربعة، وليس عددٌ كبيرٌ، أحدهم جالس وواضع رقبته بين ركبتيه، والآخرين يجلسون كل على حدة، وكل واحد منهم سابح في ملكوت الله، فرفع أحدهم رأسه فقال للإمام الجنيد: لا يغرنَّك كلام الخبيث، لأنه يريد أن يُغوينا.

فالتهريج والتمريج الذي يحدث في مثل هذه المجالات يحتاج من الإنسان أن يضبط أحواله، ويُنسِّق أحواله على يد خبير رباني: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ (٥٩الفرقان).



٢٥- التمايل في الذكر

يؤخذ على الصوفية التمايل في الذكر، فهو أشبه بالرقص، ولم يرد عن رسول الله ولا صحابته أن تمايلوا أو تراقصوا عند ذكر الله، فما قول فضيلتكم؟

من سأل السؤال حَكَم بِحُكمٍ ليس في مُكنته، لأنه لم يطلع على كل ما ورد عن أصحاب رسول الله، ومن سنة رسول الله ﷺ.

فقد رُوي عن سيدنا معاوية ﷺ أنه دخل على الرسول ﷺ وهو في حلقة ذكرٍ مع أحبابه الخاصة، وبعد أن انتهوا قال: مَا أَحْسَنَ لَعِبَكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ:

{ مَهْ يَا مُعَاوِيَةُ، لَيْسَ بِكَرِيمٍ مَنْ لَمْ يَهْتَزَّ عِنْدَ ذِكْرِ سَمَاعِ الْحَبِيبِ } [٧٨]

ونحن نحفظ الحديث الصحيح الذي يروي أن النبي ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَقَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَقَوْمٌ يَتَذَاكَرُونَ الْعِلمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

{ كِلا الْمَجْلِسَيْنِ عَلَى خَيْرٍ، أَمَّا الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلاءِ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ وَيَتَعَلَّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا }

□

٧٨ صفوة التصوف لأبو زرعة طاهر المقدسي عن أنس ﷺ

فالذكر كان موجوداً، والنبي ﷺ أثنى عليه، وسيدنا الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه كان يصف أصحاب رسول الله ﷺ فقال: (كانوا عندما يذكرون الله يميدون - يعني يتمايلون - كما تميد

الرياح ورق الشجر) أي يتمايلون كما تميّل الرياح ورق الشجر .... والقرآن واضح، ألم يقل الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (١٩١آل عمران) إذاً الذكر أولاً من قيام، ومن عجز فمن قعود، ومن عجز فعلى جنبه، وهذا الذكر الوارد عن أصحاب رسول الله ﷺ.

فإذا كان الصوفية يصنعون حلقات الذكر ففيها من الأسانيد ما لا يُعد ولا يُحد، ومملوء به كتب السنة الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ، والحركات التي يتحركونها كحركة الركوع والقيام من الركوع، ولا نخرج عن ذلك .....لأن النبي ﷺ قال لنا:

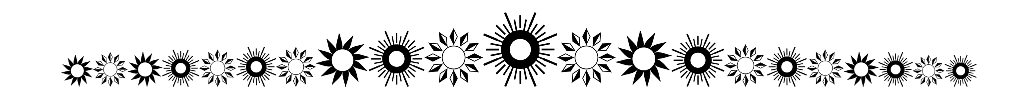
{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ } [٧٩]

فلابد أن تكون حلقة بالكيفية التي على هيئة الركوع والقيام من الركوع، ونحن عندنا أصل في علم الأصول: نحكِمّه في كل النقول، وهذا الأصل يقول:

---

٧٩ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

(الأصل في الأشياء الإباحة مالم يكن هناك مانع) وهل هناك نصٌّ في القرآن أو في السُنَّة يمنع من هذا الذكر؟ لا. ... إذا كان رأياً فليس لنا شأنٌ بالآراء، ولكن نريد نصَّاً في القرآن أو في سُنَّة من اختاره الله وجعله صاحب الشريعة المطهرة وأنزل عليه القرآن، فما دام لا يوجد أصل للمنع، فالأصل الإباحة.



٢٦- تبرئة الحلاج

هل الحلاج كافر كما يدَّعي بعض المتشددين؟

أظن أننا أجبنا على هذا السؤال قبل ذلك، وقلنا: لا نستطيع ولا يستطيع أحدٌ أن يحكم على رجلٍ نطق بالشهادتين أنه خرج عن دين الله.

فأي مسلم نطق بالشهادتين ولو مرةً واحدة فهو مسلم، والإيمان محله القلب، ولا يطلع عليه إلا من يقول للشيء كن فيكون.

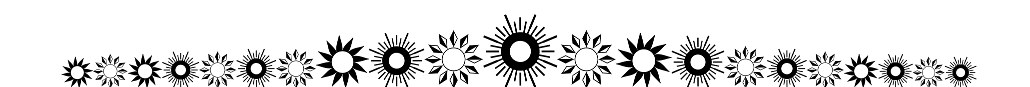
وقلنا أن فتنة الحلاج فتنة سياسية، والدكتور عبد الحليم محمود وضَّح هذا الأمر بعد أن بحث ذلك في رسالة كبيرة شرحها ووضحها، وقال: أن الحلاج عندما ظهرت عليه معالم الإشراقات الإلهية، فاجتمع الناس من حوله، ودائماً ولاة الأمور يخافون من أي إنسان يجتمع الناس حوله حتى لا ينافسهم في الكرسي، أو يعمل انقلاب عليهم، فدبروا مؤامرةً للحلاج وقوَّلوه ما لم يقُله ليقتلوه، لكنها مؤامرة سياسية وكلامه يدل على ذلك.

وما نُسب إليه فهذا تزوير، كما يحدث في أي زمان ومكان، سياسيين يريدن أن يجلدوا واحداً أو يسجنوه فيلّفقون له أي كلام، فلفقوا له مثلاً (ما في الجُبَّة إلا الله) وهذا كلام ألصقوه له، لكنه لم يقُل هذا الكلام، ولم يرد في كتابٍ صحيحٍ من كتب القوم، والذين ينشرون هذا الكلام هم القوم الذين يشنعون على الصوفية ويتلمسون هذه الأمور.

لكنه رجلٌ مؤمن ،وإلا بالله عليكم كيف تظهر على يديه الكرامات وهو غير مؤمن بالله ﷻ كما يدَّعون؟!

فكرامات الحلاج لا تُعد ولا تُحد، والذي جمع الخلق عليه الكرامات الكثيرة الموجودة.

لكن هذا موضوع سياسي، ويحدث في كل زمان ومكان، فلفقُّوا له التُهمة ليقتلوه ولينفض الناس من حوله خوفاً على الصولجان والملك، وكان ذاك في عصر الدولة العباسية.



٢٧- الكرامة والإستدراج

ما الكرامات؟

وما الفرق بينها وبين الإستدراج؟ ولماذا يُظهر الله على يد الولي كرامات؟

الكرامة للولي كالمعجزة للنبي,

وكل كرامة لولي معجزةٌ للنبي الذي يتبعه هذا الولي.

لو انتفت الكرامات لتشكَّك الناس في ديننا الإسلامي، لكن في كل عصر يرون رجالاً صادقين في اتباع سيد الأولين والآخرين، ومع أنهم في هذه العصور المظلمة تظهر عليهم أسرار إلهية نسميها إكرامات.

ونحن كلنا – كل المؤمنين – لهم كرامات، ولكن لا نذكرها، من منا حدث له في يومٍ من الأيام ضرورة ودعا الله فاستجاب له مولاه ولبَّاه؟ كلنا، ومن منا لم يتعرَّض لشدة واستغاث بالله فأغاثه مولاه وذهبت الشدة في الحال؟ كلنا، من منا أراد أن يذهب إلى مكان والمواصلات غير مُهيأة، فأرسل الله له مواصلة له لا يعلم كيف جاءت ولا كيف أتت توصله إلى مكانه؟ عندنا كلنا مثل هذه الكرامات الحسية.

لكن الكرامات التي نقف عندها للصالحين هي الكرامات المعنوية، كالإستقامة، ولذلك قالوا: (الإستقامة خيرٌ من ألف كرامة).

سألوا أحد الصالحين:

رأينا جماعة يطيرون في الهواء؟

فقال لهم: ما زادوا عن طير، فالطيور تطير في الهواء!!

فقالوا: ورأينا جماعة يمشون على البحر!

قال: مازادوا عن سمكة، فالسمكة تمشي على البحر!!

قالوا: رأينا جماعة يذهبون إلى الكعبة في لحظة، أو يقطعوا بين المشرق والمغرب في لحظة، فقال لهم: الشيطان يفعل ذلك!

قالوا: فما الكرامة؟

قال: الكرامة الاستقامة.

الإستقامة:

- هي أن يستقيم الإنسان على منهج الله.
- وتأتيه دائرة الحفظ، فالأنبياء لهم العصمة، والولي تأتيه دائرة الحفظ الإلهي، حتى ولو همَّ بمعصية فلا يجد الدواعي التي تُعينه على فعلها، فهذه عناية من الله، وهذه كرامة.
- فإذا فكَّر في المعصية وخطَّط لها، وفي اللحظة الأخيرة رب العزة يُهيئُ له الأسباب التي تُبعده عن هذه المصيبة، فهذه عناية الله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (٢٠١الأعراف).

الكرامة الثانية التوفيق.

وهي أن يوفقه الموفق في كل حركاته وسكناته، فلا يفعل إلا ما يُرضي الله، ولا يمشي في طريقٍ إلا برضاء

الله، ولا يجمع المال إلا من حلالٍ أحلَّه الله، ولا يُنفقه إلا في موضعٍ مباركٍ يستثمره له الله، فهذا التوفيق، ولقلة التوفيق ولرفعة شأنه لم يذكره الله في القرآن إلا مرةً واحدة وعلى لسان نبي: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (٨٨هود) فالتوفيق أعلى درجات الكرامات.

وأعلى الكرامات شأناً أن يختم الله للعبد بالإيمان، فيخرج من الدنيا من أهل (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) وعلامة ذلك أن يُبعده الله عن الكبائر والفتن ما ظهر منها وما بطن.

ما الذي يجعل الإنسان عُرضة لعدم الختام بالإيمان؟ إذا وقع في كبيرة ولم يتُب منها، وجاء الأجل، كعاق لوالديه وجاء الأجل فيُختم له بسوء الخاتمة، أو يغشُّ في كيل أو في بيع ومات ولم يتب فهي نفس الأمر، أو يشرب الخمر ولم يتب ولم يرجع إلى الله .. أي كبيرة من هذه الكبائر نفس الأمر.

فكون الله يحفظه من الكبائر، ويوفقه للفرائض فقد ضمن الله له حُسن الخاتمة.

والكرامة الأعلى من ذلك أن يؤيد الله له دعوته إلى الله، ويجعله ببركة رسول الله، وبسر رضاء الله يجمع أهل الخير على الله ﷻ، لماذا؟ قال ﷺ:

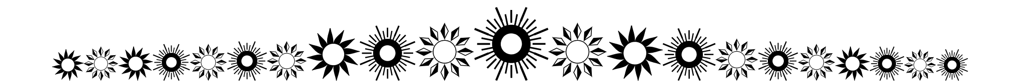
{ وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِهُدَاكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ } [٨٠]

---

٨٠ سنن أبي داود عن سهل بن سعد ﷺ

فهذه كرامات الصالحين وإكراماتهم التي يبحثون عنها وهذه هي المهمة.

أما الكرامات الظاهرية:فقد يتشبَّه بها السحرة، وقد يصطنعها البوذيون في الهند باليوجا!!!وقد يتظاهر بها من يخاوي الجن .... وينبئ الإنسان بما حدث بالأمس أو بما قاله اليو !!م، لكن الكرامات التي يهتم بها الصالحون: هي الكرامات المعنوية التي ذكرناها، نسأل الله ﷻ أن نكون من أهلها أجمعين.



٢٨- الرؤيات المنامية للسالكين

بعض الصوفية يعيشون على الرؤيات المنامية، ويخططون حياتهم عليها، فلا يفعلون شيء أو يتركون شيء إلا برؤيا، فما حقيقة ذلك؟

الرؤيا المنامية هي أول عطاء من الله ﷻ يُبشِّر به من استقام على منهج الله، لأن الله بشَّر أهل الإستقامة:

﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ (٦٤يونس).

وأول بشرى لهم في الدنيا قال فيها ﷺ:

{ لَا يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ، إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ } [٨١]

لكن هذه الرؤيا تحتاج أولاً لمئُوِّل علَّمه الله ﷻ علم تأويل الرؤيا لكي يفسرها لي، وثانياً لا أقف عندها، لأنها ستكون حجاباً للمقام الذي بعدها.

سيدنا رسول الله ﷺ يُعرفنا قدر الرؤيا من علوم النبوة، فقال ﷺ:

---

٨١ مسند أحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

{ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ }[٨٢]

والسيدة عائشة تحكي عن الرسول ﷺ في أول ما بُدئ به من الوحي فقالت:

{ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ }[٨٣]

كم استمرَّت هذه الحالة؟ قيل: ستة أشهُر، وبعد ذلك انتقل إلى شيء أرقى في علوم الأصفياء، وفي علوم الأتقياء والأولياء،وفي علوم الرسل والأنبياء.

فسيدنا رسول الله مكثت معه هذه الرؤيات ستة أشهر، ومدة النبوة كلها ثلاثة وعشرين سنة، ثلاث عشرة في مكة وعشرة في المدينة، وستة أشهر من ثلاثة وعشرين سنة تكون ست وأربعين، كما أخبر النبي ﷺ:

{ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ }[٨٤]

---

٨٢ صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
٨٣ صحيح البخاري
٨٤ صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

فهل أستمر على هذا الجزء في حياتي كلها؟!

هنا أكون قد حُجبتُ أو قُطعتُ أو أخطأتُ، من هذا الذي يجعل همُّه كله ليرى رؤيا؟!! تسأله: لماذا تقوم الليل؟ يقول لك: لكي أرى رؤيا صالحة عندما أنام، فهنا العبادة ليست لله ولكنها للرؤيا الصالحة.

وعلى سبيل المثال:

يُصلِّي على حضرة النبي ﷺ بعد أن يصلي الفجر كل يوم ألف مرةَ

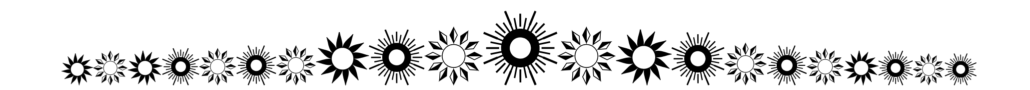
وتسأله: لماذا تصلي على النبي ﷺ ألف مرة؟

يقول لك: لكي أرى في المنام رؤيا صالحة، فهذه العبادة لعلة وليست خالصة لله.

لكن لو أنا عبدتُ الله، فأُصلي وأصوم وأُصلي على حضرة النبي وأتصَّدق وأذكر، فهذه العبادة لله لأنه أهلٌ للعبادة ....

فإذا تفضَّل عليَّ بالرؤيا فخير، وإذا لم يُرِني رؤيا فالعبادة ليست للرؤيا، ولكن العبادة لله ﷻ.

فالذي حُجب بالرؤيا هو الذي وقف ولم يجد رجلاً عالماً عاملاً يُخرجه من هذه الورطة فأصبحت عبادته معلولة، وما علتها؟ الرؤيا، وهذه عبادة غير خالصة لله ﷻ، ولكن لا بد أن يعبد الله لذاته، ولا يبغي من وراء العبادة إلا رضاء الخالق البارئ ﷻ، فإذا تفضَّل الله بعد ذلك عليه: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد).



٢٩- رئيسة الديوان

ما حقيقة قول بعض الصوفية عن السيدة زينب أنها رئيسة الديوان؟

السيدة زينب عندما نزلت إلى مصر أنزلها والي مصر ضيفةً عنده في بيته، وكان بيته يُعقد فيه الديوان، والديوان كان مجتمع الوالي ومن حوله من الأكابر لبحث الأمور المهمة التي تهم ولاية مصر في هذا الوقت، فكان اسمه الديوان.

فطلب منها الوالي تبركاً بها أن تحضر معهم من خلف ستار وتسمع حوارهم، وتُدلي برأيها ليستنيروا به في هذا الأمر.

فجاء بعد ذلك المتصوفة المتعجلون قالوا: إذاً هي رئيسة الديوان!

وجاء من بعدهم فاختلط الحابل بالنابل!!

وأدخلوا التصوف في الخرافات!!

وقالوا: أن هناك ديواناً للصالحين، وأن هذا الديوان يُعقد في جبلٌ (قاف) أو يُعقد في غار حِراء مرةً كل أسبوع! ويجتمع فيه القُطب الموجود، والأفراد الأبدال، ومعهم حضرة النبي، ومعهم أكابر الصحابة، ورئيسة هذا الديوان هي السيدة زينب!!

فهل هذا الكلام يُعقل؟!

وهل يوجد من يقبل هذا الكلام؟!

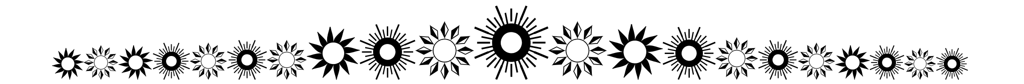
نفرض أن هذا الديوان يُعقد، فكيف يكون حضرة النبي موجوداً وتكون الرئيسة السيدة زينب؟!

وقالوا: إن سيدنا الحسين يكون موجوداً أيضاً، فهل يقبل أن يكون الحسين موجوداً وتكون السيدة زينب هي رئيسة الديوان؟

لكن – كما قلتُ – أن الديوان كان ديواناً حِسياً، يبحثون فيه أمور الرعية، وأراد الوالي منها أن تحضر معهم من وراء ستار، لأنه كان يأتنس بها ويعتقد أنها من الصالحات لأنها من آل بيت النبي، وهي فعلاً كانت من الصالحات، لتُدلي برأيها وهذا كل ما في الأمر!



لكن الديوان يُعقد كل أسبوع، والديوان في غار حراء، وهو الذي يُخرج الأحكام التي تحكم الدنيا كلها، وأن الأحكام التي تخرج من هناك هي التي تُنفَّذ، فهذه زيادات ما أنزل الله بها من سلطان، وخرافات ليست في دين الله عز وجل، ولا في شريعة الله، ولا عند الصوفية الصادقين، فهي خرافات يجب أن نطهر منها التصوف في كل زمانٍ ومكان.



٣٠- رؤية السيدة زينب مكشوفة الرأس

يدَّعي البعض أن رؤية السيدة زينب في المنام بشعرها أو بملابسها العادية دلالة على أنه من أهل البيت، وليس غريباً عليها، فمارأي فضيلتكم في هذا الأمر؟

هذا تعميم!

الذي ورد في هذا الأمر رواية يحكيها الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمة الله عليه عندما كان طالبا بجامعة الأزهر:

أنه كان يسكن بجوار السيدة زينب وقتها ...

وكان أبوه يحب آل بيت النبي، وقد رأى الشيخ الشعرواي السيدة زينب في المنام وهي غير محجبة، وكان أبوه عنده في زيارة، فحكى لأبيه هذه الرؤيا، فقال له: يابني لأننا من آل البيت، ولذلك أنت رأيتها بشعرها!

لكن هذه قصة أو حادثة لا تُعمَّم، ولا نجعلها قانوناً، لأن أبوه فسَّرها له بذلك.

فهل كل إنسان يرى السيدة زينب يُفسِّرها بذلك؟

لا، فالرؤيا كما قال ﷺ:

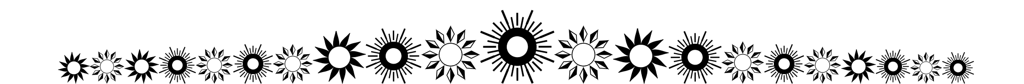
{ **الرُّؤْيَا لأَوَّلِ عَابِرٍ** }[٨٥]

وكل رؤيا لها تعبيرها.

فلا نأخذ تعبير شخص واحد على كل الرؤيات.

لكن كثير من أدعياء الصوفية يتوقف عند مثل هذه الكلمات، ويُخرج منشورات ويُعممها، في حين أنه مسكين!

والصوفية أغنياء عن مثل هذا، فعندهم من العطاء الإلهي ما يغنيهم ويكفيهم، ويأخذ بأيدي محبيهم، ولا يحتاج إلى مثل هذه الأشياء.



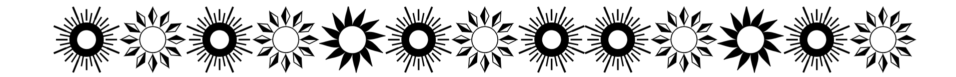
٨٥ سنن ابن ماجة ومصنف بن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه

الباب الرابع

حول التصوف والصوفية

الباب الرابع

التصوف والصوفية



١-كيفية عرض التصوف الصحيح

مدارس التصوف كانت دائماً تصنع الرجال الذين ينهضون بالأمة، لكن لكثرة الدخلاء والأدعياء في التصوف أصبح الغثُّ فيه أكثر فيه من الثمين، فكيف يمكن للصادقين عرض التصوف الصحيح؟

عرض التصوف الصحيح لا يحتاج في هذا العصر إلى تجمعات، ولا إلى كتب، ولا إلى محاضرات، ولا إلى إذاعات، وإنما يحتاج إلى رجال يتجملون بهذه الأحوال، فقد قال ابن عطاء الله السكندري ﷺ:

(حال رجلٍ في ألف رجلٍ، خيرٌ من كلام ألف رجلٍ في رجلٍ واحد).

ولذلك يقول الحكماء للمقبلين في يزمنا على عدِّ ختمات القرآن التي يقرأون:

((لا تقرأ القرآن فحسب، ولكن كن أنت آية يقرأها الناس جميعاً من القرآن))

يعني جمِّل نفسك بصفة آية من آيات القرآن، عندما يراها الخلق يرون فيك أوصاف القرآن ، فعلى سبيل المثال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ (٦٣الفرقان) هذه الآية تحتاج إلى رجلٍ فيه هذه الأوصاف، وتجلَّت فيه هذه الصفات، فيُعطيه الله ﷻ ما خصَّ به أهلها من خصوصيات وهبات ...

فكل من يراه يشعر بأن هذا الرجل له شيء عند حضرة الله، فينجذب قلبه إليه، وإن لم يحدثه بشفتيه، لكن يحس بأنه ينجذب إليه من غير كلام ولا غيره، فنشر التصوف في هذا الزمان يحتاج إلى رجالٍ أجلاء يعملون بما علموا حتى يُورثّهم الله علم ما لم يكونوا يعلموا، فيجذبون الناس بصدقهم، وإخلاصهم، وإخباتهم، وخشوعهم إلى ربهم، وحضورهم القلبي الدائم مع حضرة حبيبهم.

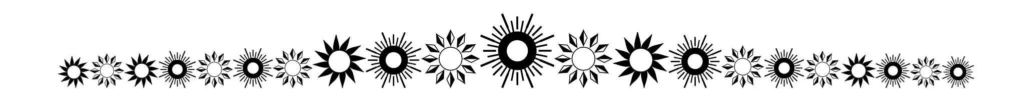
فهؤلاء الأقوام يكونون بمثابة مغناطيس نوراني رباني يجذب حديد القلوب التي تكون كالحديد، فيليِّنها ويُهذِّبها ويُصفيها ويرقيها ويدخلها على حضرة علام الغيوب ﷻ، ولذلك أنت تجد هذا في الكون:

فهناك أُناس يملأون الدنيا محاضرات وعظات وعلى المنابر وفي المساجد ولا يوجد من يمشي معه، لماذا؟

لأنه أصبح كالمغناطيس الذي فقد القوة المغناطيسيه التي فيه، فتضعه في وسط المسامير فلا يمسك أي مسمار.

وهناك رجلٌ آخر عندما ينزل إلى أي مكان يلتف الناس حوله، وأنت نفسك تتعجب كيف أتي إليه هؤلاء الناس؟! ومن الذي أتى بهم؟! ولماذا أتوا؟! ولا تدرك أن الرحمن ﷻ بإسمه الجامع جمَّل هذا الرجل فصار إسمه الجامع، يجمع له الأخيار، وينتقي له الأبرار، فهو كما قلتُ مغناطيسٌ يجذب الأخيار، ويقرب الأبرار، ويُدخلهم نار المجاهدة: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨الحج) ليُصفي نفوسهم، ويُطهر قلوبهم، ثم يُدخلهم على حضرة الله ﷻ.

فنحن في أمِّس الحاجة إلى هؤلاء الرجال وإن شاء الله سيحدث هذا الأمر في هذا الزمان ببركة رسول الله ﷺ.



٢- التصوف ونهضة الأمة

كيف يمكن أن يساهم التصوف في نهضة الأمة وبعث الهمة؟

التصوف يجعل الصادق في اتباعه دائماً عنده همة عالية، لأنه لا يرضى بالدون من المقامات، ولا بالدني من الدرجات، حتى ولو كان في الجنات، لكن همته تدعوه إلى أن يبلغ أعلى الدرجات وأرقى المقامات، ولا يرضى بغير ذلك من الله ﷻ.

سيدي عمر بن الفارض ﷺ عندما كان في النزع الأخير ورأى مكانته في الجنة - وهي مكانةٌ عالية - بكى وقال:

فإن تكُ منزلتي في الحب عندكمُ	ما قد رأيتُ فقد ضيَّعت أيامي
أمنيةٌ ظفرت روحي بها زمناً	واليوم أحسبها أضغاث أحلامِ

أنا أمنيتي ليست هذه ولكن أمنيتي أنت، لا يريد إلا وجه الله: ﴿ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ (٥٢الكهف).

وهؤلاء القوم لعُلو شأنهم وعزائمهم، لا يرضون بالدون من الدنيا، ولا يرضون في الدنيا إلا أن يكونوا أعزَّة، لأن الله ﷻ ألبسم ثوب العزة، فإن العزة كما قال الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(٨المنافقون.....

فلذلك طلبوا من الله أن يُعزهم فلا يمدُّوا يدهم إلى سواه، أو يجعلهم يحتاجون طرفاً إلى عداه، بل إنهم لا

يرجون من الله إلا الغنى الكامل في الدنيا، والسعادة الراقية يوم لقياه جل في علاه.

سيدنا موسى عندما أمره الله أن يبلِّغ رسالات الله، قال: يا رب تتركني إلى خلقك هذا يطعمني يوماً، وهذا لا يطعمني؟ والنبي إذا كُلِّف بالرسالة فوراً يترك السعي في الدنيا ويتفرغ لرسالة الله، فقال الله تعالى: (يا موسى أما ترضى أن نُدخل كل يومٍ رجلاً الجنة من أجلك؟) يعني من يطعمك اليوم طعاماً ندخله الجنة، مع أن هذا الطعام الذي أرسله هو الله أحكم الحاكمين ﷻ.

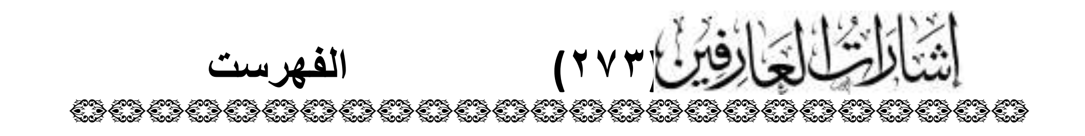
سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندما جاءه النداء في شاذلة في تونس: يا علي إنزل إهدِ الناس إلينا، قال: يا رب تُحوجني إلى عبادك هذا يُعطيني وهذا لا يُعطيني!! فقال: يا علي أنفق وأنا المليُّ، إن شئت من الجيب، وإن شئت من الغيب.

وهكذا أولياء الله الكُمَّل إلى يوم الدين لا يرضون إلا بالعزّةِ، فهؤلاء يطهِّرون المجتمع من الهمم الدنية، والأفكار الدنيوية، والعزائم الطينية، ويجعلون الناس يستعلون، فيُعلي ﷻ شأنهم، ويرفع الله ﷻ قدرهم.

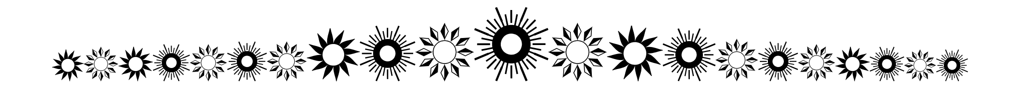
كما حدث مع أصحاب الحبيب ﷺ:

فقد كانوا حُفاةً عُراة وبعضهم كانوا عبيداً، لكنهم عندما سلَّموا أنفسهم لله ورسوله وتربوا على يد النبي التربية الصحيحة، لم تمضي عدة أعوام حتى صاروا كلهم أُمراء، وقادة للجند، مشهودٌ لهم بحُسن القيادة، وعدالة الولاية إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، وهذا وعد الله في كل زمان ومكان:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًا ﴾ (٥٥النور).



وعدٌ من الله أن كل من سيمشي في هذه التربية لا بد أن يُمكِّنه الله في أرض نفسه، ويُمكِّنه الله في أرض القلوب غير المعيبة، وغير المحجوبة عن علام الغيوب، ويُمكِّنه الله ﷻ من نشر الفضائل الإلهية والتعاليم الربانية التي يقول فيها الإمام علي رضي الله عنه: ((عُلوُّ الهمة من الإيمان)) ونحن نحتاج إلى هذا الأمر في زماننا هذا.



٣- الصوفية والشريعة

يؤخذ على الصوفية أنهم يتركون التكاليف الشرعية بحجة أن الله أسقط عنهم التكاليف، ما قول فضيلتكم؟

هذه حجةٌ داحضة لا يقع فيها إلا الأدعياء، الذين لا ينتسبون للصوفية من قريب ولا من بعيد، لأن الصوفية الصادقين أشدُّ الناس تمسكاً بالشريعة الإلهية، فهم أولى الناس بالإتباع لسيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك عندما سمع الإمام الجنيد ﷺ هذه الفرية وقالوا له: إن قوماً يدَّعون إسقاط الأعمال ويقولون: إنهم سقط عنهم التكليف، فقال ﷺ: (إن الذي يفعل الفواحش فيسرق أو يزني خيرٌ من هذا، لأنه لو كان هناك تركٌ للتكليف لكان أولى بذلك رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين وصحابته المباركين المهديين).

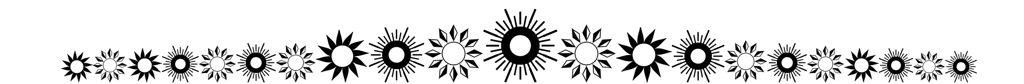
ويقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه: (من قال لك أني قد وصلتُ، وتَرَك الصلاة، فقل له: وصلتَ ولكن إلى سقر) لأن هؤلاء أهل سقر: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (المدثر).

أما قضية إسقاط التكليف كما قالها البعض هي إسقاط المعاناة، وإسقاط التعب والعناء في أداء التكاليف، لأنه يؤديها بتلذذٍ ومحبةٍ وأُنسٍ بالله ﷻ.

فمثلاً بعضنا وهو يؤدي الصلوات يجد فيها مشقة بالغة، ولكن نجد بعض القوم يظلُّ منتصباً بين يدي الله من بعد صلاة العشاء إلى صلاة الفجر يُصلي لله، وعند اقتراب الفجر يقول: لماذا مرَّت هذه الليلة سريعا؟!

أنا لم آخذ حظي بعد من عبادة الله ﷻ!! لماذا؟ لتلذذه واستلذاذه وذوقه لحلاوة هذه الطاعة لله ﷻ.

وهذا إن قاله بعض الصالحين على لسانه، فإنما يقصد بذلك أنه في تلذذه بالعبادة، وذوقه لحلاوة العبادة، فلا يشعر بكلفة، يعني مشقة ولا تعب ولا عناء في هذه العبادة، ولذلك كان منهم الإمام الجنيد، فقد كان يصلي كل ليلة ثلاثمائة ركعة، فما حدودها؟! نحن لو صلينا صلاة التراويح عشرين ركعة ستجد الناس متضررة، ويقولون: لماذا لا تجعلوها ثمانية؟! لكنه كان يصلي ثلاثمائة ركعة وليست كصلاتنا هذه، بل يطيل في القراءة، ويطيل في الركوع، ويطيل في السجود، لماذا؟ تلذذاً وتفكهاً بطاعة الله كأهل الجنة إن شاء الله رب العالمين.



٤- الصوفية والعزلة عند الناس

يؤخذ على الصوفية اعتزال الناس والمجتمعات، والإنغلاق على أنفسهم، ولذا يرى البعض أن هذا أشبه بالرهبانية، فما قول فضيلتكم؟

الناس الذين ينغلقون على أنفسهم ويبتعدون عن الناس، فهؤلاء ليسوا صوفية، فهم إما زُهَّاد أو عُبَّاد، ومنهم من يبحث عن مكان يختلي فيه ويتعبَّد لله ﷻ.

لكن أفضل نوافل للعبد التي تتعلق بخلق الله، والصوفية يعرفون هذا المقام، ويعرفون هذا القدر.

ولذلك الصوفية كانوا قبل الحياة العصرية هم القائمون مقام وزارة الأوقاف، ومقام وزارة الشئون الإجتماعية، ومقام وزارة الصحة، قبل وجود هذه الإدارات.

فكان كل واحد منهم يعيِّن نفسه لله، فهذا مؤذن مسجد كذا، وهؤلاء يتنافسون على نظافة مراحيض المساجد لوجه الله، ولذلك كم خرَّجت هذه الوظيفة من أولياء لله ﷻ، لأنه تطامن على نفسه، وخدع نفسه، وكان ينظف المراحيض، ولم تكن المراحيض بالهيئة التي نراها حالياً، ولكنها كانت بهيئة أُخرى لا تصلح نهائياً، لكنهم كانت هذه وظيفتهم.

ويُروى في هذا المجال أن الشيخ عبد الوهاب الجوهري وهو من بلدة محل مرحوم بجوار طنطا، وكان تاجر ذهب، ذهب ليتبع سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه، وتاجر الذهب يعني رجلٌ مُرفَّه يعيش حياة المترفين، ولكي يدخل في دائرة وأحباب الصالحين لا بد أن يترك هذا الترف ويتخشَّن، فكما قيل:

(اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم).

فقال له الشيخ: أتريد أن تمشي معنا، فقال له: نعم، وكان هناك ساقية تُخرج الماء من البئر ليتوضأ الناس منها، والذي يُشغِّل هذه الساقية ثورٌ يدور بها، فقال له: إن كنت تريد أن تمشي معنا، فعليك بتشغيل هذه الساقية مناوبة مع الثور.

الشيخ يريد أن ينزله من العلياء التي يعيش فيها ويخشوشن، ويختبره إن كان صادقاً أم مُدَّعياً، لأنه لو كان مدعياً فلن يقبل هذا الأمر، وإن كان صادقاً سيقبل هذا الأمر، فمشى على هذا المنوال، وذات مرةٍ حدَّثته نفسه بأنه ترك العز والترف، وجاء ليعمل بهذا!!، وبمجرد أن خطر في باله هذا الكلام وإذا بالشيخ أمامه، وقال له: ماذا تقول في نفسك؟! إذا كنت تريد أن ترجع لما كنت فيه فاذهب ونحن لا نريدك، فقال له: أنا تُبتُ بين يديك عن هذه الخواطر النفسية، وبعد فترة قال له: نريد أن نرقيك، نريد منك أن تغسل المراحيض.

فكان هذا نظام الصالحين، فالكنَّاس الذي كان يكنس بيت سيدنا أحمد البدوي أصبح وليّاً من الأولياء وله طريقة إسمها الطريقة الكُنَّاسية، لماذا؟ لأنه تواضع وكان يكنس مكان المريدين.

والراعي الذي كان يرعى الحيوانات التي كان يأتي بها للأحباب عنده أصبح من الصالحين وله طريقة وهي طريقة الشيخ الراعي، وهي موجودة إلى وقتنا هذا.

فالصوفية يتلاحمون في المجتمع، ويشتغلون في المجتمع، من الذي كان يقوم بالمساجد كلها في العالم الإسلامي قبل وزارة الأوقاف؟ الصالحون، أحدهم يهب نفسه للإمامة أو إثنين أو ثلاثة ينظمون أنفسهم مع بعض، وإثنين ينظمون أنفسهما للآذان، وثلاثة أو أربعة ينظمون أنفسهم للخدمة، ولايريدون من أحدٍ شيئاً لأنهم يعملون ذلك لله ﷻ.، من الذي كان يبحث عن المساعدات الإجتماعية والعطف على الفقراء والمساكين والمرضى وذوي الإحتياجات؟ الصالحين، كانوا يتعرفون على أحوالهم، وإذا استطاعوا أن يُعطوهم مما معهم، وإلا كانوا يذهبون لأهل الخير الذين يتوسمون فيهم الخير ويأخذون منهم المساعدات ويُعطوها لهؤلاء الفقراء والمساكين.

رأينا عندنا في طنطا رجلاً مجذوباً، وكان في الأصل من كبار الأغنياء، وأصابته جذبة إلهية فترك غناه ومشى سائحاً في الله، ورأيناه في عصرنا، وله حالياً ضريح في كفر الزيات في بلدة تابعة لطنطا، ماذا كان يفعل هذا الرجل؟ كان يذهب للتجار حول السيد البدوي ويقول: هات خمسة جنيهات أو إثنين أو ثلاثة جنيهات، فلا يستطيع أحدٌ أن يردَّه.

ذات مرة تتبعه أحدهم، ففوجئ أنه أخذ هذه النقود واشترى طلبات لإمرأة تلد ولمولودها، وأجَّر حنطوراً وذهب به إلى بيت، وطرق الباب، وكان بداخل البيت امرأةٌ تلد ولا تملك شيئاً من الدنيا لا هي ولا زوجها!!.

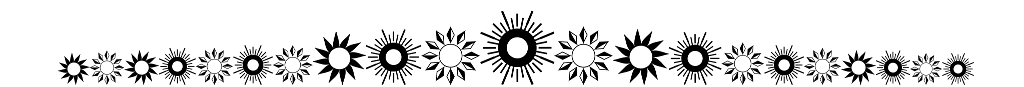
من الذي كان يتحسَّس أحوال هذه الناس ويتجسسها؟ هؤلاء الصالحين، من الممكن أن يكون في وزارة الشئون الإجتماعية حالياً بعض المجاملات، وأحياناً محاباة، وأحياناً تدليس، لكن هؤلاء ليس عندهم هذا، ولكن عندهم أحاسيس تأتي من عند الله، ويضعون الشيء في موضعه تقرباً من الله، ولا يرجون من الخلق مدحاً ولا ثناءاً: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان).

فكان من يقوم بالأعمال الخيرية كلها للأمة الإسلامية هم الصوفية، وهم من يبحثون المنافع التي يحتاجها الناس، فإذا إحتاج الناس إلى سبيل ماء، فيعملون لهم سبيل ماء، وإذا احتاج الناس مكاناً للعلاج، يُهيئون لهم مكاناً للعلاج.

ولذلك عندما ننظر للمساجد التي عندنا في أغلب البلاد، من الذي بناها؟ هل الدولة بنت مساجد؟ لا، لكن الذي بناها أهل الخير.

فأهل الخير هم القائمون برعاية أحوال المحتاجين والفقراء والمساكين وذوي الإحتياجات الخاصة للأمة المحمدية من عند أنفسهم، ويرون أن ذلك تكليفٌ في أعماقهم من الله ومن رسول الله ﷺ، ولا يبغون من وراء ذلك جزاءاً ولا شكوراً.

سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه وأرضاه، ما العمل الرئيسي في طريقته؟ خدمة الفقراء والمساكين، ولذلك كنت تجد الجماعة الرفاعية في المساجد الكبرى كل واحد منهم يحمل قربة على ظهره ويدور على المصلين ويسقيهم لوجه الله، فيأتي الواحد منهم بثلج، ويأتي بماء زهري لكي يكون الماء معطَّراً ومثلَّجاً، ولماذا هذا كله؟ لله عز وجل، لأن طريقتهم بُنيت على الخدمة، ولأن سيدي أحمد الرفاعي قال: **(طرقتُ سبعين باباً فلم أدخل إلا من باب الذل والتواضع لله عز وجل)** فهذه أحوال الصوفية الصادقين، وليس لنا شأنٌ بالأدعياء والمنتحلين.



٥- التصوف والفلسفة

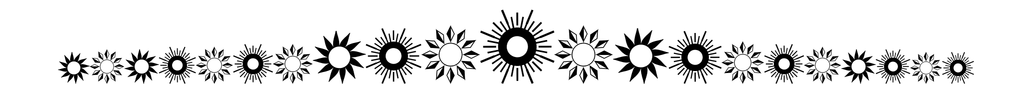
يؤخذ على الصوفية اختلاط التصوف بالفلسفة اليونانية، وظهرت أفكار الحلول والإتحاد ووحدة الوجود على أن الموجود الحق هو الله، وما عداه فإنها صورٌ زائفة وأوهامٌ وخيالات، ما قول فضيلتكم؟

الصوفية نبعها من الحضرة المحمدية، والشريعة الإلهية التي جاء بها المصطفى خيرُ البرية ﷺ،، ومن ينسب التصوف إلى الحكمة الهندية، أو الفارسية، أو الفلسفة اليونانية، فهؤلاء قومٌ يتجنوا على التصوف ليقولوا أنه غريبٌ عن الإسلام، لنبعد عنه، وللرد على هؤلاء بردود فاحمة نحتاج إلى وقت آخر، وهذه الردود موجودة في كتبنا.

فهؤلاء الذين تجنوا على الصوفية نسبوا إليهم أنهم أخذوا من اليوجا الهندية ما يُسمَّى بالحلول والإتحاد ووحدة الوجود، مع أن هذه الأشياء أنكرها كُمَّل الصوفية بالكلية، ونحن وضعنا فصلاً كاملاً لها في كتاب (المنهج الصوفي والحياة العصرية) بيَنَّا فيه كيف أن ابن عربي نفسه تكلم عن هذه الآراء، ومن جملة كلامه: (من قال بالحلول فحاله معلول) وكلام كثير ذكرناه، واستشهدنا به على هؤلاء القوم.

فما معنى الحلول؟ الهنود يعتقدون أنه إذا مات منهم أحدٌ فإن روحه تحلُّ في إنسان آخر، والآخر عندما يموت يحلُّ في واحد آخر، ويسمون ذلك عقيدة تناسخ الأرواح أو الحلول، وهل يصِّح هذا الكلام؟!.

وهم أخذوها من النصارى الذين حرفُّوا أفكارهم، وقالوا: أن الله حلَّ في المسيح، أو حلَّ في السيدة مريم، فحلَّ في الأب والإبن، ولذلك يقولون بسم الأب والإبن وروح القدس إلهاً واحداً، يعني الثلاثة إلهٌ واحد، فهل هذا الكلام عندنا؟! لا، حتى جُهَّال الصوفية لا يقولون بذلك، فهذه أشياء تجنَّى بها أعداء الصوفية،



والمتلمسين الأخطاء، والذين يحاولوا أن ينكروا عليهم ويشنعوا عليهم.

لكن الصوفية باختصارٍ شديد هي معرفة للشريعة الإسلامية، ثم العملُ بها بإخلاص طلباً لرضاء الذات العلية.

٦- مصادر التلقي عند الصوفية

يُؤخذ على الصوفية أن مصادر التلقي عندهم تعتمد على الكشف، ويدخل تحت الكشف تلقيهم من رسول الله ﷺ يقظةً ومناماً، أو من الخضر، أو الفراسة أو الإلهام، فما قول فضيلتكم؟

القواعد الإلهية القرآنية لتلقي العلوم ذكرها الحي القيوم في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴾ (٣٦الإسراء) فالإنسان يتلقى من السماع، ومن العلماء العاملين، أو من النظر في كتب الصادقين، أو من النظر في آيات الله في الكون.، أو يُلهمه الله ﷻ في قلبه علماً إلهياً لدنياً، هذا العلم جعل له السادة الصالحون شروطاً، وأول شرط من شروط هذا العلم أن لا يخالف الشريعة، لأنه ليس شيء والشريعة شيء آخر، فهو ليس مصدر والشريعة مصدر آخر، فالشريعة كاللبن، عندما نُخُضَّه يخرج منه الزبد.

فالشريعة إذا خضَّها الإنسان بالعمل خالصاً لله، يقطف ثمارها وهي علوم الحقيقة، قال ﷺ: { **مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** }[٨٦]

٨٦ كشف الخفا للعجلوني وبحر الفوائد للكلاباذي

نفرض أنه جاءه شيئاً من الإلهام يخالف الشرع، ولنفرض أنه رجلاً من أهل الكشف، وكشفه خالف الشرع، فالأساس الذي اتفق عليه الصالحين، وقوانين الصادقين هو الذي يقول فيه سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: (**إذا خالف كشفك شرع الله فاضرب بالكشف عرض الحائط وقل: قد ضمن لي العصمة في الشريعة ولم يضمنها لي في الكشف**).

فأهم شيء هو الشريعة، وحقيقة الكشف كثير من الناس لا يفقهها جيداً، فالناس تفهم أن الكشف هو الإطلاع في البيوت، ويرى ما خفي، ويعلم الكلام الذي دار مع فلان وفلان بالأمس، ويعرف استباق السمع كالشياطين، ويعرف متى ينزل المطر وأين ينزل.

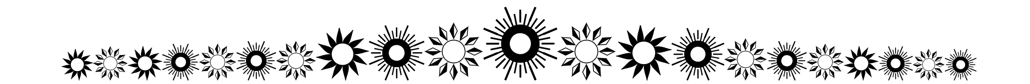
فهذا كله قد يكون كشفاً شيطانياً، لأن الشيطان يستطيع أن يفعل ذلك كله ويوسوس للإنسان في أُذنه بذلك، وكثير من الذين يسخرون الجن يقول له: إن فلان قادمٌ لك، ويقول للخادم: أول ما يصل فلان الفلاني أدخله على الفور، فالآخر يقول: وكيف عرف أنني قادم؟ من الذي بلَّغه؟ شيطانه الذي يحاويه، والذي يوسوس في أُذنه.

أو يقول له: يا فلان نريد منك كذا من المال، فيقول له: ليس معي شيء، فيقول له: معك مال تخبئه في مكان كذا، فيقول: إن الشيخ يطلع عليَّ ويعرف عني كل شيء!!، وهل هناك شيخ ينشغل بهذا الكلام؟! هذا عمل إبليس .... إذا كان شيخاً حقيقياً فسيكون مشغولاً بالله، ولا ينشغل طرفة عينٍ بسواه جل في علاه.

إذاً فما الكشف؟ هو كشف المعاني في الآيات القرآنية، وكشف المعاني في الأحاديث النبوية التي تُلائم المريدين الصادقين والسالكين المحققين في هذا العصر وفي هذا الزمان وفي هذا الأوان، وكشف المعاني هو الكشف الحقيقي الذي يبحث عنه الصالحون، والذي يبحث عنه الصادقون من عباد الله ﷻ،

وحتى هذا الكشف إذا خالف الشريعة فيعرف أن هذا وارد من النفس، أو خاطر من الشيطان، فيضرب به عرض الحائط، ويتمسَّك بسنة النبي العدنان وشريعة حضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

والكشف ليس معتمداً عندنا في شيء، وإنما هو زيادة فوائد تأتي عوائد من الله نتيجة الإخلاص ونقاء السريرة، وشرطه أن يكون موافقاً لشريعة الله، لا يتخلى عنها طرفة عينٍ ولا أقل.



٧-جهاد النفس عند الصوفية

يؤخذ على الصوفية التشديد على النفس مثل الإمتناع عن الطعام والكلام والمنام، ويرى البعض أن هذا غُلوٌّ في الدين، لأن رسول الله ﷺ قال: { أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }[٨٧] فما قول فضيلتكم؟

☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼

الصوفية لا يمتنعون عن شيء من مُتع الحياة الدنيا، ولكن يعملون بقول الله: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١الأعراف) كيف نفعل ذلك؟ قال ﷺ في ذلك: { **حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ** }[٨٨]

هل من يمشي على هذا المنهاج يكون قد حاد عن الشريعة المطهرة؟ أم أنهم أقرب الناس إتباعاً للحبيب ﷺ؟ هم يمشون على هذا المنهاج، وقال ﷺ في حديث آخر: { **كُلوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلا مَخِيلَةٍ** }[٨٩]

---

٨٧ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه
٨٨ سنن النسائي وابن ماجة عن المقدام بن معدي ﷺ
٨٩ الحاكم في المستدرك ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو ﷺ

أن لا يُسرف الإنسان في الأكل، وأن لا يُسرف الإنسان في الطعام، وأن لا يُسرف الإنسان في المنام، يعني ما دام الإنسان قد استيقظ فيهُبُّ لطاعة الله وعبادة الله، وحتى إن لم يستطع أن يقوم فيذكر الله وهو نائم، فينشغل بذكر الله، لكن لا يوجد أحدٌ من الصوفية يتقلب يميناً وشمالاً ولا يأتيه النوم، ويحتاج لشيء يأتي

له بالنوم، لكن نومهم غلبة، فإذا غلبه النوم نام، وإذا أخذ حظاً من النوم قام لطاعة الله ﷻ كالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فالصوفية لا يحرمون شيئاً، وإنما يتبعون الحبيب ﷺ في منهجه الذي كان عليه في حياته، والذي أمرنا الله ﷻ أن نقتدي به في قوله: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (٢١الأحزاب).

فلا نجد في الصوفية من يواصل الصيام، لأن النبي نهى عن المواصلة في الصيام، فعندما أرادوا أن يواصلوا قال لهم: { **إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَتَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ** } [٩٠]

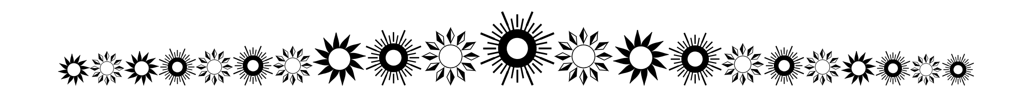
٩٠ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

والصوفية يحفظون ما فعله الثلاث شباب عندما ذهبوا لحضرة النبي، وقالوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ:

{ أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }[٩١]

حضرة النبي ﷺ نهاهم عن ذلك، فاستوعب الصالحون والمتقون والصادقون هذا الدرس إلى يوم الدين، فهم يصلون وينامون، ويصومون ويفطرون، ويأكلون ولا يسرفون، ويلبسون بغير خيلاء ولا كبرياء، وإنما هم

دائماً وأبداً بحضرة النبي ﷺ متشبهون، وللصحابة الكرام الأجلاء متبعون.



٩١ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

٨- علامات معرفة الله تعالى

ما معني قول ذو النون المصري: (آية معرفة الله ثلاث، أولها: لا يُطفئ نور معرفة الله نور ورعه، وثانيها: لا يتكلم بباطنٍ في علمٍ ينقضه ظاهر الكتاب والسنة، وثالثها: لا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله)؟

هذا الكلام كلامٌ عظيمٌ جداً، فهي مقاييس وضعها الشيخ ذو النون المصري لمن ادَّعى أنه وصل واتصَّل وظهرت له الحقائق الإلهية.

الورع

الأمر الأول: .... (لا يُطفئ نور معرفة الله نور ورعه)

ما دام أصبح من أهل المعرفة والبصيرة فينبغي عليه أن يزيد في الورع، لأن الورع الإحتياط من الوقوع في محارم الله ﷻ.

بمعني أنه إذا ظهرت عليه المعرفة، ولاح لمن حوله أنوار المعرفة، قد يذهب إليه الناس وبعضهم يجود بماله، فهو لا بد أن يكون عنده ورع، فلا يقبل مما قُدِّم له إلا الذي يكشف بنور بصيرته ويتحقق أنه حلال.

فلو جاءه أحدهم بمالٍ فيه شُبهة فيردُّه، أو مال جاء عن طريق سرقة فيردُّه، أو مال عن طريق غزو فيرده ... وهذا الذي نراه في بعض الصالحين الصادقين، فليس كل شيء يأخذه، لكن يأخذ ما يتأكد بنور بصيرته أنه من طريقٍ حلال، فلا يُطفئ نور ورعه نور معرفته .... ويأمنه الناس على بناتهم ونسائهم، فلا

يسمح لنفسه بخلوة شرعية مع أي منهن، وإن كان يعلم علم اليقين أنه أصبح محفوظاً بحفظ رب العالمين ﷻ، لأنه لو تأكد من حفظ نفسه فهل تأكد من حفظ غيره التي تجالسه؟!! فعليه هنا إتباع الشرع الشريف، فيقول لها: أين محرمك؟ فإن أتت به فأهلاً وسهلاً، أو تجلس معه في مكان عام مفتوح، فهنا لا يطفئ نور معرفته نور ورعه الذي يحجزه عن الشبهات، فينتبه لهذه الشبهات جيداً.

الرشد

<u>الأمر الثاني</u>: (لا يتكلم بباطنٍ في علمٍ ينقضه ظاهر الكتاب والسنة).

إذا فتح الله عليه علماً من علوم الباطن، وشرط هذا العلم الإلهامي أن لا يخالف شريعة الله طرفة عينٍ ولا أقل، فما جاء عن طريق الشريعة فهذا هو الحق والحقيقة.

فإذا تكلم بعلم ظاهره باطن، لكنه يناقض شرع الله ﷻ، فيُردُّ عليه، لأنه يفعل فتناً لا ينبغي أن تحدث في الأمة المحمدية، فقد قيل: **(من أظهر ما لا يطاق أوقع غيره في النفاق)** وقال الإمام عليٌّ ﷺ وكرَّم الله وجهه: **(حدثوا الناس بما يعرفون، أتُريدون أن يُكذَّب الله ورسوله؟!)**.

ما يعرفه الناس تكلم فيه، ولكن ما لا يعرفه الناس فلا يجب الكلام فيه، على سبيل المثال: نظرتُ في الفيس بوك في بداية العشرالأواخر من رمضان، فوجدتُ رجلاً — نحسبه على خير – كتب لنفسه ولتلاميذه ولغيره أن ليلة القدر هذه السنة ليلة الثالث والعشرين، فلا يبحث عنها أحدٌ، وهل يصِّح هذا الكلام؟! فأنت بذلك تمنع الناس من العمل بعد ذلك، لأنهم سيحيون ليلة الثالث والعشرين ثم ينامون بعدها.

إذا كان الحبيب نفسه ﷺ لم يُخبر بها الناس ليحيوا الليالي العشر، فأنت حتى لو عرفت حقيقة أنها ليلة ثلاث وعشرين فلا ينبغي أن تقول ذلك، حتى لا تُحبط الناس في بقية الأيام العشر، لأنها حكمة رسول

الله ﷺ.

فقد خرج ﷺ ليقول للناس عليها، لكن إثنان تحدثا بصوتٍ عال، فقال ﷺ:

{ إِنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ } [٩٢]

لكنه من البداية لم يكن يريد أن يقول للناس عن موعدها، حتى لا يتكاسل الناس عن إحياء الليالي العشر الأخيرة من رمضان.

لا يقول علماً باطنياً يناقض الظاهر الذي جاء به الحبيب، إن كان في كتاب الله، أو في سنته صلوات ربي وتسليماته عليه.

أدب أهل المكاشفات

الأمر الثالث: ..... (لا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله)

نفرض أن إنسان رزقه الله بعين الكشف، فهل يفضح الناس؟! ويقول لأحدهم أمام الناس: يا فلان: لماذا فعلت الجريمة الفلانية بالأمس؟ لماذا فعلت كذا بالأمس؟ لكن عليه أن يعمل بقول رسول الله ﷺ:

{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } [٩٣]

□

٩٢ صحيح البخاري وابن حبان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه
٩٣ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

صحيح أحياناً بعض المجاذيب يفعلوا هذا الكلام لحكمة إلهية، لكن هؤلاء مجاذيب لاينبغي أن نقتدي بهم.

لكنني أتكلم عن العلماء العاملين الوارثين لسيد الأولين والآخرين ﷺ، حتى لو أحب أن ينصح واحداً فيكون ذلك فيما بينه وبينه، لأن النصيحة على الملأ فضيحة.

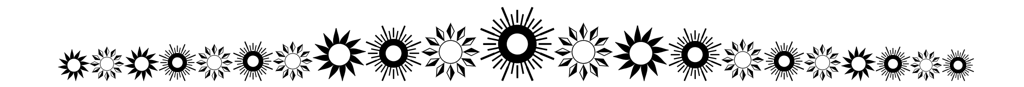
لكن فعل شخص فيما بينه وبين الله شيئاً، وأنا عرفته فلا ينبغي أن أذكره إلا إذا ذكره لي، وهذا منهج الصالحين الوارثين لرسول الله ﷺ.

كثير من الأحباب يقول: أن الشكوى لصاحب البصيرة عيب فهو يعرف، نعم يعرف ولكن الشرع يقول لي: أن لا أقول إلا إذا أنت قلتَ، لأننا متبعين للشريعة المحمدية، ومأمورين بالستر على جميع خلق الله عز وجل.

أنت تريد العلاج فأنت الذي تكشف، عندك جزءٌ في جسمك تشكو منه ومغطى، فلمن تكشفه؟ للطبيب ليكتب لك العلاج. ,,,,, لكن فلان عمل كذا بالأمس، وفلان عمل كذا أول أمس، فليس هذا منهج الصالحين، فهذا شغل الشياطين، ولذلك من يفعل ذلك نقول عنه أنه مخاوي الجن، ودائماً يذكر الأشياء الماضية، لأن الجن يوشوشوا له في أذنيه ليقال عنه أنه رجلٌ من الصالحين.

فالصالح حتى لو رأى رجلاً على ذنبٍ وشاهده بعينه بمفرده يتغافل ويتصنع أنه لا يراه، لأنه لكي يقيم عليه الحد يحتاج إلى شهود معه، لكنه رآه بمفرده، فالأحسن أن يتغافلن .... فحتى لو رزقه الله ﷻ وفتح له نور البصيرة، وكشف له الستائر، فهل هو متفرغ ليطلع على عورات الخلق، أم يتمتع بجمال الحق؟! فهذا شيء غريب، فمن يتمتع بجمال الله، وبجمال وبهاء حبيب الله ومصطفاه، هل عنده وقت ليرى ما في البيوت وماذا يفعلون؟!.....فسيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام سخَّر له الله كل شيء، لكنه كان مشغولاً بالله بالكلية، وعندما جاء عرش بلقيس – وكان يستطيع أن يأتي به في طرفة عين – لكنه ليس عنده وقت لهذا، لشغله بالله، فقال لمن حوله: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ (٣٨النمل) هو مشغولٌ بحضرة الله جل في علاه، والتمتع بنوره وجماله وبهاه، لذلك كلَّف أحد رجاله ليأتي به.

ولذلك الكرامات تظهر لصغار الصالحين والعارفين، لأنهم لا تزال نفوسهم حية وتحب الظهور، لكن الكُمَّل من عبيدٌ لله ليسوا مشغولين بهذه الأشياء كلها، وليسوا مشغولين إلا بوجه الله ﷻ.



٩- الصوفية والمجتمع

كيف نجعل من التصوف مذهباً إجتماعياً؟

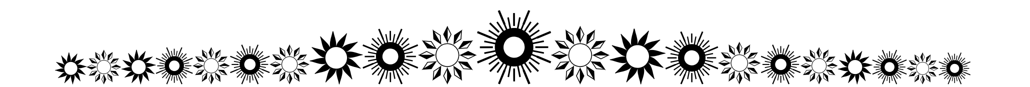
هذا السؤال أجبنا عليه من قبل، وقلنا أن الصوفية هم المسئولون، أو من يحملوا أنفسهم المسئولية للفقراء والمساكين والمنقطعين والعجزة من الأمة المحمدية، ويرون أن هذا تكليف من الله ورسوله لهم، ولا أحدٌ يكلفهم من أهل الدنيا، لكنهم يرون أن هذا تكليفٌ من الله ﷻ ورسوله، ولا يبغون من وراء ذلك إلا رضاء الله، ومودة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

ما الذي جعل الصوفية يقطعون القيافي والصحاري الإفريقية الشاسعة ويذهبون للسنغال ونيجيريا وغانا وتنزانيا لكي ينشروا الإسلام؟ هل كان هناك واحدٌ منهم يبحث عن إعارة؟ أو عن عقد؟ وكم يأخذ فيه عندما ذهب إلى هذه البلاد؟ ولماذا ذهب إلى هناك؟ ذهبوا لوجه الله ﷻ، ولذلك هم من أنشأوا الإسلام في هذه الأماكن، لأنهم متطوعين حسبةً لوجه الله ﷻ.

وأيضاً هم من حمل الأمانة بالنسبة للفقراء والمساكين، ولولاهم في هذا الزمان لعجزت الدولة، لأن الدولة مواردها محدودة، وميزانيتها معدودة، لكن القائم بالجانب الأكبر هؤلاء القوم: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩الحشر).

الجانب الإجتماعي الذي يقوم به الأحباب في الجمعيات التي عملناها في البلاد، والتي تتجلى بالمساعدات والمعونات وأنواع الخيرات التي لا عد لها ولا حد لها، وكلها ابتغاء وجه الله ﷻ .... من منا سيتقدم

للإنتخابات لأنه فعل ذلك؟ هل هناك من يعمل ذلك لأخذ الأصوات في الإنتخابات؟ لا أحد نهائياً، ولماذا تعملوا هذا الخير؟ لله، فلا أحدٌ منا سيُرشِّح في الإنتخابات ولا المحليات ولكن سيترشَّح عند رفيع الدرجات ﷻ، وعند سيد السادات ﷺ ... فالعمل الإجتماعي هو أكبر النوافل وأعظم القربات التي يتقرب بها الصوفية في كل زمان ومكان.



١٠- الصوفية في حجر الحق

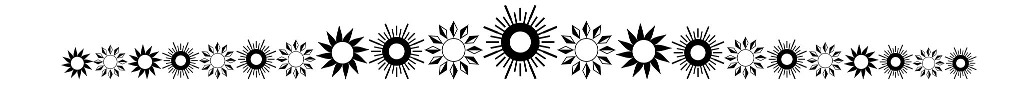
ما معنى قول الشيخ البسطامي: (**الصوفية أطفالٌ في حجر الحق**)؟

الطفل الصغير في حجر أمه ليس له يدٌ تدفع، وليس له سنٌ تقطع، وليس له إرادة، وليس له سعيٌ، وكل شيء متوكل فيه على أمه، وكذلك أهل الصوفية الحقيقيون يصلون إلى مقام يُحسنون فيه التوكل على رب العالمين، فلا يدفع الإنسان منهم عن نفسه، ويدخل في قول الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج) أو في القراءة الأُخرى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لأنه لا يدافع عن نفسه، ولا يبحث عن شئون رزقه لكمال ثقته في ربه ﷻ، فيسعى سعياً حسيساً، فإذا جاءه القليل بارك الله ﷻ في القليل وجعله أكثر من الكثير حتى يتعجَّب مَنْ حوله من حياته.

سيدنا إبراهيم وهو يحفر البيت وجد حجراً مكتوبٌ عليه: (**أنا الله رب البيت أرزق الضعيف من القوي حتى يتعجَّب القوي**) هذا الرجل كيف يعيش؟! فأنا دخلي في الشهر كذا وكذا ولا يكفيني، وهذا كيف يعيش؟! نسي أن البركة التي تنزل من الله ﷻ للناس الذين يحسنون التوكل على الله، وعملوا بقول الله جل في علاه: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق)

وحسبه يعني كافيه، يعني لا يهتم إلا بأمر الله الذي طلبه منه في كتاب الله، أو الذي أمره به حبيب الله ومصطفاه، والله يتولى كل أموره وشئونه، سر قوله: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦الأعراف).

لا يدبر لنفسه أمراً، بل يعرض أموره كلها على الله، ومن أحسن تدبيراً له من حضرة الله جل في علاه؟!.فهؤلاء القوم وضعوا بالكلية كل حولهم وطولهم واعتمدوا في كل حركاتهم وسكناتهم على ربهم ﷻ، ولهم أُسوةٌ في ذلك بنبينا ﷺ وصحبه الكرام والصالحين من بعدهم إلى يومنا هذا.



١١- الموالد

ما رأي فضيلتكم في الموالد؟ وما الحكمة من عمل مولد لوَلِي مع ما يحدث من اختلاط في الموالد وبدع ومنكرات، فكيف يكون الاحتفال الشرعي بمولد الولي؟

مولد وذكرى الولي أن أذكر الصالحين، وأحوال الصالحين السابقين والمعاصرين، ونوضح لأنفسنا وللحاضرين كيف وصل هؤلاء إلى فتح الله وإلى رضوان الله ﷻ، وهذه هي الغاية الأساسية من الموالد.

أين تكون؟ في بيت الله، بشرط أن لا يوجد فيها شيء يغضب الله، ولا مانع من وجود النساء بشرط أن يكون هناك مكان مخصص لهم، فلا يحدث اختلاط بين الرجال والنساء، فالكل يسمع، لأنهن مطالبين كما نحن مطالبين، من أول ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ إلى ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (٣٥الأحزاب) فلا يجوز لنا أن نتركهم في أي مقام من هذه المقامات، لأن الله فرض لهم كل هذه المقامات، فمن حقهم أن يحضروا لكن في مكان خاص بهم.

لا يدار في بيت من بيوت الله موسيقى، لأنه مكان له حرمة ووقار، لكن يجوز فيه الإنشاد الذي ورد عن الصحابة الأمجاد عندما كانوا ينشدون لرسول الله، لكن لا تكون معه أدوات موسيقية لكي لا نرتكب حرمة في بيت الله، لكن لو أردت أدوات موسيقية فتكون خارج المسجد.

فإذا ذكرنا الله في المسجد فلا بد أن يكون ذكرًا شرعيًا، عبارة عن ركوع وقيام من ركوع، فلا يصل إلى ما يشبه الرقص.

ومن الممكن أن تكون هذه المجالس تلاوة قرآن، أو شرح ما تيسر من كتاب الرحمن، أو صلاة على رسول الله، أو ذكر لله، أو نصائح ووصايا مع بعضنا في الله ولله، أو حل مشاكل بيننا لكي يظل التواد والتراحم بيننا في الله، فهذه هي أساس موالد الصالحين.

أما الذي استجد في هذا الزمان فهو عمل تجاري، فالتجار وأصحاب الألعاب كالمراجيح وغيرها عرفوا أنه يوجد ميلاد لأحد من الصالحين في مكان ما، فيذهبون مسرعين لكي يأخذوا المكاسب الدنيوية، فما دخل المولد بهذه المواقف؟! وصاحب الليلة ما دخله بهذا الشأن؟! هذه تحتاج إلى الجهات الأمنية والمدنية فتجعل لهم مكانًا خاص بعيداً عن ساحة المولد.

والبائعين عندهم بضاعة يريدون عرضها لكي يكسبوا فيها، والتجارة حلال، فلا شيء فيها، وهو لا يفرض على أحد أن يشتري.

فما المحرم في هذا الأمر؟ لو كان هناك ملاهي يدار فيها ما يُغضب الله، وينافي شرع الله، وهذه التي يجب أن يقف الكل أمامها، وينهى عن حدوثها.

لكن التجارة، كأن يبيع طعام، أو يبيع شاي، أو يبيع حمص، أو يبيع حلويات، فما دخل هذا بالمولد؟!
هو ذاهب لكي يتكسب وينتفع، والشرع لا يحرمه ولا يجرمه ما دام هو يبيع بضاعة حلال، ويرجو الرزق الحلال.

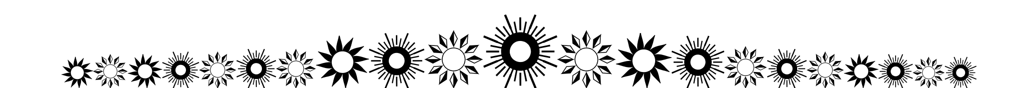
اختلط الأمر على بعض الناس لذين يعترضون على هذه الأمور، وجعلوا الموالد عبارة عن ملاهي وبضاعة وتجارة، ونسوا الأساس الذي تكلمنا عنه والذي نحتفل به.

لكن الحمد الله أنا أرى في السنوات الأخيرة هناك صحوة عظيمة، فكثير من موالد الصالحين تحدث بالصورة التي تكلمنا عنها، فمثلًا الإحتفال بمولد الإمام الدكتور عبد الحليم محمود في بلبيس في شهر يونيو يحدث بهذه الكيفية، ومولد الشيخ محمد ذكي إبراهيم في الدراسة بالقاهرة يحدث بنفس الكيفية، ومولد الشيخ عبد الفتاح القاضي في شبلنجة ببنها يحدث بهذه الكيفية، وموالد الصعيد العظمى مثل الشيخ أحمد رضوان، والشيخ علي النوبي، والسادة الأدارسة وغيرهم كلها بنفس الكيفية.

فأصبحت الأمور – والحمد لله – ترجع إلى مسارها وصوابها وهي الأصل الذي من أجلها فعلت، لجمع الناس على طاعة الله، وتعريفهم بأحوال الصالحين والصادقين من عباد الله، ومحاولة الأخذ بأيديهم لتقريبهم إلى الله ﷻ.

كانت الموالد في الزمن الفاضل – وسيرجع إن شاء الله هي الموسم الأكبر لتوبة البطَّالين والبلطجية والمغتصبين وغيرهم، فكان يؤنبه ضميره فيقول: أنا أريد أن أتوب، فيقولون له: اذهب إلى المولد الفلاني وبه الشيخ فلان والشيخ فلان فتب على أيديهم، فكانت أكبر ثمرة تخرج في الموالد التوبة على العصاة والمذنبيين والبلطجية وغيرهم في هذه الموالد، وينتظم بعد ذلك في طاعة الله وذكر الله على الدوام، ألا تكفي هذه الفائدة؟!.

ففوائد الموالد الشرعية التي نتحدث عنها لا نستطيع عدها ولا حصرها، أما الأمور الأخرى فهي تحتاج إلى تعاون من جميع الجهات، الطرق الصوفية مع وزارة الأوقاف مع الجهات الأمنية ومع مجلس المدينة لإبعاد المناهي التي فيها ما يغضب الله، وتنسيق الأسواق التجارية وجعلها تجارة رائجة حلال ترضي الله جل في علاه.



١٢- الشافعي والصوفية

ورد عن الإمام الشافعي ﷺ وأرضاه أنه قال: **(صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل)** فيحتج بعض منكري الصوفية بهذه العبارة، بأن الإمام الشافعي لم يجد إلا هاتين الكلمتين في التصوف، فما قول فضيلتكم؟

☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼

نحن لا نريد أن ندخل في الجدال، فأهل الجدال يحاول أحدهم أن يُحَرِّف ولو كلمة واحدة لكي يؤيد حجته، فالكلمة التي وردت عن الإمام الشافعي في الروايات الصحيحة في الكتب المعتمدة ليست هكذا، قال: **(صحبت الصوفية سنتين فتعلمت منهم كلمتين)** هم حرفوها إلى: (فما تعلمت منهم إلا كلمتين) أي لم يستطع أن يتعلم شيء آخر.

كلمة (ما) غيرت المعنى، فالذي وضعها يريد أن يؤيد رأيه معترضًا على هؤلاء القوم وهم الصوفية.

ومن هم الصوفية؟ هم المسلمون،

فكل مسلم لا بد أن يكون صوفي كيف؟ أنا لي عمل بظاهر الجسم في أي عبادة لله، كالصلاة، ركوع سجود، تلاوة، تسبيح، تحميد ... فكل هذا بالظاهر، ويوجد عمل باطن لا تصح الصلاة إلا به، خشوع، حضور، خشية، خوف من الله ... أليس هذا أساس قبول الصلاة؟ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون) وهذا المعنى الباطني هو نتيجة التصوف، ونتيجة الصفاء، والمعنى الظاهر شريعة.

فكل مسلم ظاهره شرع، وباطنه صفاء وحق وحقيقة، وكل مسلم بهذه الكيفية، فلماذا نعترض على بعضنا؟! فهناك من يتغلب عليه عمل الظاهر فيكون كل همه، لكن لا يصلح بدون الباطن، وهناك من يتغلب عليه عمل الباطن فيكون كل همه خشية الله، ومراقبة الله، لكن لا يتم صلاحه إلا بالعمل الظاهر، لكي يكون قائماً بشرع الله، فلا بد من الإثنين مع بعض، فالإمام الشافعي قال:

(صحبت الصوفية سنتين فتعلمت منهم كلمتين: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل)

ومعنى: **(الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك)** أي اجعل الوقت كله في طاعة من يقول للشيء كن فيكون، ولهذا فإننا نقول دائمًا للأحباب: لا بد أن يكون وقتك دائمًا في شيء من إثنين إما في عمل نافع لك ولأهلك في دنياك، وإما في عمل رافع لك عند الله في أخراك، ولا يوجد طريق آخر غير هذا، فطريق اللهو واللعب ليس طريقنا.

فوقتك إما في عمل لك ولأولادك نافع لهم في الدنيا، لكي لا تمد يدك إلى الناس، وتغنيهم عن سؤال اللئيم، وإما عمل رافع لك، إن كان شكر، تلاوة قرآن، صلاة، تواد، تراحم، صلة أرحام، وغيرها من الأعمال التي قررها الحبيب العدنان ﷺ، فهذا هو كلام الإمام الشافعي.

الأمر الهام الثاني قال: **(ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل)** فلو عمل الإنسان بهذه الحكمة، واستقام عليها فورًا يكون من الصالحين، أي لا بد أن تأخذ بالك من نفسك، وأهم شيء تبحث عنه نفسك، وهذا الذي قاله النبي ﷺ:

{ أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ } [٩٤]

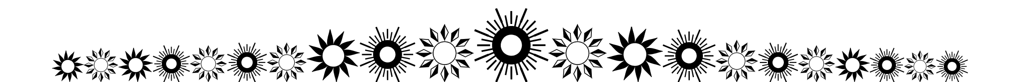
فهي التي توسوس، وهي التي تأتي لك بالهواجس والوساوس، فماذا أفعل؟ تعرضها على شرع الله فلا تتبعها وتسير على هواك، لكن سر على ما يريد نبيك ومولاك ﷻ ... فهذه النفس التي تحتاج للجهاد، ولذلك عندما كان حضرة النبي راجع من غزو الروم في تبوك قال:

---

٩٤ الزهد الكبير للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، وَقَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الأَكْبَرِ، قَالُوا : وَمَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ } [٩٥]

فهذا هو الجهاد الأكبر الذي يحتاجه الإنسان، فالإمام الشافعي كان حكيمًا، ولذلك كان شعره كله حكمة، فلخَّص الذي رآه كله في كلمتين حكيمتين جامعتين مانعتين، لو سرنا على هداهم سنصل إلى المنى إن شاء الله.، لكن العبارة التي ذُكرت حُوِّرت لتلائم غرض في نفس كاتبها هداه الله جل في علاه.



٩٥ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والزهد الكبير للبيهقي عن جابر رضي الله عنه

١٣- الحرب من الله على أعداء أوليائه

يقول الله جل في علاه في حديثه القدسي: { **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ** } [٩٦] فكيف يحارب الله أعداء أوليائه؟

هذا أمر واضح في كتاب الله ﷻ، أولًا: المعاداة ليست معناها الخلاف ولا الاختلاف، لكن معناها أنه يعلن الحرب على هذا الولي، ومن هو الولي؟ كل مسلم من المسلمين ولي لله ﷻ: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ** ﴾ (٥٥المائدة) كل مسلم ولي لله، ونقصد بذلك الولاية العامة وليست الولاية الخاصة.

فكل مسلم أو مؤمن يعلن عليه غيره الحرب، أي يكيد له، أو يدبر له الشرور، أو يصنع له محاضر كيدية، أو أن يحرض الناس عليه ويشنع عليه بما ليس فيه، قال ﷺ:

{ مَنْ أَشَاعَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ كَلِمَةَ بَاطِلٍ لِيُشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذِيبَهُ بِهَا مِنَ النَّارِ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِهَا } [٩٧]

---
[٩٦] صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عن
[٩٧] الجامع في الحديث لابن وهب عن أبي الدرداء رضي الله عنه

لأنه كيف يشنع على أخيه بما ليس فيه؟!

حتى لو رأى فيه عيب يجب أن يستره، قال ﷺ:

{ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ }[٩٨]

ولو استمر فيه ينصحه سراً فيما بينه وبينه، فلا يفضحه على رؤوس الأشهاد.

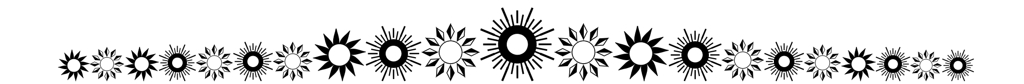
فالذي يعلن الحرب ويتجرأ على ذلك، فإن الله ﷻ يعلن عليه الحرب، وهذه مثل الحرب التي أعلنها الله على المنافقين في كتاب الله الذين عادوا سيدنا رسول الله، فهؤلاء أعلنوا الحرب عليه وإن كانوا ظاهرًا يصلون معه ويحاربون معه ويجلسون معه، لكنهم كانوا يحاربوه، فمرة يشنعوا على زوجته الفاضلة، وهم يعلمون أنهم كاذبين، فهل هؤلاء يُتركوا؟! لا بد من حربهم، ومرة يحرضوا اليهود عليه، وهي خيانة عظمى، فما عقاب هؤلاء؟ انظر إلى عقاب الله: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ (٧٧التوبة).

الناس البسطاء والسذج يعتقدون أن الذي يحارب أولياء الله يحدث له شيء مثل أن تنكسر رجله، أو يحدث حريق في منزله، أو يحدث له شيء ما، لكن هذه ابتلاءات لمن يحبه الله، فيريد أن يخلصه من الذنوب، لكن العقاب الصعب الذي ذكره الله عقاب قلبي: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٧٧التوبة)

٩٨ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

ليس عنده صدق في الإيمان، ويصاب بمرض البعد عن الله، يصاب بداء القسوة على خلق الله، ويصاب بداء الصدود عن طاعة الله وعن ذكر الله، ولذلك قال فيهم الله: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (النساء) يوجد صدود عنده عن ذكر الله ﷻ.

هذا عقاب الله لأعداء أولياء الله، الذين يعلن عليهم الحرب بمثل ما ذكرناه، فنسأل الله الحفظ والسلامة أجمعين.



١٤- أضرحة الصالحين

ما الحكمة من عمل الأضرحة للأولياء والصالحين؟

الأضرحة هي في الأصل علامات وُضعت لتدل على من في هذه القبور، وأصلها أن سيدنا رسول الله ﷺ عندما حضر دفن سيدنا عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وكان النبي يُحبه فقال:

{ فأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا أَنْ يَأْتِيَهُ بِحَجَرٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ حَمَلَهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَقَالَ: أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي } [٩٩]

لأعرف قبر أخي عندما أزوره، ثم تطوَّرت الأمور وتشابهت القبور، فبدأ الناس بدلاً من وضع الحجر يكتبون على الحجر، حتى لا يتوه، فهذا قبر فلان وهذا قبر فلان.

وهناك أُناسٌ رأوا أن هؤلاء الصالحين حياتهم فيها أُسوة، وينبغي لمن بعدهم أن يدرس حياتهم ويتأسى بهم ليصل إلى ما وصلوا إليه، مثل أهل الكهف، الذين خرجوا وكانوا مؤمنين وكان في عصرهم الملك الموجود ملكٌ ظالم، فكان يقتل كل من آمن بالله، فخرجوا،

---

٩٩ سنن أبي داود

وكم كان عددهم؟ القرآن وضَّح ذلك ولكن بطريقة لطيفة لا يُدركها إلا ذو عقلٍ وذواق: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴾ (٢٢الكهف) هذا وذاك رجماً بالغيب، فكل هذا تخمين: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ ﴾ هذه أثبتها القرآن: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ ﴾ (٢٢الكهف).

ولذلك سيدنا عبد الله بن عباس قال: أنا من القليل، فهم سبعة وأسماؤهم فلان وفلان وفلان وذكر أسماء السبعة، فالآية فيها وضوح، فالأوليين رجماً بالغيب، فلماذا تقف عندهم؟! والتاليين أثبتهم عالم الغيب والشهادة ﷻ.

خرج السبعة ومشى خلفهم كلب، والكلب لأنه مشى خلفهم أخذ حكمهم، ودخلوا الغار والكلب وقف على باب الغار، أماتهم الله وأمات الكلب معهم، ومكثوا في الغار ثلاثمائة سنة شمسية، تعادل ثلاث مائة سنة وتسعة قمرية، وأيضاً هذه وضحها الله: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ (٢٥الكهف) ثم أحياهم الله وأحيا الكلب معهم، ولذلك قال الرجل الصالح:

فكيف لا أفوز بحب آل النبيِّ	لقد فاز كلبٌ بحب آل كهفٍ

الكلب لما مشى خلف أهل الكهف أخذ حكمهم، ولما ناموا أنامه الله معهم، ولما أحياهم أحياه معهم، فمن يمشي خلف آل بيت النبي فماذا يكون حاله؟ يأخذ أيضاً نفس الحكم.

وطوال هذه السنوات – ولأنهم أحياء — حتى لا تأتيهم قُرحة الفراش من طوال النوم، فكان يُهيئ الملائكة لتقلبهم: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ (١٨الكهف) لأنهم لو ناموا على الظهر أو على الجنب مدة طويلة فسيصابوا بقرحة الفراش، فانظر إلى الحكمة الإلهية.

بعد هذه السنين استيقظوا، ولا يعرفون أن الملك مات، أو أنهم ناموا ثلاثمائة سنة، وظنوا أنهم ناموا نومة طويلة يوماً أو بعض يوم، أو أطول من اليوم، وجاءوا فقالوا: ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ (١٩الكهف) والورق هي الفضة، وكانت العُملة عملة فضية، فأرسلوا أحدهم إلى المدينة ليجلب لهم طعامهم، والعلة هنا لينكشف أمرهم، فنظر أهل المدينة للعملة فوجدوها للملك فلان الفلاني، وكان الملك الموجود ملكاً صالحاً، غير الملك الظالم الذي كان في عصرهم.

فضرب الله ﷻ المثل لأهل زمانهم، بأن الله سيُحي الموتى، كما أحياهم بعد ثلاثمائة سنة، فعندما رأوا العملة القديمة قالوا: هؤلاء السبعة الذين سمعنا عنهم أنهم هاجروا وفرُّوا من الملك الظالم، ولم يعرف أحدٌ مكانهم، مع أنهم في مملكته، لكن إرادة الله أعمت جُنده عن المكان الذي هم فيه، فبحثوا هنا وهناك ويمرون على الموقع ولكن لا أحدٌ منهم فكَّر أن يدخل هذا الكهف، لأنها عناية الله:

وإذا العناية لاحظتك عيونها	نم فالمخاوف كلهنَّ أمانٌ

فذهبوا إلى هناك، وبمجرد أن وصلوا وتعرفوا على الملك أماتهم الله ﷻ الموتة الحقيقية، وانتهت حياتهم، فاحتاروا ماذا نفعل لهؤلاء؟ ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾ وهم الملك والأكابر، فقالوا: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ (٢١الكهف) لماذا؟ ليكونوا علامة باقية على قدرة الله، ولمن أراد أن يتمسك بالعقيدة رغم ظلم الظالمين واضطهاد المضطهدين، وأن الله يحميهم من ظلمهم واضطهادهم.

فأخذ القوم من هذه الآية القرآنية أنه إن كان هناك رجلٌ قدَّم للمسلمين في عصره وزمانه منافع لا تُعد وأشياءٌ لا تُحصى من فضل الله وإكرام الله، ولتعضيد دين الله ونشر السنة السمحاء التي أتى بها رسول الله، ونحن نريد أن نجعل الذكرى لنذكره ونتأسى به لنا ولمن بعدنا، فماذا نفعل له؟ نعمل له ضريحاً، يعني مكاناً على هيئة مسجد صغير وهي علامة فوق قبره ليعرف الناس أن فلان مدفون في هذا المكان.

من هو؟ ليس العوام، ولكن لإنه رجلٌ كان له وضعه، وكان له شأنه، وكان له جهاده، وكان له فتحه، فهذا

رجلٌ يجب على الناس أن يبحثوا عن أفعاله وعن أحواله ليتأسوا به ويحتذوا حُذوه، وينالوا الفتح كما ناله، وهذا سر هذا الأمر بالنسبة للمؤمنين والمؤمنات.

هل لهذا شاهدٌ في عصر النبوة؟ لأنه قد يقول قائل أن هذا كان قبل حضرة النبي، لكن سيدنا رسول الله ﷺ لما وقَّع صُلح الحديبية مع أهل مكة واتفق معهم أن من أسلم وجاءه يردُّه إليهم، ومن كفر من عنده وذهب إليهم لا يردُّه إليهم.

وبعض الصحابة ومنهم سيدنا عمر وجد أن هذا الشرط ظالمٌ، لكن حضرة النبي كان يجد فيه مغانم، لماذا؟ لأن من ترك الإسلام وذهب إليهم لا نريده، لأنه لو بقي فسيكون منافقاً، ونحن نريد أن نُبعد المنافقين كلهم، ومن كان يريد الإسلام وأعدناه إليهم فسيجعل الله له مخرجا: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا** ﴾

(٢الطلاق).

وهم أثناء كتابة الصُلح وكان النائب عن أهل مكة في كتابة الصلح سُهيل بن عمر، فجاء إبنه وكان لا يزال مقيداً ومسلماً، فقال سُهيل: هذا أول رجل، فقالوا له: لم نكتب الشرط بعد، قال: لا، وردَّ إبنه، وكان اسمه أبو جُندل بن سُهيل وقال: يا رسول الله أتتركوني أذهب للكفار بعد أن فعلوا بي كذا وكذا؟ قال: {

يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا

}[١٠٠]

---

١٠٠ مسند احمد عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه

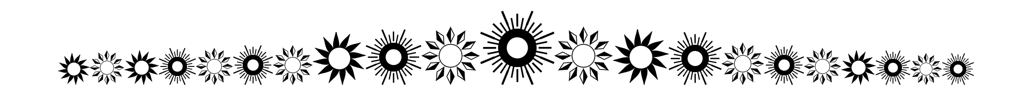
بعد فترة أسلم رجل إسمه أبو بصير، وذهب إلى المدينة، فأرسلوا خلفه من يُعيده من المدينة، وكانا رجلين، فسيدنا رسول الله سلَّمه لهم، وحملا الرجل على جمل، ونزلوا يستريحون في الطريق، وكان مع أحدهم سيف،

فقال له أبو بصير: أنا أرى سيفك هذا سيف جيد فأريد أن أراه، فناوله الرجل السيف فضربه به وقتله، وهرب الآخر، وذهب أبو بصير إلى مكان على ساحل البحر الأحمر وبنى لنفسه سكناً هناك، وكان كل من يأتي من المدينة يذهب إليه ويعيش معه حتى صاروا ثلاثمائة رجل.

فكانت كل تجارة قادمة من مكة للشام يأخذوها، والتجارة الواردة من الشام إلى مكة يأخذوها، إلى أن أرسل أهل مكة إلى رسول الله وقالوا له: يا محمد تنازلنا عن هذا الشرط وخذ هؤلاء القوم يعيشوا معك في المدينة!! فانظروا إلى بصيرة النبوة.

في هذه الفترة كان أبو بصير قد مات، وهذا الكلام موجود في كتب السيرة المعتمدة، فماذا يفعلون؟ بنوا له مسجداً ودفنوه فيه، وجعلوا جزءاً منه للصلاة فيه، فلم يُنكر عليهم النبي ذلك، ولم يأمر بهدم هذا المسجد، ولم يأمر بهدم هذا القبر ولا بهدم هذا الضريح، فكان هذا إقراراً من رسول الله ﷺ بهذا الصنيع، وهي الحجة التي أخذها السلف الصالح في هذا الأمر.، بعد ذلك جاء الخوارج بوجوب هدم هذه الأضرحة، وقالوا هذا تشبُّهٍ بالمشركين، لكن الخوارج مشكلتهم أن آيات القرآن التي نزلت في الكفار والمشركين – والعياذ بالله – يطبقوها على المسلمين، وهي مصيبة المصائب!! لكن هؤلاء شيء وهؤلاء شيء آخر.

فهذه الأدلة السديدة على أضرحة الصالحين، وعلى المساجد التي بها أضرحة للصالحين، ولذلك اتفق أهل المذاهب الفقهية المعتمدة أجمعين ما عدا الخوارج وجزء من الوهابية على أنه لا حُرمة للصلاة في أضرحة، ولا المساجد التي فيها أضرحة، ولا زيارة الأضرحة لأنها قبور، وكل ما عليها علامة، بدلاً من الحجر صنعوها من الخشب، أو جعلوها قُبة، وكلها علامة على أن هنا فلان العبد مقبور، ونعتقد لأن عمله كان صالحاً فمكانه روضة من رياض الجنة.



١٥- آداب زيارة الأضرحة

ما أدب المؤمن عند زيارة الولي في ضريحه؟

آداب المؤمن عد زيارة الأضرحة هي نفس الآداب عند زيارة القبور، يُلقي السلام للقبور كلها، قال ﷺ:

{ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا ، فَإِنَّ فِي زِيَارَتِهَا تَذْكِرَةً } [١٠١]

ماذا نقول؟ كما قال ﷺ عندما أتى المقبرة:

{ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ } [١٠٢]

والأدعية المتواترة كثيرة في هذا المجال، فنلقي عليهم السلام، ثم ندعوا الله ﷻ، والدعاء في هذه المواضع إذا كان أهلها من المباركين دعاءٌ مُجابٌ ومستجاب.

وإذا شئنا قرأنا ما تيسر من القرآن، لقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه الإمام عليٌّ رضي الله عنه وكرّم الله وجهه:

{ مَنْ مَرَّ عَلَى الْمَقَابِرِ وَقَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ وَهَبَ أَجْرَهُ لِلأَمْوَاتِ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ بِعَدَدِ الأَمْوَاتِ } [١٠٣]

□

---

١٠١ سنن أبي داود ومسلم عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه
١٠٢ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٠٣ التدوين في أخبار قزوين للرافعي وفضائل سورة الإخلاص للخلال

ولذلك عندما ندخل ضريح أي ولي من الأولياء، أو نزور حتى المقابر العامة نقرأ: (قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة كما ورد في الحديث، ونهب ثوابها لهذا الولي، وكل ولي، وكل من يتَّبع أمة النبي، ويذهب ثوابها للكل، وكل واحد منهم له حسابٌ خاص به، فلا تُقسَّم عليهم، وكل يأخذ من فضل الله بحساب خاص به.

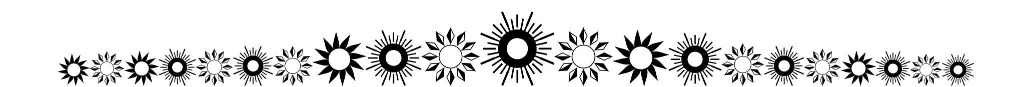
وندعوا الله ﷻ، ونقرأ الفاتحة على أي شيء نريد تحقيقه من الله، والفاتحة لماذا؟ لأن الله قال ذلك في الحديث القدسي:

{ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ: مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ }[١٠٤]

---

١٠٤ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

فعندما أقرأ الفاتحة فإن الله يلبي كل ما يطلبه العبد، وهذا سبب قراءة الفاتحة، وهذا يرجع إلى النية، فأقرأ الفاتحة إن كان لزوجتي أو لأولادي أو لأحبابي أو لأحدٍ من المؤمنين، لأن الله يقول: (هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) فكل ما يطلبه اعطوه له، وهذا الكلام للملائكة الموكلين بقضاء مصالح الخلق بأمر رب العالمين عز وجل.



١٦- سمات المنهج الصوفي المعتدل

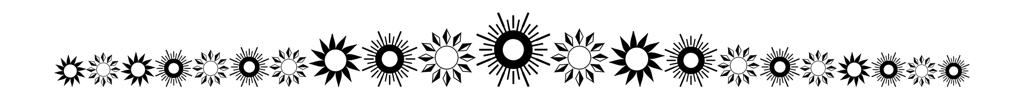
ما سمات المنهج الصوفي المعتدل الذي يجب على المسلم أن نبحث عنه؟

المنهج الصوفي هو المنهج الذي يوصِّل الإنسان إلى أن يعيش في حالة صفاء بينه وبين من حوله من خلق الله، وبينه وبين مولاه.

بينه وبين خلق الله؛ أن يجاهد نفسه إلى أن ينزع من نفسه الحقد والحسد والبُغض والكُره والأثرة والأنانية والشر لجميع خلق الله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧الحجر) فإذا تحرك فيه شيء من هذا يمارس الجهاد ويواصل الجهاد لأنه عرف أنه لم يصل بعد إلى المنهج الأصَّح في هذا الواد.

وبينه وبين الله؛ أن ينفذ التعليمات التي طالبنا بها الله في كتاب الله على هدي سنة رسول الله، فعندما يؤديها يشعر بارتياح البال، وراحة في النفس، وسرور في الصدر، لأنه أرضى الله، وعمل بما طالبه به مولاه، ويطمع أن يدخل في قول الله: ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ (٢٢المجادلة).

فهذا باختصار المنهج الصوفي، فيكون الإنسان في صفاءٍ فيما بينه وبين الخلق، وفي تمام الرضا بما أداه من أعمالٍ كلّفه بها الله ﷻ على منهج الحبيب المختار، وبذلك يدخل في قول الله: ﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).



١٧- مصطلح التصوف

لماذا لم نسمع عن كلمة التصوف في عصر رسول الله وصحابته؟

كل العلوم الإسلامية أخذت أسمائها بعد عصر الخلفاء الراشدين بفترة، لأن أيام حضرة النبي لم يكن هناك إلا القرآن والسُنة، وبعد ذلك جاءت العلوم التي تخدم القرآن والسُنة.

سيدنا علي وجد الناس في عصره بدأوا يحرفون في نسخ القرآن، فجاء برجلٍ اسمه أبو الأسود الدؤلي وقال له: أنا أريد أن تحاول أن تضع نّقْطاً للقرآن، لأن القرآن كان بغير نقط، فنقَّط القرآن، ولم يزل الناس يحرفون، فقال له: شكّلِ القرآن، فشكَّل القرآن، ولا زال الناس يحرفون، فقال له: اعمل لي مبادئ لحفظ القرآن حتى يتعلم الناس القرآن على الوجه الصحيح، فعمل علم أسماه: (علم النحو) فهل علم النحو كان موجوداً أيام حضرة النبي؟ لا، لكن تم عمله خدمةً لكتاب الله ﷻ.

وبدأ الصحابة يحكون ما حضروه مع حضرة النبي، وما رأوه من حضرة النبي، وبدأ بعض العلماء بجمع هذا، وأسموه (علم الحديث) ولم يكن في أيام حضرة النبي.

وبعضهم جمع حياته وسيرته وسمُّوها: (السيرة النبوية، وهذا أيضاً علمٌ أُستحدث بعد حضرة النبي.

وأراد بعض العلماء أن يُظهروا الجمال الذي في القرآن، فقالوا: إن فيه ماشاء الله تشبيهات عظيمة، وفيه كنايات قديرة، وفيه استعارات تحتاج إلى وقفة عندها، فأسَّسُوا علم جديد إسمه: (علم البلاغة) ولم يكن موجوداً أيام حضرة النبي، ولكن الهدف منه خدمة القرآن.

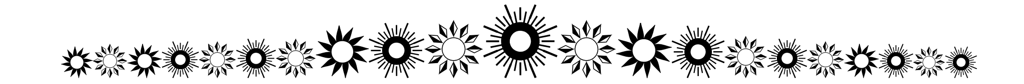
وبدأ بعض القُرَّاء الذين يحفظّون القرآن الكريم، وسمعوا من حضرة النبي أن القرآن نزل على سبعة أحرُف أي سبع قراءات، فبدأوا يتعلمون ويعلمون هذه القراءات وأوصلوها لسبعة قراءات، ثم أوصلوها لأربعة عشر قراءة، لكن المعتمد منهم السبعة فأسموها: (القراءات السبعة) فهل كانت موجودة أيام حضرة النبي؟ كانت موجودة كقراءة، ولكن كعلم لم تكن موجودة.

فكل العلوم التي تخدم كتاب الله، والتي تخدم سُنة رسول الله ظهرت في القرن الثاني والثالث الهجري بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد انتهاء دولة الخلفاء الراشدين.

وهكذا مشى على ذلك علم التصوف، فالصوفية الذين مشوا على منهج رسول الله اختاروا أولاً إسماً نبوياً وهو (الزُهد) أي الناس الزاهدين في الدنيا وعدم التطاول فيها، والتكالب عليها.

بعد ذلك قالوا: نريد أن نكون في حالة الصفاء، والإنسان عندما يعاشر غير الأتقياء يكون عنده شيء من الجفاء، وشيء من الغلظة من فلان، وشيء من الحقد على فلان، وشيء من الحسد على فلان، فنحن نريد الصفاء فوضعوا: علماً سموه: (علم التصوف) فأصبح شأنه شأن علم النحو، شأنه شأن علم البلاغة، وعلم السيرة، وكلها علومٌ تخدم كتاب الله، وتبيِّن سُنة رسول الله، وكلها ظهرت بعد العصر الأول بعد الصحابة والتابعين.

فمن يسأل: لماذا لم يكن التصوف موجوداً أيام حضرة النبي؟ نقول له: ولماذا النحو لم يكن أيام حضرة النبي؟! ولماذا الحديث لم يكن أيام حضرة النبي؟! ولماذا علم التفسير لم يكن أيام حضرة النبي؟! ولماذا علم البلاغة كذلك؟! هل كان هناك علمٌ من هذه العلوم أيام حضرة النبي؟ لا لماذا؟ لأنها وُجدت بعد ذلك لخدمة كتاب الله وسُنة رسول الله ودين الله ﷻ.



١٨- الصوفي والدَّعي

كيف نفرِّق بين الصوفي الحق ومدَّعي التصوف؟

الصوفي الحق هو السائر على قول الله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (٣١آل عمران) يتابع رسول الله ﷺ في ظاهره وفي باطنه على حسب استطاعته، ويتجمَّل بأخلاقه ويتكمَّل بمقام العبودية الذي فتحه عليه رب البرية:

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (١الإسراء)

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (١الفرقان)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ (١الكهف).

والعبد لا يرى لنفسه حالاً ولا قالاً ولا عملاً ولا أملاً إلا بفضل من المتفضل ﷻ، والعبد لا يُحب الظهور، ولا يُحب أن تكون له منزلةً عند الخلق، لأن كل ما يطلبه أن تكون له منزلةً كريمة عند الحق ﷻ، يقول فيه ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ } [١٠٥]

إذاً علامة الصوفي الصادق:

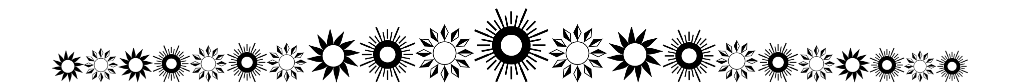
- أنه لا يريد شُهرة ولا منزلة بين الناس.

- ويتجمَّل بالعبودية تشبهاً بسيد الناس ﷺ في التواضع وفي المسكنة وفي الإنكسار والذل لله وليس لخلق الله.، والتطامن بين عباد الله، والإخبات الدائم لمولاه.

- ويُحسن متابعة رسول الله ﷺ في كل أحواله؛ في منامه وفي يقظته وفي سره وفي علنه وفي أكله وفي شُربه وفي نومه، كأنه صورةٌ مصغَّرةٌ لسيدنا رسول الله ﷺ على قدره.

١٠٥ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

أما المدَّعي فيُحب الظهور، ويريد أن يجتمع حوله الخلق، ويظهر بينهم أنه شيخٌ، وأن له عندهم وجاهة، وأن له منزلةٌ، ولذلك يُحب الثناء عليه، ويُحب أن يجتمع الخلق عليه، ويُحب أن يمدحه الخلق ويطلبوا منه الدعاء، وقد يريد منهم شيئاً دنيوياً فيعينوه بما معهم من مال، أو طيبات الحياة الدنيا وماشابه ذلك، وقد يحفظ أقوال الصالحين ويريد المكانة له عند الآخرين، بينما هو لا يطبقها على نفسه، ولا في حياته، ... فهناك فرقٌ بين من يريد الحق، ومن يريد الخلق، فالصوفي يريد الحق والمدَّعي يريد المنزلة عند الخلق، نسأل الله الحفظ والسلامة.



١٩- حال التصوف الآن

لماذا وصل التصوف لهذه الحالة؟

من يسأل هذا السؤال يلبس نظارةً سوداء، فلا يرى أمامه إلا الحالة السوداء فقط، لكننا نرى التصوف في هذا الزمان في أبهى أحواله وفي أرقى ازدهاره.

فالصوفية في الزمن الماضي كانت مظهرية، بزيٍّ معين، أو بعمامة معينة، أو براية معينة، أو بطقوس معينة، أو بشكليات معينة، فالناس كانوا يظنون أن التصوف من أجل هذه الشكليات!!! ولكن أصبح التصوف في هذا الزمان جوهراً ومخبراً وليس مظهر، فكم من رجالٍ لله إذا سأل الرجل منهم مولاه لبَّاه، وهو يلبس زيًّاً مدنياً شيكاً كأي جنتلمان في هذا الوجود، ولا يعرف ظاهره من باطنه إلا من أعطاه الله نوراً في باطنه ينظر بنور الله، وهؤلاء أغلبية في هذا الزمان.

فليس التصوف قاصراً على من يتزيَّا ظاهرياً بهيئة الحبيب، ويضع العدبة خلف رأسه، ويلتحي فقط، لأن الله قال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١٣الحجرات) والتقوى محلها القلوب.

فأصبح الصوفية في هذا الزمان هم الأسوياء الأتقياء الأنقياء الأصفياء الذين لا يرى الخلق منهم إلا أنهم أُناسٌ عادين، مع أن الله يرفع العذاب عنهم وعمن حولهم إذا نظر إلى قلوبهم، فلا يجد فيها إلا الصدق والإخلاص والنقاء لرب العالمين ﷻ.

فارتقى الصوفية في هذا الزمان إلى ماكان عليه في عصر النبي، فأصبح الشاهد ليس عليهم ظواهر أحوالهم،

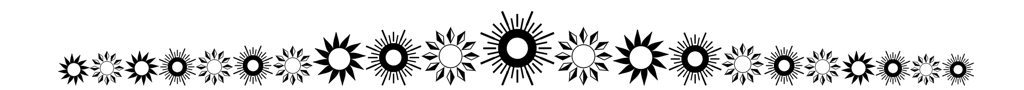
ولا هيئات ملابسهم، وإنما الذي يريد أن يعرفهم لا بد أن يكون له قلبٌ يتعرَّف به على أهل القلوب، ولابد أن يؤتيه الله نوراً ليرى بهذا النور الموهوب الذي وهبه لهم علام الغيوب.

وبذلك انكشف المدَّعين في عصرنا هذا، فسبيل المدعين ينهار لأن الناس أصبحت تنظر إلى الجواهر وتنظر إلى العطاءات الإلهية، وهي عطاءات كلها قلبية.

فالحمد لله الحال العظيم الذي أصبحنا فيه في هذا الزمان، وأهله هم الذين يقول فيهم الإمام علي رضي الله عنه: (هم الأقلون عدداً الأكثرون مدداً، قلوبهم محزونة، وأسرارهم مكنونة، وعلومهم مصونة، وأنوارهم مخزونة).

هؤلاء القوم ما أكثرهم في هذا الزمان ولكن لا يطلع عليهم إلا من أكرمه بكرمه حضرة الرحمن ﷻ، يقول فيهم الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

وليس الكل مطلوبٌ لهذا	ولكن خُصَّ لبعض أفرادٍ قليلة
فداري أهل عصرك واجتنبهم	وواصلهم على قدر الضرورة
فمنكرهم يُسيئ ومن يُسلِّم	فقربِّه ولاتأمن شروره
ومن طلبتهم عين العناية	يروك بعين أنوار السريرة



٢٠- سر الهجوم على التصوف والصوفية

لماذا يكثر دائماً الهجوم على التصوف والصوفية؟

هذه سُنَّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فإن الله ﷻ دائماً وأبداً جعل الإيمان وأهل الإيمان في ابتلاءٍ طوال حياتهم، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ لماذا يا رب؟ ﴿ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ (٣العنكبوت)

سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟، قَالَ: { **الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ** }[١٠٦]

فكون هؤلاء القوم هم أشد الناس بلاءاً دليل على أنهم أشدُّ الناس قرباً من الصديقين والأنبياء كما أخبر سيد الأنبياء ﷺ.

فالصوفية لا يرجون إلا الله، ولا يطلبون إلا رضاه، ولا يطلبون من الخلق قليلاً ولا كثيراً لأنهم مبتغاهم وجه الله ... لكن هناك في كل زمان ومكان من يطلبون المنزلة عند الخلق، ويطلبون الظهور بين الناس، وهؤلاء يحسدون الصوفية على حب الناس لهم، وإقبال الناس عليهم، ومن هنا يقعون فيهم، ويحاولون تشويه صورتهم لأنهم يظنون أنهم ينافسونهم.

---

١٠٦ سنن ابن ماجة والدارمي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

يعني الواحد منهم يذهب ليعمل درساً في المسجد فلا يجد أحداً، فيقول في نفسه لماذا هؤلاء القوم عندما يأتون إلى المسجد يمتلئ عن آخره؟! هو يظن أن معه علوم الأولين والآخرين، وهو لا يوجد معه غير العلم

الظاهر، ولا يعرف أن من يجمعهم هو الجامع ﷻ، فهل أحدٌ منا يجمع أحداً؟ فليس الذي يجمع العلم، ولكن الذي يجمع هو الجامع عز وجل، وهو الذي يجمع هذه القلوب ويحببها في سماع هذه العلوم، لكن هل يوجد من يستطيع أن يجمع الخلق عليه؟ لا: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٦٣الأنفال).

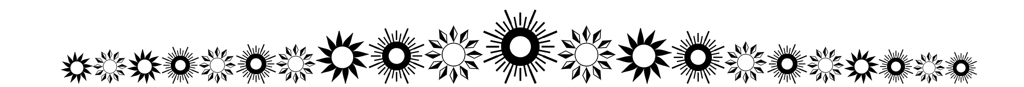
فلو عرفوا هذه الحقيقة ما حدث بينهم صدامٌ ولا جدالٌ ولا مناظرةٌ ولا شيء من هذا القبيل، فيروا محبة الناس لهؤلاء القوم، فمن يقبِّل أيديهم، ومن يسألهم الدعاء،ومن يسارع إلى خدمتهم.

لكن هم يظنون أن معهم العلم الظاهر، وهم الورثة الحقيقيون في نظر أنفسهم للأنبياء، وهم يريدون أن يكونوا أولى بهذه المنزلة، فتقبِّل الناس أيديهم، وتطلب منهم الدعاء، ويسارعون إلى خدمتهم، ولأنهم لا يجدون صدىً لهذا فيحدث في القلوب شيء من الحقد والحسد، والحسد داء العلماء في كل زمانٍ ومكان، وقال فيه الله عز شأنه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾

فهؤلاء هم الناس في نظر الله: ﴿ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ (٥٤النساء) فلم يقل من مال ولا جاه ولا منصب، ولكن من الفضل الذي أعطاه لهم الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (٢١الحديد).

فهم يحسدون الناس على فضل الله لهم، ويزيدهم حقداً عندما يرون زهدهم في الدنيا وما فيها، ورغبتهم عن الملوك والزعماء، مع تسخير الله لهم الملوك والزعماء، فيزيد عندهم الحقد والحسد لتنافسهم معهم، مع أن الصادقين والصالحين لا مكان لهذا الأمر في قلوبهم أبداً، لأنهم مشغولون عنهم بالله، وليسوا مشغولين بالخلق لا من قليل ولا من كثيرن فهذا هو السبب الرئيسي بين أهل الظاهر وأهل الباطن، وهو اجتماع الخلق بأمر الحق على أهل الحق، يجعل طلاب الخلق وطلاب المنزلة عند الخلق يحدث بينهم حسدٌ لهم، ويحاولون أن يشوِّهوا صورتهم ليسقطوا منزلتهم، ويحاولوا أن يشوهوا أفكارهم وآراءهم ليبعدوا الناس عنهم، ويجعلونهم لا يمشون معهم أو حولهم.

فهذه كل القضية في أمر الصوفية، والأدلة في هذا الموضوع لو استعرضنا صفحات الصالحين تحتاج إلى دووايين من حكايات الصالحين في هذا المجال.



٢١- الصوفية والحياة السياسية

هل للتصوف دور في الحياة السياسية المعاصرة؟

دور التصوف في الحياة السياسية أنه يدعو جميع الأحزاب وجميع الطوائف وجميع الفئات بأن يكونوا جميعا لهم وجهة واحدة هي إرضاء الله، وصالح هذا البلد، وهذا الوطن الذي يعيشون فيه.

هذه الوجهة إذا توحدت هل سيكون هناك خلاف بين حزب وحزب؟! أو بين طائفَة وطائفة؟! ثم هو يدرب أولاده وأحبابه على الرغبة في العمل لله، والزهد في المناصب الفانية الدنيوية، وهذا هو المنهج الذي اتَّبعه الحبيب، وقال في شأنه ﷺ: { **إِنَّا لَا نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ** }[١٠٧]

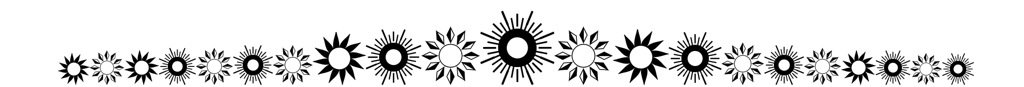
وأهل الأحزاب يطلبون المناصب أو المكاسب كما نرى، أو يريدون أن يمسكون الحكم، وهذه الخلافات هي التي ضيعت البلاد والعباد، لكن لو مشى الناس على هذا المنهج القويم، واستطعنا أن نربي فيهم هذه المبادئ الإلهية، وأن نسعى لإرضاء الله، ونسعى لإسعاد من نعيش بينهم من خلق الله، ولا نرجوا من ذلك منصبًا ولا مكسبا إلا وجه الله .. إذا فعلنا ذلك تحققت كل الآمال لجميع أهل الإسلام في أي زمان ومكان .... وما الخلافات بين المسلمين في أي دولة حولنا إلا بسبب الرياسة،

---

١٠٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ

فالخلافات في فلسطين بين غزة وبين الضفة سببها الرياسة، والخلافات التي في الصومال سببها الرياسة، والخلافات التي في ليبيا سببها الرياسة، لكن لو صاروا على المنهج الصوفي الإسلامي سيزهدون في الرياسة، ويزهدون في المناصب، ويزهدون في المكاسب، ويريدون المكاسب التي تعم على الكل وليس لهم فقط، وهذا هو أساس الحياة

السياسية السليمة في أي زمان ومكان.



٢٢- الصوفية ولبس الصوف

من معاني التصوف لبس الصوف أو الخشن هل يجوز ذلك في هذا العصر؟

ما المانع أن ألبس صوف هيلد من انجلترا؟! أليس بصوف؟! نحن نأتي بالصوف من الغنم، ونغزله ونلبسه، والإنجليز يعالجوه بمواد كيماوية ويصنعوا منه ملابس نظيفة وعظيمة ونلبسه، أيوجد في ذلك شيء؟! لا ... كلنا نلبس في الشتاء صوف، فالذي يلبس بروفل صوف، والذي يلبس جلباباً من الصوف، والذي يلبس بدلة من الصوف .. كلنا نلبس الصوف ليدفئنا، فهل ذلك يتنافي مع دين أو مع تصوف؟!.

لكن ما الذي يتنافى مع الدين؟ لبس ملابس ملفتة للنظر، فهذا الشيء الذي نحاربه، كأن تجد شخصاً أتى بجوال وخاطه ولبسه، لكى يلتفت له كل من يراه في الطريق، أو تجد شخصاً يمسك بسيف خشب، أو يلبس زعبوط، أو يلبس طربوش .. ما هذا؟ يريد أن يفعل أي شيء ملفت للنظر، وهذا الذي نلغيه، فنحن لا نفعل هذا لكي لا يكون هناك لفت للنظر، ولا نتشبه بهؤلاء الذين نحاربهم، أهم شيء ما بينك وبين مولاك، ما الذي يريده الله؟ قال ﷺ:

{ الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ }[١٠٨]

بعض الناس فهموا أنها الثياب الظاهرة، بينما هي للخلق، لكن الله لا ينظر إلى صوركم، فما الثياب التي ينظر لها الله؟ التي في القلب، ألبس القلب ثوب البياض والنقاء والصفاء، فلا يوجد به غل ولا غش ولا

حقد ولا حسد ولا رياء ولا سمعه ولا أنانية ولا حب ذات .. لا يوجد به إلا جمالات الله، وجمالات حبيب الله مصطفاه.

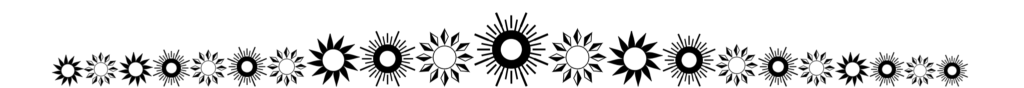
وهذه التي نهتم بها، أما الصوف نحن كنا نلبسه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (٣٢الأعراف).

إذاً الذي نحاربه الملابس الخاصة التي يجهزها بعض ناقصي العقول، أو المرضي النفسيين للفت نظر المارين بهم أو الحاضرين، لكن ليس هذا طريق القوم، بل طريق القوم قال فيه ﷺ: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }[١٠٩]

---

١٠٨ جامع الترمذي وأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما
١٠٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

لا أحد يعرفه، تجهلهم بقاع الأرض، وتعرفهم طرق السماء، تعرفهم الملائكة، وأهل السماء العلى، وأهل السمو في المعاني، وأهل السمو في الفكر، وأهل السمو في المقاصد، وأهل السمو في المنزلة والمكانة والدرجة عند الله.



٢٣- التصوف الحقيقي

كيف ننشر التصوف الحقيقي؟

نشر التصوف الحقيقي لا يحتاج لعبارات، ولا كلمات، ولا إذاعات، ولا كتابات، وإنما كما ورد في الأثر: (ابدأ بنفسك فإن استجابت فادع غيرك).

يبدأ الإنسان بنفسه، ولا ينشغل إلا بنفسه، فإذا خلَّص نفسه واستجابت النفس فعليه أن يدخل في القول الآخر: (ابدأ بنفسك ثم أهلك ثم الأقرب فالأقرب)

إذا خلَّص نفسه فلا بد أن يأتي بأهله، لأن هذا هو مرآة أمام الناس، كيف يكلم الناس عن الحجاب وابنته أو امرأته تكشف شعرها وتخرج بهذه الكيفية؟! هل هذا سيسمع منه أحد؟! ...كيف يكلم الشباب عن الصلاة وهم يعرفون أن ابنه الكبير البالغ لا يصلى أبداً، ولا يدخل المسجد؟! هل ذلك يجوز؟! فلا بد أن أكون قدوة.

فإذا الإنسان بدأ بنفسه، وثنى بأهل بيته؛ سيجمِّله الله بالأحوال، فمن يراه يكون هناك تأثير روحاني من الله فيمن يراه، فيدعوه إلى الله ﷻ بغير كلام ولا حديث، يرون وسامته، ويرون زهده، ويرون ورعه، ويرون تقواه، ويقبل على هذا المنوال طلابُ هذه المعاني العلية وهذه المقامات الرفيعة الرضوانية، ولذلك يقول لنا أبو العزائم رضي الله عنه:

وليس الكل مطلوبًا لهذا	ولكن خُصَّ لبعض أفراد قليلة
فدارِ أهل عصرك واجتنبهم	وواصلهم على قدر الضرورة

ماذا يقصد بأهل العصر؟ هم المشغولون بالدنيا والمظاهر والشكليات، فليس لك شأن بهؤلاء لأنهم سيعطلونك ويحجبونك:

فمنكرهم يسيء ومن يُسلم	فقرّبه ولا تأمن شروره

فمن الجائز أن نفسه ترجعه مرة أخرى فلا تعطي له كل شيء:

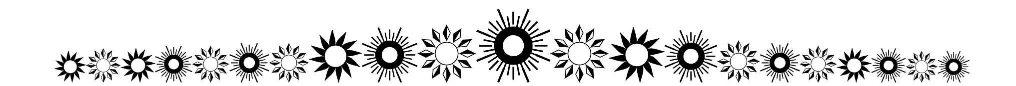
ومن طلبته أنوار العناية	يراك بعين أنوار السريرة

فالذي عنده عناية ينساق لهذا الأمر بداعي العناية الذي يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ:

داعي العناية من أزل ينادينا	والمصطفى لصراط الله يهدينا

فالناس في هذا الزمان ملُّوا من الخطباء والوعاظ وكثرة المتحدثين ...

فماذا يريدون؟ يريدون قدوة يقتدوا بها، رجلٌ يقول ما يفعل ويفعل ما يقول، ليس هناك تناقض بين قوله وفعله، مثلما يقول الرجل الحكيم: ((لا تقرأ القرآن فحسب ولكن اجعل نفسك آية من القرآن)) فتقرأ الناس فيك القرآن العظيم كلام رب العزة ﷻن هذه الطريقة الوحيدة التي اتبعها سيدنا رسول الله، ومن وليه من السلف الصالح إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين.



٢٤- تعدد الطرق الصوفية

يرى البعض أن كثرة الطرق الصوفية تؤدي إلى التشتت، فهل يمكن جمع الطرق كلها في طريقة واحدة؟

ليس هناك طرق صوفية لأنها كلها نهايتها الوصول إلى فضل الله وإلى إكرام الله, هو طريق واحد، لكن الاختلاف في تعدد الوسائل.

نحن نريد أن نذهب إلى القاهرة، فتجد شخص يريد أن يسافر في القطار، وشخص يريد أن يذهب في الأتوبيس، وشخص يريد أن يركب ميكروباص، وشخص يريد أن يأخذ سيارة خاصة، فأين الاختلاف هنا؟ الاختلاف في الوسيلة لكن الغاية واحدة، فغاية الطرق الصوفية جميعًا واحدة هي الوصول إلى رضوان الله جل في علاه, لكن الوسائل الإلهية التي بيَّنها الله للحضرة المحمدية هي وسائل كثيرة لا تعد ولا تحد، لماذا؟ لأن ما يلائم هذا غير ما يلائم ذاك, فهناك من يصل بالذكر الكثير وهذه وسيلة, وهناك من يصل بتلاوة القرآن والعمل به وهذه وسيلة أخرى, وهناك من يصل بالإكثار من الصلاة على حضرة النبي ﷺ وهذه وسيلة أخرى, وهناك من يصل بالإكثار من الاستغفار, وهناك من يصل بخدمة الفقراء والمساكين والسعي في قضاء مصالحهم, وهناك من يصل بالسعي بين المتخاصمين من المسلمين, وهناك من يصل بنشر العلم بين المسلمين، وهناك من يصل بصلاة الليل كالتهجد, وهناك من يصل بكثرة التودد للمؤمنين وجمعهم على الصالحين لكي يوجههم للمنهاج القويم .. كل فرد يختار له بابًا من الأبواب.

هذه الوسائل، هل يستطيع أحد أن يقوم بها كلها؟ لا، فكيف تكون طريق واحدة؟! فلو كانت طريقة واحدة فلن يكون لها إلا وسيلة واحدة.

فهل يجوز أن نقول لا أحد يسافر إلى القاهرة إلا عن طريق السكة الحديد؟ لا، لأن الوسائل متعددة، فنقول خذ القطار, فإن لم تجد خذ الأتوبيس, وإن لم تجد خذ الميكروباص, وإن لم تجد خذ عربة خاصة، وكل فرد يختار الوسيلة التي تناسبه، والتي تلائمه، فالتعدد هنا في الوسائل لكن الغاية كلها واحدة وهي وجه الله ﷻ.

فلماذا ظهرت الطرق؟ كل فرد من مشايخ الصالحين وصل إلى الله ﷻ بوسيلة، وأنا أغرمت بهذه الوسيلة وأعجبتني، فأذهب إلى هذا الرجل لكي يعلمني هذه الوسيلة، ويشرف عليّ لكي أسير بحق على هذه الوسيلة، إلى إن أصل إلى الله، فهل أستطيع أن أجمع الكون كله على هذه الوسيلة؟ لا.

شخص آخر أعجبته وسيلة أخرى، فيذهب إلى الشيخ الذي مشى على هذه الوسيلة، لكي يعلمه الوسيلة التي وصل بها إلى الله، كيف أعرفه؟ أنا أرى أن هذا الرجل فتح الله عليه، ورزقه الله علمًا إلهاميًا، أو أعطاه فراسة، أو رزقه الله بنور في قلبه، أو رزقه الله علم الحكمة، أو ظهر عليه بعض الإكرامات .. كل هذا يدل على أن الله فتح عليه، فعلمت أن هذه الوسيلة التي سار عليها صحيحة، فإذا أعجبتني هذه الوسيلة أذهب إلى هذا الرجل لكي أسير على الوسيلة التي وصل بها إلى الله ﷻ.

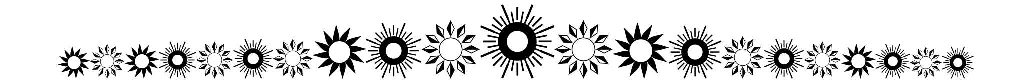
إذًا لا يمكن أبدًا جمع الوسائل في طريق واحد، لأنه لا أحد يستطيع أن يجمع بينهم إلا سيدنا رسول الله ﷺ، والله جل وعلا قال له ولأنبياء الله السابقين لحضرته: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٤٨المائدة) لكي يعلم الغافلون الذين يقولون نأخذ الشريعة فقط أنه يوجد شرعة ويوجد منهاج، فالشريعة للكل، والمنهاج للخاصة.

فما دام القصد واحد، والغاية واحدة، فلا بد من تعدد الوسائل، وهذا الذي نتعلمه من الطرق التي نسميها

الطرق الصوفية الموصلة إلى فضل الله ﷻ.

لكن هناك نقطة نلاحظها بجدية، حيث توجد طرق، وشيخها الأكبر كان من أهل الفتح، لكن الذين من بعده أخذوها وراثة فقط، فالذي يهمني أن يكون الذي أسير معه من أهل الفتح لكي يفتح الله عليَّ مثله، لكن مثلًا الشيخ عبد القادر الجيلاني بيني وبينه خمسمائة عام، وهو كان من أهل الفتح الأعظم، فهل لو سرت الآن على نهجه يأتي لي الفتح؟ لا، فإن كان واحد من أتباعه معه الفتح أسير معه، فالذي يهمني في هذا الأمر أن الرجل الذي أسير معه يكون مفتوح عليه, يوجد شيخ مفتوح عليه لكن من خمسمائة عام، وأتباعه ليس مفتوح عليهم، فماذا أصنع بهم؟! وهذا هو الشيء الذي يسقط فيه كثير من الناس، ينظرون إلى شخصية الأكابر، ويقولون ما دامت طريقة الشيخ فلان

فلا يوجد مثلها، فهذا له احترامه، لكن لا بد أن يكون هناك شخص الآن قائم ومقام من الطريق من أهل الفتح، فهذا الذي أريده، وهو الذي أحتاجه، رجل من أهل الفتح حيّ قائم، فالله حيّ قيوم، ولا يصل إليه واصل إلا بحيّ قائم.، فهذا كان صاحب فتح في زمانه ويدل أهل زمانه، ولكل زمان دولة ورجال، وهذا هو الشيء الذي ينبغي أن نلاحظه جميعًا في هذا المجال.



٢٥-دور التصوف في إصلاح الأفراد والمجتمعات

ما دور التصوف في إصلاح الأفراد والمجتمعات؟

التصوف يُولي أهمية بالغة لإصلاح القلوب، والرسول ﷺ يقول في ذلك: { **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّه، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ** } [١١٠]، فإصلاح الفرد يعتمد على إصلاح القلب، وإصلاح القلب يعني تطهيره من الأحقاد والأحساد والغل والشُح والحرص والكُره والأنانية وما شابه ذلك، وملؤه بالشفقة والعطف والمودة والمحبة والحنان والرحمة وما شابه ذلك.

فلو طهُر القلب مما ذكرناه وامتلأ مما قلناه صلُح الفرد وأصبح إنساناً يحب لجميع خلق الله ما يحب لنفسه، وهذا هو المؤمن:

{ **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** } [١١١]

ومثل هذا هو الذي يُصلح المجتمع، لأن ما أفسد المجتمع في زماننا وغير زماننا الأمراض التي أشرنا إليها، فالأمراض الجسمانية سهلة العلاج، لكن الأمراض القلبية هي التي تورث الشقاق والنفاق والخلافات والمشاكل بين الناس، ولا تجد لها علاجاً البتَّة، فكما قيل: :(لكل داءٍ دواء إلا الحسد والحقد).

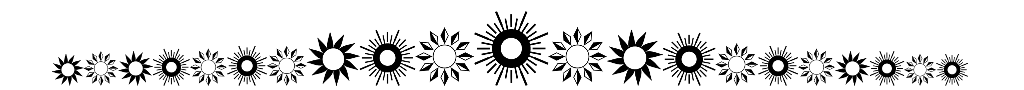
---

[١١٠] البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير ﷺ

[١١١] البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

إنسان يحسد آخر فلن يستريح إلا إذا أُزيلت النعم التي عند الآخر، وأين هذا المرض اللعين؟ في القلب، وأين علاجه؟ من القلب، ومن الذي يعالج هذه الأمراض؟ الصوفية، لأن الصوفي لكي يمشي في طريق الله فلا بد أن يصفو وينقى من كل ما ذكرناه: **(صفا فصوفي فأحيا النهج والدين)**.

إذاً الصوفية هي التي يتوقف عليها صلاح الأفراد، وصلاح المجتمعات، لأنها تُرَكِّز على صلاح القلوب، وطهارة النفوس، وهذا هو الأساس الذي بنى عليه النبي ﷺ دولته وأكمل تعاليم رسالته.



٢٦- الصوفية ونشر الإسلام في العصر الحديث

ما دور التصوف في نشر الإسلام في العصر الحديث؟

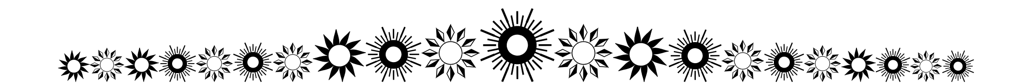
أظن أنه ما أساء إلى الإسلام في العصر الحديث وشوَّه صورته إلا الفِرق الضالة المتشددة التي تُقتِّل المسلمين وتترك الكافرين، وتشنُّ الحرب على غير المسلمين في كل زمانٍ ومكان، فهؤلاء شوَّهوا صورة الإسلام.

ولا يدخل في الإسلام حالياً من غير المسلمين إن كانوا أوروبيين أو أمريكان أو غيرهم إلا من اختلط بالصوفية، فأُعجب بصفاتهم المرضية، وطباعهم السويّة، وعلاقاتهم المبنية على المحبة والمودة والعلاقات الإنسانية.

هؤلاء هم الذين يرتضون بالإسلام لما يرون في حال الصوفية من التسامح والعطاء والأدب والأخلاق الحميدة، أما الفظاظة والغلظة والخشونة في المعاملة التي توجد عند الآخرين فهي التي دمَّرت سمعة الإسلام لدى كل غير المسلمين، وجعلتهم يهاجمون الإسلام، وإن لم يهاجموه يقفوا موقفاً عدائياً لا يتقبلوا شيئاً من المسلمين، لأنه أصبحت الفكرة عندهم عن الإسلام أنه دين الإرهاب، ودين سفك الدماء، ودين الخشونة، ودين الفظاظة، ودين الغلظة ودين القسوة، لما رأوه من صفات هؤلاء.

وأضرب لذلك مثالاً واحداً: هل الإسلام أباح للمسلمين التمثيل بجُثث الأعداء؟ لا، وكيف أباح هؤلاء التمثيل بجثث الأعداء؟! فكل مرة يتفننوا في طريقة للقتل مخالفة لما أتى به السابقون، فمرة بالذبح، ومرة بالحرق، وكل مرة يخترعوا طريقة أُخرى جديدة لسفك الدماء، أبطل الإسلام عادة الرِّق، فجددوا الرق، ونسبوه زوراً وبهتاناً للإسلام، وهذا تشويه لصورة الإسلام والمسلمين.

الأحداث التي يعملوها دوماً ما هي إلا مسلسل فظائع لتشويه الإسلام، لكن الصوفية في رعايتهم للآخرين، وفي حُسن تعاملهم، وفي توادهم، وفي تعاطفهم مع المسلم وغير المسلم هم الذين يجعلون الناس يدخلون في دين الله ﷻ أفواجاً، لإعجابهم بحُسن أخلاق وأوصاف المسلمين.



٢٧- التصوف والسلبية

يقول البعض: أن السلبية ثمرة من ثمرات التصوف، فما قول فضيلتكم؟

من يقول ذلك يحكم على الصوفية بالنظر إلى طائفة تنتسب إلى التصوف، وليست من الصوفية في شيء، فبعض المتعطلين والمتبطلين والمتسولين والشحاذين وخاصة الذين يلتفون حول أضرحة الصالحين بُغية المكاسب، وحتى يخدعوا الناس يدَّعون أنهم صوفية بثيابهم وبعماماتهم وبحركاتهم، لكن التصوف بريء من هؤلاء.

فالذي يحكم على الصوفية لا بد أن يدرس كل الطوائف الصوفية، ويُنحِّي كل الطوائف السلبية، ويحكم على الطوائف الإيجابية التي تملأ الحياة عملاً وحياة وإسعاداً للبشرية جمعاء .... فهؤلاء ليسوا صوفية، وإنما هم حُثالة تنتسب إلى الصوفية، والصوفية أنفسهم يبرأون من كل هؤلاء.

رُوي أن شقيق البلخي ﵁ تقابل مع إبراهيم بن أدهم ﵁، وكان شقيق قد توكَّل على الله، فقال له إبراهيم: لِمَ توكلت على الله؟ فقال: رأيتُ طائراً أعمى فوق شجرة ونسراً يأتي له بطعامٍ ويضعه في فمه، ثم يذهب فيملأ فمه بالماء ويضع فمه في فم الطائر ويسقيه، فقلتُ هل أنا أعجز عند الله ﷻ من هذا الطائر؟! فقال إبراهيم بن أدهم: ولِمَ لا تكون أنت النسر الذي يُطعمه؟!لماذا ترضى لنفسك أن تكون الطائر الأعمى؟! لماذا لا تكون أنت الأعلى؟ وهذا حال الصوفية، كما قال ﷺ: { **الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى** }[112]

سيدنا عثمان بن عفان ﵁ كان يتاجر وينفق، وسيدنا عبد الرحمن بن عوف ﵁ كان يتاجر وينفق، وقالوا في أمثال هؤلاء: (الصوفي الغني الشاكر خيرٌ من الصوفي الراضي الصابر).

لأن الغني الشاكر ينفع نفسه وينفع غيره، والثاني يريد أن يُحمِّل نفسه عالة على غيره، وليس ذلك من أمر التصوف الصحيح، ولكن هذا من عدم فهم في الصوفية، فالسلبية هم طائفة لا يريدون مواجهة الحياة، ولا الاعتماد على الأسباب التي خلقها الله، ويريدون أن يظلوا عالة على خلق الله، ولذلك يتركون العمل، ولذلك لا يحقق الله ﷻ لهم أمل، لأن الله سنته في عباده لا بد من الأخذ بالأسباب التي أمر بها مسبب الأسباب، مع الإعتماد على الله ﷻ في كل أمرٍ وفي كل شأن.

---

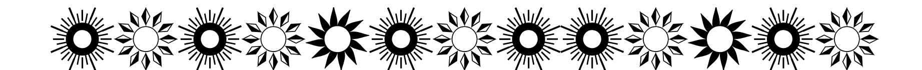
١١٢ البخاري ومسلم عن ابن عمر ﵄

الباب الخامس

بين الشيخ والمريد

الباب الخامس

بين الشيخ والمريد



١-بيعة المريدين لأشياخهم

ما حكم البيعة التي يبايعها المريدين لشيخهم؟

وهل هناك دليل من الكتاب والسنة يؤيد هذه البيعة؟

البيعة معناها أني أريد أن ألتزم، وأريد أن تلتزم نفسي معهم، فأسوقها إلى حضرة النبي ﷺ، أو إلى وارث لحضرة النبي لكي أعاهده بأن تستقيم، وأن تمتنع عن المعاصي بالكلية، وأن تقبل على الطاعات والقربات طمعًا في رضوان الله ﷻ، فهذا يكون ألزم للنفس.

والبيعة أخذها سيدنا رسول الله على أصحابه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (١٠الفتح)

أين هذه البيعة؟ ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ والشجرة ليست الشجرة التي قطعها سيدنا عمر، لكنها شجرة الأسماء والصفات الإلهية الظاهرة في الذات المحمدية: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ .

فما نتيجة البيعة؟ وما فائدتها؟ ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١٨الفتح) فتحاً قريباً من القريب ﷻ، غير الفتح الآخر إن كان عسكري أو غيره، لكنه فتح قريب من حضرة القريب ﷻ.

فالذي يريد الفتح الرباني، والذي يريد السكينة من الله، والذي يريد أن يلتزم مع مولاه، ويحشر مع الصالحين في الدنيا والآخرة من عباد الله، لابد أن يلزم نفسه بالجهاد، فيأخذها لرجل من ورثة رسول الله، ويأخذ العهد عليه، فكلما أرادت نفسه أن تميل به يقول لها إني أخذت العهد، فهذه تمنع النفس وتحجبها عن المعاصي والمخالفات، لأنه يُذكِّرها بأنها أخذت العهد، وخيانة العهد ليست من الإيمان.

عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ التَّيْمِيَّةِ، قَالَتْ:

{ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِنُبَايِعَهُ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جِئْنَا لِنُبَايِعَكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَعْتُنَّ ، قَالَتْ : قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا ، بَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : اذْهَبْنَ ، فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ ، كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ } ١١٣

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، رضي الله عنه، قَالَ:

{ أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ فِي الْقُرْآنِ ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فَمَنْ أَصَابَ مِنْكُمْ حَداًّ ، فَعُجِّلَتْ لَهُ عُقُوبَتُهُ ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ ، وَمَنْ أُخِّرَ عَنْهُ ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ عز وجل إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ } ١١٤

١١٣ مسند أحمد
١١٤ مشكل الآثار للطحاوي، والبخاري ومسلم بروايات مختلفة

هناك بيعة للنساء، وهناك بيعة للرجال، والفرق بينهما أن بيعة الرجال فيها الجهاد في سبيل الله والقتال, لكن بيعة النساء ليس فيها هذا الشيء فهن ليس عليهن قتال.

لكن كل التعليمات الأخرى هم فيها سواء: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (٣٥الأحزاب).

فالبيعة مذكورة في القرآن ومذكورة في السنة أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يأتونه ويبايعونه، وكان ﷺ وهذه في صيغة البيعة والتي ينفذها الصالحين يسألهم فيقول:

{ هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لا ، فَأَمَرَ بِغَلْقِ الْبَابِ، فَقَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ وَقُولُوا : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، قَالَ: فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً ثُمَّ وَضَعَ نَبِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ يَدَهُ }[١١٥]

والبيعة قد يكون فيها لمس أو مسك الكف، وهذا لكي يسرى النور الذي يأتي من حضرة النور في كل

---

١١٥ مسند أحمد والطبراني شداد بن أوس رضي الله عنه

هيكل المريد، فعندما تكون البيعة والإنسان قلبه صحيح وسليم يشعر بسريان النور في كل جوارحه في الحال، فكلمة (لا إله إلا الله) من الوارث تهز كل كيانه، وتؤثر على كل ذراته الداخلية والخارجية، لأنها سنة من سنن رسول الله ﷺ.

والذي نفعله ما هو إلا تجديد البيعة، فنحن في الأصل بايعنا قبل القبل الله ورسوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ (١٧٢الأعراف)، فالذين عاشوا مع حضرة النبي جدد لهم البيعة حضرة النبي، والذين لم يعيشوا في زمن حضرة النبي فهناك وراث النبي، لذلك قال ﷺ:

{ **طُوبَى لِمَنْ رَآنِي، وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي، وَآمَنَ بِي** }[116]

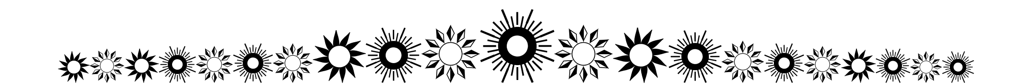
وكما ورد في بعض الآثار عن حضرته ﷺ: { من أراد أن يراني فلينظر إلى ورثتي } فهم الذين يجددون بالنيابة عن حضرته العهد على المؤمنين الذي أخذوه في حضرة رب العالمين ﷻ، لذلك لو أردت أن أجدد العهد مرة ثانية أو ثالثة أو رابعة فليس هناك أي مانع، قال ﷺ في ذلك:

---

١١٦ الحاكم وابن حجر عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه

{ جَدِّدُوا إِيمَانَكُم }[١١٧]

جددوا إيمانكم دائماً لكي تكون النفس في ذكرى وعبرة، وتسير باستمرار على الطريق القويم والمنهج المستقيم.



١١٧ مسند أحمد والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢- طاعة المريدين للشيخ

يؤخذ على الصوفية طاعة المشايخ والخضوع لهم والاعتراف بذنوبهم بين أيديهم والتمسح بأضرحتهم بعد مماتهم، ما رد فضيلتكم؟

***

هذا السؤال منقسم إلى جزئين، الجزء الأول مقبول ومعقول، أما الجزء الثاني لا يفعله إلا جهول، والصوفية الحقة ليس فيهم جهول.

أما طاعة المشايخ فلأنهم يعلمون أن مشايخهم لا يأمروهم إلا بما فيه مصلحتهم ومنفعتهم، لا يرجون منهم دنيا دنية، ولا أشياء شخصية، ولا أي شيء من الأشياء التي تشغل الإنسان في حياته الكونية، بل شعارهم: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان).

رزقهم الله ﷻ نور البصائر، وفرغ الله ﷻ من سواه لديهم السرائر، فأصبحوا ينظرون بنور الله، ويكاشفون بخواطر القلوب بفضل الله وبإكرام الله جل في علاه، وهؤلاء يدلون الإنسان على عيوب نفسه ليتجنبها، ويفتحون له باب المكارم التي إذا قام بها يُكرم من عند الله، ويكون له منازل عالية في القرب من مولاه، أمثال هؤلاء ألم ينبغي طاعتهم؟! لا بد من طاعتهم.

ولقد ضرب الله لنا المثل في ذلك بالنبي الكريم الكليم الذي هو من أولي العزم من الرسل، عندما أرسله الله إلى ولي حكيم، والنبي أعلى في المقام درجات لا عد لها ولا حصر لها من الولي، لكنه عندما أرسل إليه في مقام التعليم علمنا أن كل من يدخل في مقام التعليم لابد أن يكون أدبه كأدب موسى الكليم: ﴿ هَلْ

أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (٦٦الكهف) لم يفرض نفسه عليه بل طلب منه الأذن للدخول عليه.

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ (الكهف) فما النتيجة؟ وما أدب المريد؟ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ (٦٩الكهف) هذا كلام رب العزة ﷻ.

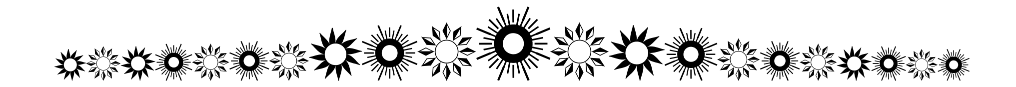
ولذا تروي لنا كتب الصالحين حكايات عظمى في هذا المقام، فهذا الشيخ سليمان الداراني ﷺ وكان من أكابر أولياء الله في الشام، وكان له تلميذ نجيب إسمه أحمد بن الحواري ﷺ، فذهب إليه التلميذ، وصادف عندما ذهب إليه أن كان الشيخ في حالة وله، أي في حالة فناء عن الأكوان، وجمع على الواحد الديان، ولا يشعر بمن حوله من بني الإنسان، وهذه حالة تحدث مع الأولياء الصادقين قبل بلوغهم رتبة التمكين،

فسلم عليه، فقال له: من أنت؟ قال أحمد، قال اذهب وضع نفسك في الفرن، والفرن أمام منزل الشيخ وموقدة، فدخل التلميذ في الفرن، ولما رُدَّ الشيخ إلى حالته قال لمن حوله: الحقوا أحمد، لقد واثقني وعاهدني على أن لا يعصى لي أمراً، وقد أمرته أن يضع نفسه في الفرن، فذهبوا إلى الفرن ووجدوا النار حوله وهو في وسطها ولكنها لم تؤذه حتى بحرارتها، وهذا ببركة طاعته لشيخه رضي الله عنه!!.

على الجمر قف أن أوقفوك تواضعًا	يكن لك برداً بل سلاماً ورحمة

شخص آخر ذهب إلى شيخه، وقبل أن يذهب إلى شيخه ذبح ذكر بط ووضعه على النار ليستوي، وقال أذهب إلى الشيخ حتى ينضج ثم أرجع لآكله، فذهب إلى الشيخ، فقال له: اجلس معنا اليوم، فأخذ يتعلل ويعتذر لكي يذهب ويأكل البط، وفي النهاية قال له: اذهب، فذهب، وقبل وصوله إلى منزله فوجئ بكلب يحمل البطة في فمه ويجري، فحُرم من الذي قالت له نفسه، فرجع مرة أخرى إلى شيخه، فقال له: الذي لا يسمع كلام المشايخ الكلاب تأكل أكله!!.

لكي نعرف أن طاعة هؤلاء واجبة، لأنهم لا يبغون لأنفسهم نفعًا ولا شرفًا ولا تكريمًا، وإنما يبغون مصلحة المريد، فالمريد إذا كان مثل الطفل البليد، أخاف عليه، وأعطيه الذي به مصلحته، ولكنه ليس به فائدة لأنه يمشي على حسب هواه، فهذا المريد يكون كالطفل البليد، وهذا الذي يقول سمعنا وعصينا، أما من قول سمعنا وأطعنا فهذا يقوله الله فيه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأَتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (النساء).



٣- بين المريد وشيخه

ما واجب المريد نحو شيخه؟ أو أدبه نحو شيخه؟ وما واجب الشيخ مع مريده؟ كيف تكون العلاقة بينهما؟ وكيف نردُّ على من يتهمون هذه العلاقة من الذين يدعون الإلتزام والتَّسلُّف؟

☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼

سبق أن وضحنا هذه العلاقة في كتبنا وقلنا باختصارٍ شديد أن واجب المريد نحو شيخه كواجب الإبن نحو أبيه، فالأب يُربي الجسم وله عليه حقوق، ومربِّي الروح إن لم يكن له حقٌ أعلى فليكن له نفس الحقوق، لأن هذا مربي وهذا مربي، وهي نفس الواجبات من الإبن لأبيه.

أو نستطيع أن نقول: كأدب أصحاب رسول الله مع حبيب الله ومصطفاه، وهذا الأدب لم يتركه الله ﷻ للنفوس، ولكن جاء به في كتابه الكريم، ووضَّح كل ما ينبغي أن يلتزم به الصحابة والأتباع والمريدين والمحبين من عصره إلى يوم الدين في كل صغيرة وكبيرة مع سيد الأنبياء والمرسلين.

والرسول ﷺ جعل العلماء العاملين ورثةً عن حضرته في كل زمانٍ ومكان، والوارث له حكم مورثه مع الاحتفاظ بمكانة الحبيب ﷺ، فإنه صاحب الرسالة وهو سرُّ هذه الشريعة المطهرة صلوات ربي وتسليماته عليه.

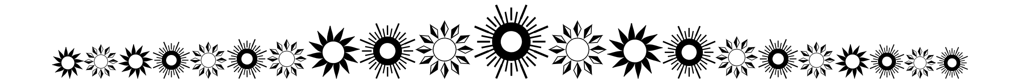
{ أَتَتْ امرأة إلى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ أَجِدْكَ ؟، قَالَ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ }[118]

فكأنما أشار إلى الوارث، والوارث له حكم مورثه من حيث الأدب، ومن حيث الإلتزام، ومن حيث الطاعة، ومن حيث المحبة، ومن حيث السمع، كما ذكر الله ﷻ في آيات كتاب الله سبحانه وتعالى الواسعة الجامعة.

وواجب المرشد أو المربي أو الشيخ نحو مريديه كواجب الأب نحو أبنائه تماماً بتمام، أو كواجب الرسول ﷺ نحو أتباعه، يوجههم ويعلمهم برفقٍ ورحمةٍ وخفض جناحٍ ولينٍ: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٨٨الحجر) لا بشدة، ولا بغلظة، ولا بقسوة، ولا بزجر، ولا بوعيد، ولا بتهديد: ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ (١٥٩آل عمران).

١١٨ البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه

إذاً علينا باستقراء كتاب الله، واستنباط الآداب الواجبة فيه، وأظن أننا جمعنا الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأدب الواجب نحو رسول الله وشرحناها وفصلناها وجعلناها في كتاب خاصٍ بها وسميناه: (الآداب القرآنية مع خير البرية) أخذنا الآيات التي تتكلم عن هذا في القرآن، واستعرضنا أقوال المفسرين السابقين، وأضفنا ما ألهمنا به رب العالمين نحو هذه الآداب مع رسول الله الموجودة كلها في كتاب الله ﷻ.



٤- بين المريد والمراد

ما الفرق بين المريد والمراد، والطالب والمطلوب؟

الفرق بينهما يكون في بداية الأمر، وإذا حدث للإنسان الفضل من المتفضل عز وجل، فإن الإنسان في بدايته يكون له رغبة في مودة الله عن طريق عمل الطاعات، والتنافس في الصالحات، والمسارعة في الخيرات، والإقبال على الصالحين والصادقين ومصاحبتهم والجلوس معهم وسماع أحاديثهم.

فإذا صدقت رغبته وطابت محبته، أحبه الله ﷻ، مع أن الحب في البداية من الله: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (٥٤المائدة) فإنه لم يتوجه من البداية إلى الله إلا لأن له محبة سابقة عند حضرة الله ﷻ، وإلا ما وجهه الله ﷻ إليه.

فإذا أحبه الله ﷻ لِما هو عليه من الأخلاق الكريمة، والعبادات الخالصة، والنوايا الطيبة، والأعمال العظيمة انتقل من مريد إلى مراد، يعني بعد أن كان له رغبة، أصبح الله ﷻ هو الذي يرغب في مودته – مع الفارق بين الإثنين – وهو الذي يريد أن يقرِّبه من حضرته، وهو الذي يريد أن يحادثه.

وفي هذا قيل للإمام عليٍّ ﵁ وكرَّم الله وجهه: كيف حالك مع الله؟ قال: **(حال عبدٍ إذا سألت أُجبتُ، وإذا سكتُّ أُفتحت بالكلام)** يعني عندما أسكت هو الذي يفتتحني بالكلام لمحبته ﷻ.

وهذا الأمر موجود في كتاب الله، عندما قال الله ﷻ لسيدنا موسى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ (٣٩طه) من الذي ألقى عليه المحبة؟ الله:، فلمَّا ألقى عليه محبته كان الله ﷻ دائماً وأبداً يريد أن يستمر في مواصلته، فقال له في حالة المناجاة: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ (١٧طه) وهل الله ﷻ لا يعلم ما في يمينه؟! أو لا يرى ما في يمينه؟! ولكنها محادثة المؤانسة، وعلم موسى ذلك، فكان ينبغي أن يقول: هي عصاي، ولكنه فرَّع وقال: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ (١٨طه) وهل الله ﷻ لا يعلم بذلك؟! ولكن موسى للذيذ الخطاب استمرَّ في الجواب، لأنه كان يتلذذ بخطاب العزيز الوهاب ﷻ.

فيكون في بساط الجمال على بساط الدلال، ويكون بينهما ذوقٌ في مقام الوصال، فينتقل إلى مقام المحبوبية لله ﷻ من مريد إلى مراد، من مُحب إلى محبوب، والمحبوب قال فيه ﷺ ليُعلِّمنا فضل هذه المكانة:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ } [119]

ارتفع عنه هذا الأمر، لأن الله يتولاه بحفظه، فيحفظه من خطور الذنب على قلبه، أو الوقوع في الذنب بعُضو من أعضائه: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ﴾ (٦٤يوسف) يحفظه الله ﷻ.

وهذا ما رأيناه في قصة يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، فقد كانت زُليخة شديدة الجمال، بهيّة الطلعة، رائعة الوجه، وكان يوسف شاباً في ريعان الشباب، وغلّقت الأبواب، وصرفت الخدام وتهيأت له، وقالت: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ (٢٣يوسف) وفي بعض القراءات ﴿ هُيِّئْتُ لَكَ ﴾ أي أنا جهَّزتُ نفسي لك، لكنه قال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ فما الذي حفظه؟ مولاه ﷻ.

هل يستطيع إنسان في حالة البشرية بدون الحفظ الإلهي أن يحفظ نفسه مع هذه الدواعي من المعصية؟ لا والله، لا يتم الحفظ إلا إذا تولى المرء حضرة الحفيظ ﷻ: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٦٤يوسف) فحفظه الله ﷻ لأنه كان من عباد الله المحبوبين.

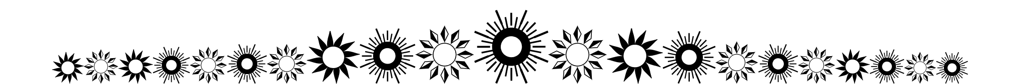
فيحفظه الله ﷻ من الوقوع في الذنب، أو خطور الذنب على قلبه على حسب المقام، فمن الأولياء من يبلغ مقاماً يحفظه الله ﷻ من أن يخطر حتى بقلبه أي ذنبٍ لشغله بالله عما سواه.

---

١١٩ الرسالة القشيرية وتاريخ بغداد عن أنس رضي الله عنه

ومنهم من يكون ما زال فيه أثرٌ للبشرية فقد يخطر الذنب على قلبه، وتحاول الأعضاء أن تنفِّذ، فيتدخَّل الحفيظ ويحفظه من التنفيذ، ويدخل في قوله ﷺ عن حضرة الله: { **مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ** }[120]

لأن الله ﷻ حفظه، وهذا باختصار الفارق بين الإثنين، نسأل الله ﷻ أن يبلغنا المقام الأكمل فيهما.



١٢٠ صحيح مسلم ومسندأحمدعن أبي هريرة رضي الله عنه

٥ حال المريد مع شيخه

(كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي مُغسِّله) نرجوا توضيح هذا القول؟

هذا القول يوجد فيه شيء من المجاز، وهو ما يسمى بالكناية, كناية على أن الإنسان إذا سلَّم لشيخه ينبغي عليه أن لا يكون في نفسه اشمئزاز أو اعتراض على أي أمر يأمره به شيخه, مادام هذا الأمر لا يخالف شرع الله, ومادام هذا الأمر يوافق سنة رسول الله ﷺ, أما ما يخالف الشرع فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﷻ، وهذا كما تقول الآية القرآنية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء).

والشجار من الجائز أن يكون بين الإنسان والجار، أو الإنسان وشخص آخر في هذه الدار, ومن الجائز أن يكون الشجار في نفس الإنسان، فتوجد النفس الإبليسية التي لها طلباتها, والنفس الحيوانية التي لها طلباتها, والنفس الملكوتية التي لها طلباتها, فيحدث بينهم شجار على الإنسان، فكل واحدة تريد أن تهيمن وتسيطر, فلا بد من تحكيم الحكيم الخبير المأذون من العلي الكبير، فهو الذي يفض هذا الشجار ويجعلهم كما قال الله: ﴿ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء) يسلموا تسليمًا تامًا.

وقبل التسليم مباح للإنسان الطالب أن يسأل ما يريد، لكن ما دام سلّم فالسؤال معناه أنه متشكك، والمتشكك لا ينفع في طريق الله ﷻ, ولذلك قال سيدنا موسى لشيخه: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ

مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الكهف) فما أول شيء ينبغي أن يؤهل المريد عليه نفسه؟ الصبر الطويل مع شيخه.

فلا يقول أنا لي خمس سنوات ولم أر شيئًا، لكن حاسب نفسك، الشيخ لم يحجز عنك شيئًا، فإن كان هناك تأخير فمن عندك، وليس منه، ولو كان يوجد بطء فمنك، ولو كان يوجد بُعْد أو غلظة أو قسوة فكل هذا منك: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (٧٩النساء).

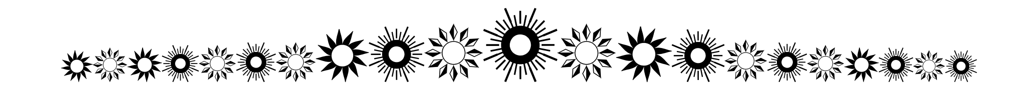
ارجع الأمر على نفسك، ولا ترجعه على شيخك، حتى لا تضحك عليك نفسك وتقول أن الشيخ لا يحبني ولا يريدني، ولا يريد أن يرقّيني، فهذه مصيبة كبرى

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ ﴾ (٦٩الكهف) سلّم بالكلية: ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾ (٧٠الكهف) فإذا سلَّم لا يسأل.

لكنه تأتي له أشياء في صدره، فإذا سلَّم فالأسئلة التي في صدره تأتي له الإجابة عنها أولًا بأول بغير طلب ولا سؤال في كلام شيخه في أي مكان وفي أي زمان، وهذا الذي تعلمناه مع مشايخنا رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فأنا صدري يكون مملوءًا بالأسئلة فعندما أجلس مع الشيخ ويتكلم - حتى في أحاديث عادية - أجد الأسئلة يتم الإجابة عليها واحدًا بواحد إلى أن تنتهي جميعًا من غير أن أسأل، ما هذا؟ هذه معاملة الصالحين كلهم، يأتي في درس مثل هذا فيجيب على السؤال الذي تريده، أو حتى في دردشة مع شخص، لكن المقصود بها أنت، ويجيب بما في صدرك وهو يتحدث مع الآخر.

ولذلك لابد أن يكون الشخص منتبهًا، فعندما يسلِّم الإنسان لشيخه فلا يسمح لنفسه أو قوى نفسه أن تنازعه، لأنه لو نازعته نفسه خرج من دائرة القوم، ولم يفلح في هذا السبيل، وهذا هو معني العبارة التي أتوا بها بتشبيه بليغ أو كناية، أو على هذا النسق.



٦- تزكية الشيخ للمريد

كيف يزكي الشيخ مريده؟وهل التزكية بالعبادات؟

التزكية بالأحوال، فقد قالوا: (بالحال تزكية النفوس لا بالفلوس ولا بالدروس) فالعبادات أجرها حسنات يأخذها العبد يوم القيامة ويدخل بها الجنات، لكن الذي يريد الإشراقات، والذي يريد الأنوار البينات، والذي يريد الفتوحات الساطعات فلا بد أن يبحث عن عارف تقي نقي، لكن المهم أن يُسلِّم، فإذا سلَّم والتزم بما يمليه عليه شيخه؛ تأتيه الواردات الروحانية من المصطفى خير البرية على يدي شيخه.

فالشيخ ليس معه شيء، لكن معه توكيل من البشير النذير ﷺ، فهذه البضاعة لا تذهب إلا لوكيل معتمد، فلا يجد منها بضاعة مغشوشة في السوق، ولا بضاعة مزورة، لا بد أن يكون معه توكيل، لكن لمن يعطيه؟ يعطيه لإنسان نبيل سلَّم تسليمًا كليًا، ولا يريد أن يأخذ هذه العلوم لكي يكون بها شيخًا في الدنيا، ولا يريد أن يأخذ هذه العلوم لحب الظهور، لا بد أن يطهره من كل هذه الأوصاف الدنية الدنيوية حتى يتأكد أنه ليس له في القلب بقية إلا للحضرة الإلهية والحضرة المحمدية.

بعد ذلك يفيض عليه العطايا الإلهية، والنظرات النبوية ببركة سيدنا رسول الله ﷺ, وفيها يقول الإمام أبوالعزائم رضي الله عنه:

وإن نظرْت بعيني	للعبد قد صار مولى
إن فتحت كنوزي	أغنيت قولاً وفعلاً
ناديت إني قريب	هلا تقربت هلا

فهذه الأمور واضحة، ليس بها شك ولا لبس بل لا بد أن يكون:

فسلم لأهل الحال روحك واعتقد	تفز بنوال الراح عند شهوده

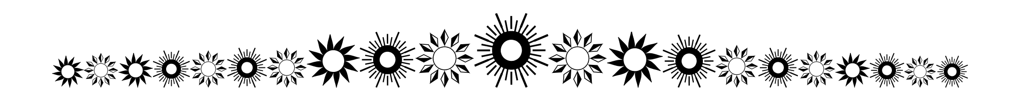
عند شهوده ﷺ, فمن يسلّم؛ يصل إلى هذه الحالة، لكن الأزمة الكبرى التي نعاني منها التسليم، وخاصة في هذا الزمان، فهو شيء صعب.

لا يوجد أحد يسلِّم!!!!؟؟؟

فالكل مسلِّم لنفسه !!!!؟؟؟؟؟

ونفسه تحركه وترسله كما تريد، وهو يتبع هواها، ويأتي الشيخ فيقول له شيء، فتؤوله نفسه لكي تسيّره على هواها، والهوى ليس له دواء.

فمرض الهوى هو الذي يمنع كل العطاءات الإلهية، وكل المنح الربانية، وكل الإكرامات النبوية: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١ ﴾ (النازعات) الجنة العاجلة هي جنة الرؤيا وجنة الشهود وجنة المعرفة لله ﷻ، وهذه غير جنة الزخارف التي في الدار الآخرة إن شاء الله.



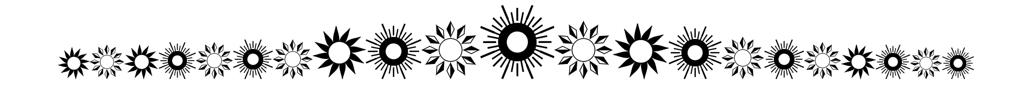
٧- البحث عن المربي

كيف أبحث عن المربي؟

الأمر لا يحتاج إلى البحث فقط، وأهم ما يحتاج إليه الإنسان للحصول على المربي الإستعانة بالله، ولذلك يقول سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ: (**إذا أردت العثور على المرشد فادعُ الله في سجودك دوماً وقل: اللهم دلني على من يدلني عليك**).

فتبدأ أولاً بالدعاء، ثم تشتغل بما ورد عن رسول الله من أذكار، وتُكثر من الصلاة والسلام عليه ليل نهار، وبعد ذلك تبحث عمن تصدَّى للصلاح في عصرك، وتزنه بموازين القرآن.

فإن الله ﷻ جعل أئمة صالحين، وهناك أئمة مرشدين، فالصالح لنفسه، يعني قد تكون دعوته صالحة لكن لا يُطالب بإرشاد غيره، يعني يقول: ليس لي شأن بأحد، أما أئمة الإرشاد فيقول فيهم الله: ﴿ **وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ﴾ (١٧الكهف) فليس ولي فقط، لأن الأولياء كُثُر، لكن ولي مرشد



٨- أوصاف الولي المرشد

وما أوصاف الولي المرشد؟.

الوصف الأول: لا بد أن يكون عالماً بالشريعة التي جاء بها سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، ويقول في ذلك سيدي محي الدين بن عربي رضي الله عنه:

لا تقتدي بمن زالت شريعته	ولو جاك بالأنبا عن الله

حتى لو أتاك بالأخبار عن الله إياك أن تتخذه قدوة، فقد يكون مجذوباً، والمجذوب ليس قدوة، فلا نعترض عليه ولا نقتدي به، لكن من أقتدي به لا بد أن يكون عالماً بالشريعة.

الوصف الثاني: لابد أن يكون على بصيرة لقول الله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨يوسف) وهذه البصيرة نلحظها في صُحبة المرشد الكامل، فنجد أن الله يطلعه على أمورٍ نعلم يقيناً أنه لا يعلمها إلا الله ﷻ إلهاماً له، أو تأييداً له، أو تسديداً له، حتى نعلم أنه مقامٌ من لدن الله ﷻ.

الوصف الثالث: أن يكون هذا الرجل من الذين يقول الله فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩الأحزاب) مُجمَّل بمراقبة الله، والخوف من الله، والخشية من الله ﷻ، لأنه قد يكون عالماً بالشريعة لكنه غير مجمل بالخشية، وهؤلاء يفتحون على أنفسهم أبواب الشبهات، ويبحث لها

عن حل في الشريعة، فإذا كان لا يخشى الله يأتي بالحِيَل للناس، لذلك الناس يذهبون إليه ليحلُّ لهم المشاكل ويخرجهم منها، لكن بطريقة تنافي ما ورد عن صحيح الدين عن سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فكما قال الإمام الغزالي ﵁ في كتابه إحياء علوم الدين: ((علم الشريعة وهو أشرف العلوم إذا لم يصحبه عمل لم يزدد العالم به إلا قسوة)) قسوة في القلب،.فلابد أن يكون عالم عامل، ومعه علامة العمل وهي الخشية والخوف والورع ومراقبة الله ﷻ.

الوصف الرابع: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا ﴾ (٢١يس) لا يطلب مني بحاله ولا بقاله شيئاً من الدنيا الدنية، فمن يطلب بلسانه، أو بلسان من حوله، أو بحاله، يعني يحكي حاله، ليجمعوا له شيئاً، فهذا لا يصلح لقيادة طريق لله ﷻ، لأن من اعتمد على الله أغناه وكفاه: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق)

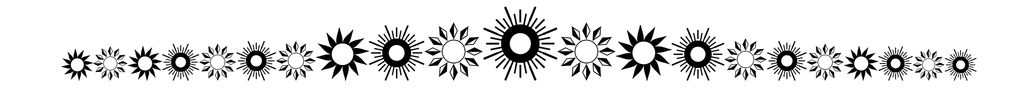
وقالوا: (**شيخك من يُعطيك لا من يأخذ منك**).

الوصف الخامس: أن يكون معه إذنٌ صريح من سيدنا رسول الله ﷺ بإرشاد الخلق إلى الخالق ﷻ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ (٤٦الأحزاب).

وعلامة الإذن تكون واضحة جداً في أن يجمعهم على الصادقين والمخلِصين والمخلَصين، أما غيره فيتبعه المنافقين والطالبين للدنيا والمصالح والعلل النفسية والدنيوية، وهذا لا يصلح إماماً للدين.

إذا وجدت هذا الرجل الذي فيه هذه الأوصاف التي ذكرناها أعُض عليه بالنواجذ، لأنه قلَّ أن يجود الزمان بأمثال هؤلاء إلا الواحد بعد الواحد: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (٢٤ص)

وهذا الذي أمرنا الله أن نداوم عليه ونحرص عليه، وقال لنا في شأنه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) وهؤلاء الذين يرفعون شأنكم إلى مقعد صدق عند مليك وقتدر.



٩- الولي والشيخ المربي

ما الفرق بين الولي والشيخ المربي؟

الولي الذي والى حدود الله، وقام بما عليه من الواجبات والتشريعات نحو مولاه، فحقق الله ﷻ له مناه، وجعله مستجاب الدعاء، وحقق الله له الرجاء، لكن لم يُؤذن له في إرشاد غيره من خلق الله إلى طريق الله ﷻ، فإن هذه مسئولية تقتضي تأهيل من الله ومن الحضرة المحمدية.

وأنا عن نفسي عندما كنت أبحث عن الولي المرشد الذي أمشي خلفه، فذهبت لسيدنا الشيخ أحمد حجاب ﷺ وأرضاه وكان هو الذي يصلي بنا في مسجد السيد البدوي في الضريح في كل الصلوات، وكان يصلي بنا التراويح في رمضان عشرين ركعة بجزء كل يوم، وكان ماشاء الله صوته عظيم في قراءة القرآن، وكان له حجرة في المسجد، تفرغ فيها للعبادة، لأنه بعد أن حصل على شهادة كلية الشريعة، وكان له شيخٌ إسمه محمود بن الشريف، فقال لشيخه: أريد الزواج، فقال له: اقرأ في القرآن، فمكث يقرأ إلى أن وصل إلى: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ (٩٧طه) قال له: توقف، فعرف أنه ليس له في الزواج، وعاش إلى مائة وخمسة سنة، وتفرغ للعبادة.

وأنا زُرتُه فقال لي كلمة لم أدركها وقتها ولكن عرفتها فيما بعد، فقال لي: **(هو أنا شلت نفسي لما أشيل غيري؟!)** فابحث لك عن أحد المشايخ الآخرين، وهذا معناه أنه لا يستطيع أن يحمل غيره.

والإشارة الإلهية واضحة إذا كان لم يستطع أن يحمل زوجة ولا أولاد في الحياة الدنيا، فلا يستطيع أن يحمل

أولاداً أيضاً في الحياة الروحانية، فليس له في هذا الأمر ،مع أنه رجلٌ صالح ودعاؤه مستجاب، لكن هذا إسمه ولي لنفسه، وهذا لا نعترض عليه، ولا نقلده، لأن أمره خاص، فليس لنا شأنٌ به،.

ومن نحتاج؟ نحتاج الولي الذي أُذن بالإرشاد، مثل النبي والرسول، النبي مُبلَّغٌ بشرعٍ يقوم به في نفسه، ولكنه ليس مكلفاً بتبليغ الأمة، لكن الأمة تتبع الرسول لأنه مكلف بشرعٍ له، ويأمر به غيره.

فالولي المرشد الذي أقامه الله، وأذن له سيدنا رسول الله، وهذا يُعطيه الله ﷻ من الإمكانات الروحانية والعطاءات الإلهية ما يُربي غيره، ولا ينشغل عن الله في نفسه طرفة عينٍ ولا أقل، وهي خصوصية شديدة.

لكن الآخر لو أرشد غيره قد ينسى نفسه، لذلك كل ولي له مقامه، كما قال الله: ﴿ **وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ** ﴾ (١٦٤الصافات).

فالولي المرشد الذي أُذن بإرشاد غيره، وأعطاه الله من القوى الباطنية والقوى الظاهرية ما يُعينه على ذلك، ويبلغه ذلك بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

ولذلك كلهم كانوا على هذه الشاكلة، سيدي أبو الحسن الشاذلي ﵁، عندما كان في شاذُلة فقال الله تعالى له: يا علي انزل اهدِ الناس إلينا، فقال: يا رب تتركني لخلقك هذا يُطعمني وهذا لا يُطعمني؟ قال: يا علي أنفق وأنا الملي، إن شئتَ من الجيب وإن شئتَ من الغيب.

بعدها جاءه سيدنا رسول الله وقال له: يا علي اذهب إلى الإسكندرية فإن لك بها حالاً وستُربي بها رجالاً، أربعين صديقاً: فلان وفلان وفلان وفلان، وأعطاه الكشف، فقال له: ياسيدي الطريق طويل ونحن في زمن الصيف والأرض ليس فيها ماء، قال له: إذا أقمناك أعنَّاك.

فمشى من تونس إلى الأسكندرية وسحابة تظله، وكلما نفد الماء الذي معهم أمطرت السحابة ماءاً، يشربون ويملأون أسقيتهم حتى وصلوا إلى الأسكندرية، كيف هذا؟! إذا أقامك أعانك.

سيدي أحمد البدوي ﵁ وأرضاه كان يتعبَّد في غار حراء في مكة إلى أن جاءه حضرة النبي وقال له: اذهب إلى طنتدا (طنطا) فإنك ستربي بها أربعين رجلاً: عبد العال وعبد المجيد وفلان وفلان، وأعطاه كشفاً بأسمائهم، وطنتدا لم يكن يعرفها، وفي الصباح وهو جالس في الحرم إذا برجلٍ يتعرَّف عليه فسأله: من أنت؟ فقال: أنا فلان وبلدي إسمها طنتدا وأتمنى أن تأتي ضيفاً عندي!، إذا أقامك أعانك، فأرسل له من يأخذه ويجعله ضيفاً عنده.

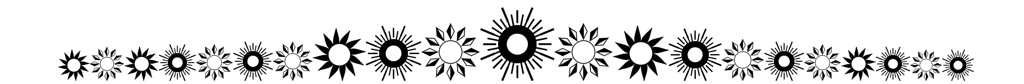
فذهب معه إلى بلده طنطا فسأله أين بيتك؟ فقال: ها هو، فقال له: ليس لي شأنٌ ببيتك وأولادك، واصنع لي سُلماً من الخارج وأنا سأسكن في السطح، لأني لي ضيوف يأتوني من خارج الدار، وليس لنا علاقة ببيتك من الداخل، فانظر إلى الأدب العالي للصالحين رضي الله عنهم وأرضاهم.

فوسَّع الله عليه، وترك الرجل له البيت، لأنه كان عنده أكثر من بيت، وحدث أن كل من ساعده بشيء أصبح ولياً وله كرامات في هذا المجال، فمن اختار أن يكنس بيت سيدي أحمد البدوي أصبح شيخاً للطريقة الكُنَّاسية، أخذ هذه المرتبة في الولاية وأصبح شيخ طريقة، لماذا؟ لأنه ارتضى أن يكنس بيت الشيخ.

والرجل الذي كان يرعى غنم الشيخ، وهو الشيخ الراعي أصبح شيخ طريقة الشيخ الراعي وموجودة إلى وقتنا هذا.

والرجل الذي كان يُجهِّز السطح أصبح شيخ الطريقة السطوحية، وكل واحد كان يقوم بمهمة أصبح ولياً في هذه المهمة، وشيخ طريقة في هذا المجال، لأنهم كانوا يعينوه لله ﷻ، ولا يبغون إلا رضاء الله سبحانه وتعالى.

فحتى من كانوا يعينوه أصبحوا أولياء لله يُشار إليهم بالبنان، لأنهم أعانوه طلباً لمرضاة الرحمن ﷻ، وهكذا كل الصالحين السابقين واللاحقين رضوان الله عليهم أجمعين.



١٠- صفات المربي

ما الصفات والشروط الواجب توافرها في المربي؟

الإنسان يحتار كثيراً عندما يعرف أنه لا بد له من مربي حتى يصل إلى كمال معرفة الله ﷻ، فما أوصاف هذا المربي، وخاصة أن المجال اختلط فيه الحابل بالنابل؟ لو نرجع إلى القرآن سنجد فيه كل ما يحتاجه الإنسان ويجعله في أمانٍ وإطمئنان، فللمربي شروط لا بد من توافرها فيه:

الشرط الأول: أن يكون عالماً بالشريعة قائماً بها، وظهرت عليه لوامع الحقيقة وعلومها نتيجة عمله بالشريعة، ومن هنا فكل من خالف الشرع الشريف طرفة أو أقل لا يصلح لتربية الرجال، ولا يجب أن يُسلِّم أحدٌ له في أي حالٍ من الأحوال، لأن الشريعة هي الواردة عن الله، والتي كان عليها حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فيكون عالماً بالشريعة، وأعطاه الله ﷻ الفهم الدقيق لأحكام الشريعة بحسب الزمان والمكان، لأن الشريعة تدور مع الزمان والمكان إلى أن يرث الله الزمان والمكان، فليس لها حكمٌ ثابت في كل الأحوال، لكن تختلف من حالٍ إلى حال، ومن مجالٍ إلى مجال، ومن رجالٍ إلى رجال.

وهذا هو الوارد عن رسول الله ﷺ في فتاواه المنصوص عليها فيما ورد في سننه صلوات ربي وتسليماته عليه، فكان يُفتي لكل إنسانٍ بما يليق بحاله، وبما يتلاءم مع أحواله، ويُفتي هذا بغير هذا، ومثال لذلك: سأله شاب وسأله شيخ سؤالاً واحداً عن حكم القُبلة في نهار رمضان، فجوَّز ذلك للشيخ، وحرَّم ذلك على الشاب، مع أنه هو نفس السؤال.

فلو أن إنساناً لا يفقه هذه الحقيقة وأعطى إجابة الشيخ للشاب في زماننا فيكون قد أخطأ، ولو أعطى إجابة الشاب للشيخ فكذلك يكون قد أخطأ.

وليس كل الشيوخ في هذه المنزلة، فقد يكون شيخاً ولكنه شابٌ في عواطفه، فيحتاج إلى الإستئناس والسريرة ليُعطي له الإجابة المنيرة، فلكل مقامٍ مقال.

الشرط الثاني: ومع علم الشريعة لا بد أن يكون معه البصيرة: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨يوسف) فلا بد أن تكون معه البصيرة النورانية القرآنية.

والبصيرة يفهم البعض، أو الكثيرِ من الناس أن بصيرة العارف هي أن يكشف لأحدٍ ما فعله بالأمس، أو ما يخبأه في بيته في موضع من المواضع، أو ما دار على لسانه لأحد من الناس قبل المجيء إليه، وليست هذه البصيرة، فهذه قد يطلع عليها الشيطان لمن يخاوي الجان ويهمس في أُذن الإنسان ليُظهر أنه شيخٌ علَّمه الرحمن، وهو شيخٌ للشيطان.

لكن ما البصيرة؟ الكشف عن الأحكام الإلهية في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية لأهلها سر قول الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (١٩القيامة) يُنزل الله ﷻ على قلبه البيان الذي يحتاجه هذا الإنسان، وهذا الإنسان، ولكل إنسانٌ بيان، ولذلك العارفون – ولا يزالون – إذا سُئل أحدهم نفس السؤال من أكثر من شخص، فيُعطي لكل واحدٍ منهم إجابة غير الإجابة التي أعطاها للآخر.

وهنا خطأ يقع فيه كثيرٌ من المريدين، قد يسمع من أخيه أنه سأل شيخه عن سؤال كذا فأجابه بكذا فيأخذ به، وهذا خطأ لأنه ربما الذي احتاجه هذا غير الذي تحتاجه أنت، إذاً ما دام معك المصدر، فلا بد أن ترجع إلى المصدر وتأخذ منه الخبر اليقين: ﴿ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (٢٢النمل).

الشرط الثالث: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥الكهف) أن تكون فيه وراثة الرحمة، فوراثة العلم والكلام يأخذها كل الأنام، لكن وراثة الرحمة خصوصية للحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فيكون عنده في قلبه شفقة لكل الخلق، ورحمة بجميع الأنام، وهذه الرحمة تظهر لنا في التيسير، والتبشير، والبعد عن الزجر والتنفير، فإذا رأيت رجلاً يُنفِّر في كلماته، ودائم التحذير والإنذار، ويترك التبشير في بياناته، فهذا ليس له في الوراثة الكاملة عن رحمة الله العُظمى لجميع العالمين، لأن الحبيب ﷺ كان منهجه:

{ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنْتًا وَلَا مُتَعَنْتًا ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا } [١٢١]

وكان يقول لأحبابه:

{ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا } [١٢٢]

الشرط الرابع: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (٢١يس) لا يريد من أحد شيء، حتى الدعاء، ولا يريد تعظيم ولا تكريم، فضلاً عن حوائج الدنيا الدنية، ولا رغباتها الشهوانية، لأنه لا يريد بعمله إلا وجه مولاه، تأسياً بقول الله عن الإمام علي:﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ (٩الإنسان).

آتاه الله ﷻ بعد ذلك الحكمة وفصل الخطاب، لأنه موضع استشارة الأحباب، وإذا أُستشير يُشير بما ألهمه به العلي الوهاب، فإذا فعل المريد بما أشار به عليه يجد في ذلك الأُنس والصواب في دنياه، ويجد لذلك السعادة الكاملة في أُخراه.

---

١٢١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
١٢٢ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

ناهيك عن أنه يكون شبيهاً بحضرة النبي على قدره لا على قدر النبي، من حيث تواضعه للخلق، ومن حيث رحمته بالفقراء والمساكين، ومن حيث إنتهائه بالكلية من مرض الكبر وداؤه والعُجب والإعجاب بالنفس، فشُفي من كل هذه الأمراض والعلل النفسية والقلبية وأصبح داخلاً في قول الله: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

لكن من يتصدَّر للمشيخة، ويظهر عليه سميا الكبر على المريدين وعلى المحبين، فمال هذا والتصدر في طريق رب العالمين؟!!

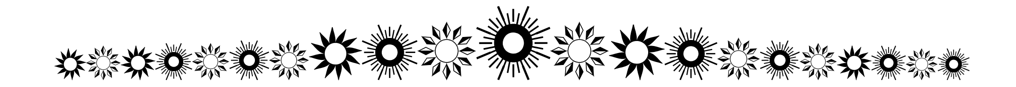
اسمع لسيدي أبو العباس المرسي ﷺ وزِن بأحوال المعاصرين، فقد كان يأتيه المريد في أي لحظةٍ في الليل أو في النهار، فيقول لأصحابه وخدامه:

(إذا جاء المريد وأنا نائم فأيقظوني،!!!

فإن المريد يأتي وله شهوة فلا تطفئوا هذه الشهوة)

ما دام جاء لله، فمن الذي يستطيع أن يمنع أو يصُد من جاء لله ﷻ؟!

فلابد من التواضع الجمُّ كهيئة الحبيب ﷺ، وصفات المرشد الرباني كثيرة، ونكتفي بهذا القدر الذي ذكرناه، ومن أراد التوسُّع فعليه بكتابنا (**المنهج الصوفي والحياة العصرية**) ففيه صفات المرشد الرباني مستوفاة، نسأل الله أن يُعلمنا ما لم نكن نعلم أجمعين.



١١- أدلة البحث عن الشيخ

ما الدليل من القرآن والسنة عن البحث عن الشيخ؟

هناك دليلٌ خاصٌ، ودليلٌ عام، فالدليل الخاص عندما خصَّ الله موسى بعنايته، وقال في شأنه: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ (٣٩طه) فجلس في بني اسرائيل يوماً فسألوه: من أعلم الناس يا موسى؟ قال: أنا، فأغضب ربه ﷻ، لأنه لم ينسب العلم إلى الله، فأمره بأن يتوجَّه إلى مجمع البحرين، ومجمع البحرين الذي حقَّقه العارفون في دمياط في رأس البر، وهذا هو الكلام الصادق وليس لنا شأنٌ بما في بطون التاريخ الذي لا يقبله العقل، ولايوافق عليه النقل.

فمجمع البحرين الذي عندنا هنا في دمياط في رأس البر، والذي هو التقاء النيل مع البحر الأبيض المتوسط، لأن موسى كان في مصر، فمن يقُل أن مجمع البحرين في الخليج العربي، وهل ثبت أن موسى ذهب إلى الخليج العربي؟ لم يثبت ذلك أبداً.

ومن يقُل إنه خليج السويس، وخليج السويس ليس به مجمع بحرين، بل به البحر الأحمر فقط، وقناة السويس مستحدثة ولم تكن موجودة أيام موسى.

لكن مجمع البحرين أيام موسى كان التقاء النيل مع البحر الأبيض المتوسط، وقد رأينا كيف يختلط الإثنان ببعضهما بعد أن يسيرا مسافة كبيرة وكل ماء منفرد بأوصافه لا يختلط بالثاني إلا بعد دخولهما معاً.

والسفينة التي ركبها موسى مع الخضر كانت في دمياط، تنقل من شاطيء إلى الشاطيء الآخر.

فأمر الله موسى أن يذهب إلى عبدٍ، ولكي تعرفوا صفات الصالحين الكُمَّل، فبعض الأولياء يكونون أهل جذب، ويكونون ظاهرين، والناس تذهب لتشاهدهم، لكنهم غير مأمورين بالإرشاد، لكن المرشد الكامل يكون عبداً، وقد لا يعرفه أحد إلا الذي يُعَرِّفه به مولاه لأنه مشغول بمولاه.

هل كان أحدُ يعرف الخضر؟ أو يعرف إسمه؟ أو يعرف عنوانه؟ لا يوجد، وهو لم يعلن عن نفسه لأنه عبداً لله ﷻ.

فسيدنا موسى أخذ تلميذه يوشع بن نون وقال له: هيا نبحث عن هذا الرجل، وسنمشي ولو حتى ثمانين سنة حتى أصل إلى هذا الرجل.

سيدنا موسى عنده استعداد أن يمشي ثمانين سنة ليلقى هذا العبد الرباني الذي يتكمَّل على يديه، مع أنه معه الشريعة، ولكنه يحتاج إلى أنوار الحقيقة.

ما العلامة التي أعطاها له الله؟ قال له: خذ معك سمكة مشوية، وعندما تشعر بالجوع والتعب تعرف أن هذا الرجل موجودٌ في هذا المكان، فحمل يوشع بن نون مقطف وفيه السمكة المشوية، وعند دمياط كان الخضر نائماً بجوار ساحل البحر، ولم ينتبهوا له.

وبعد مدة أحسَّ موسى بالتعب وأحسَّ بالجوع، فقال لتلميذه: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴾ (٦٢الكهف) قال: أنا نسيت، فالحوت احتيا ونزل في البحر!! . إنه حوتٌ مشوي فكيف احتيا؟! قال: كان هناك رجلٌ يتوضأ، وعندما مررنا بجواره تناثرت قطرات من الوضوء على الحوت، فاحتيا ودخل البحر، فقال له موسى: هذا ما نبحث عنه، ورجعا مرة ثانية.

فرجع إلى أن وصل إلى العبد الرباني، وقال له: السلام عليكم، قال: السلام عليك يا موسى بن عمران، قال له: وكيف عرفتني؟ قال: عرَّفني بك الذي أرسلك إليَّ.

وأحب أن يعرفه من البداية فقال له: يا موسى أنت على علمٍ علَّمكه الله لا أعلمه أنا، وأنا على علمٍ علَّمنيه الله لا تعلمه أنت.

وهؤلاء الأقوام يجعل الله الأكوان مسخَّرةٌ لهم يضربون بها الأمثلة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (٦٤النساء) وهو يريد أن يضرب له مثلاً، فجاء عُصفورٌ وشرب من البحر لنعرف أن البحر بحر دمياط، لأن العصفور لن يشرب من البحر المالح، أو من الخليج العربي، أو من خليج السويس.

فقال له: وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر.

ونأتي لبيت القصيد وهو أدب الطالب، فقد علَّمه لنا الله ولم يترك أحداً يعلّمه لأحد، فشرط الطالب الذلة والمسكنة لمن يتعلم منه، قال سيدنا عمر: (تواضعوا لمن تتعلمون منهم، ولا تكونوا كجبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم) وكما قيل: (من علَّمني حرفاً صرتُ له عبداً) لا أتكبر عليه، ولا أتعالى عليه، ولكن يجب أن أكون متواضعاً له.

فقال موسى: ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا ﴾ (٦٦الكهف) ليس علماً، ولكن رشداً، والرُشد هو علم الحقائق: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ (٥١الأنبياء) ليس علمه، فالرشد علم الحقائق الإلهية.

قال له: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴾ (٦٧الكهف) فالشرط الثاني للمريد الصبر الطويل، فقد يمشي مع

الشيخ سنتين أو ثلاثة ولم يتم التطهير، وهو يريد أن يلمس أثر التغيير ويرى كرامة لنفسه ككرامات الأولياء الكبار، لكن أنت لا زلت في البداية، فلا بد وأن تصبر: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ (٢٤السجدة).

لا بد من الصبر، ومن لا يتجمَّل بالصبر فلا يصلح إلا للجمر، فلا يصلح لطريق الله لأنه يحتاج للصبر الجميل، وما الصبر الجميل؟ الذي يخلو من الشكوى، ولا يكون صبر على مضض، لأن من يصبر رغماً عنه، أو من يصبر ويشتكي لهذا ويشتكي لذاك، فلن يصلح.

لا يوجد أحدٌ من الصالحين أقامه رب العالمين ويبخل على أحدٍ من المريدين بفضلٍ كتبه له رب العالمين، إلا إذا كان لم يبلغ الأجل الذي قدَّره له أكرم الأكرمين، وأنت تريد أن تأخذ قبل أن تبلغ الأجل فهذا لا يصح، فلا بد من الصبر.

وأنا أصبر على أي شيء؟ قال له: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ (٦٨الكهف) وافق على الشروط: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ وبعد ذلك: ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (٦٩الكهف) وهذه هي المهمة، فلو عصيت الأمر في باطني واعترضت عليه،فهذا ينطرد: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء).

فلو الشيخ قال لي افعل كذا، فلا يجب أن أقول له: لا، وإلا فعلى الفور العقد الذي بيني وبينه ينفرط، لأن شرط العقد: ﴿ وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (٦٩الكهف).

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٧٠الكهف) في البداية الشيخ قبل كتابة العقد يعطي فرصة للمريد، اسأل في كل ما تريد، فإذا كتبنا العقد فلا سؤال بعد ذلك، لأنك قد سلَّمت، ولكن قبل التسليم وكتابة العقد اسأل كما تريد.

وهذا ما يحدث حتى في البيع العادي، مثلاً تشتري سيارة فتسأل كما تشاء، تسأل عن ثمن السيارة، وتسأل عنها في المرور، وفي كل مكان، لكن لو كتبت العقد فليس لك أن تسأل بعد ذلك.

فلو سلَّمت للرجل، فلا تسأل، ولو جال في صدرك شيء فستأتيك الإجابة عنه بغير سؤال، وهكذا أحوال الصالحين مع كُمَّل الرجال، فلا يسأل أحدٌ فيهم أبداً.

فقد كنت أذهب لشيخي الشيخ محمد على سلامة ﷺ وفي صدري أسئلة كثيرة، فأجد معه واحدٌ أجنبي ويتكلم معه في حديث عام، فأجد إجابة الأسئلة كما وضعتها بالترتيب واحداً تلو الآخر حتى تنتهي الأسئلة، أو تأتي الإجابة في درس من الدروس كالتي نحن فيها الآن.

وهذا الدليل الأول:

الخضر مع موسى، نبي ورسول ومن أولي العزم يتعلم على يد رجلٍ عادي؟! نعم لأن هذا كلام الله.

فكلنا نحتاج إلى هذا الأمر، لأنه إذا كان موسى احتاج إليه فهل لا نحتاجه نحن؟!!.

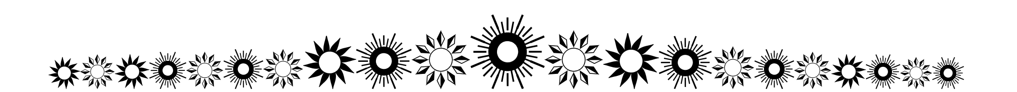
الدليل الثاني:

قال لنا فيه الله: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (١٥لقمان) ابحث عن رجل أناب إليَّ، ورجع إليَّ، وظهرت عليه المواهب الإلهية، فاذهب إليه ليأخذك في طريقه، لتسير فيه حتى تظهر عليك كذلك لوائح المواهب

الإلهية والعناية الربانية.

فإن لم تجد الرجل فابحث عن الصادقين واجلس معهم إلى أن تجد هذا الرجل:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩التوبة) إلى أن تعثر على الرجل الذي قال فيه رب العالمين: ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (١٥لقمان).

إذاً فكلام القرآن كله دعوةٌ لأهل القرآن إلى البحث عن المربي الذي يربي الروح، ويطهِّر القلب، ويُزكّي النفس، ويوصل الإنسان إلى أعلى درجات القرب من الرحمن ﷻ، ويُكتبون في كشوف معية النبي العدنان، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.



١٢- الجهاد والفضل

هل يصل الشيخ إلى مقامات القرب من الله بالجهاد أم بالفضل؟

- من قال: بالجهاد فقط فقد أخطأ!
- ومن قال: بالفضل فقط فقد أخطأ، لكن لابد للإ ثنين معاً.
- لا بد من الجهاد لتزكية النفس وتصفية القلب.
- ولكن لا يستطيع الإنسان أن يقوم فيها بمفرده، ولذلك قال لنا رب العزة: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ (٣٢النجم) ...

وإلى من نذهب؟ لمن قال فيه ربه: ﴿ وَيُزَكِّيكُمۡ ﴾ (١٥١البقرة) إن لم يكن موجوداً، فالوارث موجود، والوارث له حُكم مورّثِه، وهو الموكل بتزكية النفوس، وماذا يعني تزكيتها؟ يعني طهرتها وتطهيرها وهذا هو الأساس الأول، فلا بد من أزكي نفسي، وأُصفِّي قلبي.

وبعد ذلك أتعرَّض لفضل الله، فمراحل القرب الإلهية، وأضواء الأنوار الربانية، ومشاهد التجليات الأسمائية، وتنزلات الأنوار القدسية، هذه كلها لا يوجد عمل يؤدي إليها، ولكنها كلها داخلة في قول الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (٥٤المائدة).

كل ما عليَّ أن أُجهِّز نفسي، وبعدها أتعرَّض لفضل الله، وكيف أتعرَّض لفضل الله؟ كما عرَّفنا الصالحون، وكما قال الشيخ أبو اليزيد البسطامي ﷺ قال: (يا رب بم يتقرَّب إليك المتقربون؟ قال: بما ليس فيَّ، فقال: يا رب وهل خزائنك ليس فيها شيء؟ قال: نعم، الذل والعبودية والجهل والفقر) فهذه الأوصاف التي يتجمَّل بها العبيد لكي يفيض عليهم الحميد المجيد من عنده بما يريد، فيتجمَّل بأوصاف العبودية وهذا هو التعرض:

إذا تعرض عبدي	لنيل فضلي تحلى
بحلة الحُسنى مني	وبالشهود تملى
يحبه كل خلقي	والحب منيَّ قبلا
يراه أهل ودادي	نور الهدى يتدلّى
يحبه كل قلبٍ	والحب مني قبلا
له الملائك تسجد	سجودها لي قبلا
وإن نظرتُ بعيني	للعبد قد صار مولى
وإن نفختُ بروحي	للطين يُعلى ويُجلى

وإن	فتحتُ	كنوزي	أغنيتُ	قولاً	وفعلا
حكمتُ	أني	قريبٌ	هلَّا	تقربتَ	هلَّا
إليك	أقرب	منك	بمحكم	الذكر	يُتلى
هذا	عطائي	وفضلي	وكم	منحتُك	فضلا

فلا بد من:

- التخلي للتحلي.
- ثم التجلي.
- ثم التملي.

وهذه هي المراتب.

فهل ينفع أن نُزيِّن مسجداً بزينة حديثة عصرية بدون أن نزيل الزينة القديمة؟! لا، وهل ينفع أن يلبس إنسان بدلة جديدة على بدلة القديمة؟! لا.

كذلك لا بد للإنسان أن يتخلَّى أولاً عن أوصافه البشرية، وعن صفاته النفسية، ليتحلَّى بأوصاف خير البرية، وجمالات العبودية المذكورة في الآيات القرآنية.

إذا تخلَّى وتحلَّى يُصبح عُرضة لفضل الله، فقد يتجلَّى عليه مولاه بأسمائه الحُسنى، وبمشاهد قربه، وبمُؤانسات تسُرُّ خاطره وباله، وبما لا يستطيع حصره ولا عده من المشاهد العلية.

ثم بعد ذلك إذا لم يُخرجه ذلك من رق العبودية، لأنه عندما يرى هذه المشاهد قد يغتَّر فينضر، فيرفعه الله إلى مقام التملي لشهود الحضرة المحمدية، وشهود الجمالات الأسمائية، ثم بعد ذلك التملي بما يُمَنحه من الحضرة العلية – على قدره – من الأسرار الذاتية.

فلا بد للإثنين معاً؛ المجاهدة والتعُرض لفضل الله، فكل الذي يحصِّله ذلك، ما الذي يوصِّل له من أبواب العبادات؟ وهل العبادات تُدِخل واحد منا الجنة؟ ولو كانت عبادة الواحد منا طوال عمره كعبادة الملائكة فهل يدخل الجنة؟ النبي قال لا:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[١٢٣]

وفي رواية اخرى:

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[١٢٤]

١٢٣ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
١٢٤ معجم الطبراني عن طارق بن شريك رضي الله عنه

هذه الجنة، فما بال الذي يريد المنن الإلهية والعطايا الربانية؟! هذه فضل من الله لمن تأهلوا وتجهزوا واستمطروا فضل الله، فأصبحوا موضعاً يُظهر الله ﷻ فيه عطاؤه وخِباؤه وحِباؤه لأهله وأوليائه وأنصاره، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

ظهر في الزمن الذي نحن فيه كثير من الكُسالى، يقولون: الأمر كله بفضل الله، وطالما كذلك فلن أعمل وسأستريح والفضل سيأتي إليَّ!!

كيف سيأتي الفضل؟!!

لا بد لكي يحصل الإنسان على الفضل أن يكون عنده جهاد!

وأعلى أنواع الجهاد التي توصِّل لهذا الفضل هو التعرض للقائمين بدعوة الله، ومعاونتهم ومساعدتهم على إبلاغ رسالات الله، كما حدث مع أصحاب رسول الله.

ذهب أحدهم للشيخ أبو اليزيد وقال له: أنا أريد أن يحبني الله، فقال له:

(تقرَّب إلى أحد الصالحين، فإن الله ينظر في قلبه في كل يومٍ سبعين مرة، فإذا أحبك نظر الله ﷻ إليك في قلبه فأحبك، وإذا أحبك فبنور طاعته هداك، وللمقامات العلية اصطفاك.)

فإذا تقربتُ للرجل الصالح فهل يريد مني شيئاً؟ لا يريد منك شيئاً، إلا أن تعاونه على نشر دين الله، وعلى العمل على إعلاء كلمة الله:

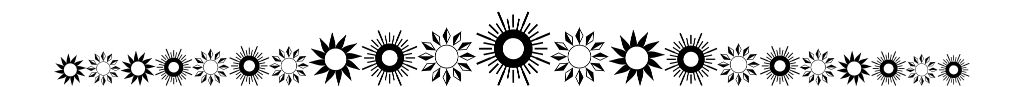
﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ (٩٥النساء).

مَن هم أصحاب رسول الله الذين لهم المنن العلية؟

الذين كانوا معه في المواقف العصيبة في نُصرة الشريعة الإسلامية، وهكذا.

الصالحون في كل زمان ومكان لِمَ أكرمهم الرحمن؟ لأنهم نذروا حياتهم لله، وجعلوها كلها في خدمة شرع الله، وإقامة سُنَّة حبيبه ومصطفاه، وهداية الخلق إلى الله، ولا يرجون من وراء ذلك إلا رضاه عَجَلًّا، فمن أراد الفضل فليشارك أهل الفضل فيما هم فيه.

لكن أنت جالس في مدرجات، والنادي أعلن أن من يفوز اليوم في المباراة سيربح مليون دولار، فهل يحصل أحدٌ ممن هم في المدرجات على شيء من هذا المبلغ؟ لا، مع أنك دفعت التذكرة لتدخل، لكن الذي يفوز بهذه المكافأة الذي عرق وتعب وبذل مجهوداً لكي يؤدي إلى هذا النصر، وهذه هي سُنَّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.



تم بفضل الله وبركة حبيبه صلى الله عليه وسلم

المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على

تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة المؤلفات :٩٩ كتابا في أربع عشرة سلسلة

أولاً : فى تفسير القرآن الكريم (٥)

(٤) نفحات من نور القرآن (ج١)، (١٧) نفحات من نور القرآن (ج٢)،(٤٨) أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام(٢ط)، (٩١) الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ،(٩٣) أسرار خلة إبراهيم عليه السلام، (٩٦) تفسير آيات المقربين (جزء ١).

ثانياً: الفقه (٧)

(٢) زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، ،(٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم (٢ط) (ترجم إنجليزى وإندونيسى*) (٥٢) كيف تكون داعياً على بصيرة (٥٤) مختصر زاد الحاج والمعتمر (٢ط)،(٧١) الصيام شريعة وحقيقة (٧٢) إكرام الله للأموات (٩٥) صيام الأتقياء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية: (١١)

(٧) حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط)، (١٣) إشراقات الإسراء ج١(٢ط)،(٢٢) الكمالات المحمدية (٢ط)، (٢٣) الرحمة المهداة، (٣٣) واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ (٢ط) (ترجم للإنجليزية)، (٣٥) إشراقات الإسراء ج٢، (٦١) السراج المنير، (٧٠) ثانى اثنين، (٨٥) الجمال المحمدى ظاهره وباطنه، (٨٧) تجليات المعراج،(٩٠) شرف شهر شعبان.

رابعاً: من أعلام الصوفية: (٦)

خامساً: الدين والحياة: (٧)

سادساً: الخطب الإلهامية للمناسبات: (٧)

سابعاً: الخطب الإلهامية العصرية : (١)

ثامناًً: المرأة المسلمة (٤)

ثامناً: الطريق إلى الله: (١٢)

تاسعاً: الأذكار والأوراد (٧)

عاشراً: دراسات صوفية معاصرة: (١٦)

حادى عشر: الفتاوى (٥)

ثانى عشر: أسئلة صوفية (٣)

ثالث عشر: حوارات مع الآخر (٣)

رابع عشر: شفاء الصدور: (٤)

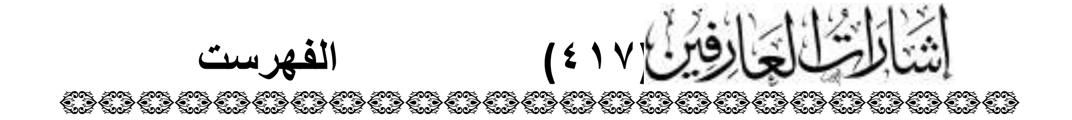
أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

سم المكتبة	قم الهاتف	لقاهـرة
كتبة المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١ شارع جوهر القائد الأزهر
كتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
ار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
كتبة جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١١ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
كتبة التوفيقية	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
ازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
كتبة العزيزية	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
لفنون الجميلة	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
كتبة الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسيني بالحسين
كتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبه خلف الأزهر
كتبة نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
لمكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢١	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
لأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
كتبة دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٢	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقى
كتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
دبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طبية ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
لنهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
ملا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة
لمكتبة الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩١	رب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
كتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٢	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
لمكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨١	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
كتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة
		لإسـكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
لكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبي دانيال، محطة مصر
كتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبي دانيال، محطة مصر
كتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٢ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
لكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل– أ/ أحمد الأبيض

		الأقــاليم
كشك عبد الحافظ	محمد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٢	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ/عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- ش الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، ح كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم ح محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين المهني
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٢	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا -

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأنحاء الجمهورية. ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com وعلى موwww.askzad.com موقع الكتاب قع العربى ، أوطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة،١١٤ ش١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة،

الفهرست



لملاحظات القارىء الكريم



الشيخ فوزي محمد أبوزيد

هذا الكتاب

إن العارفين الصادقين الذين سلكوا مقام التحقيق بعد أن تأهلوا بالشرع الدقيق وعملوا به حتى ظهرت لهم لوامع أنوار التحقيق، واجتباهم الله عز وجل بعد أن هداهم به إليه، جعل لهم سبحانه قدم صدق عنده ليقوموا باصطحاب إخوانهم ودلالة أحبابهم على الطريق السوى الموصل إلى رضوان ربهم.

وهم فى هذا الميدان يسيرون إلى حال (لا حول ولا قوة إلا بالله) فلا يكون لهم حال إلا ما يمدهم به الله عز وجل ولا علم إلا ما ينزل على قلوبهم من ربهم، فقد علمهم الله بعد أن أتقوه وآتاهم رحمة من عنده وعلمهم من لدنه علماً .... إقرأ هذا الكتاب ....

